

# الربيع والخريف



رواية

حنان مينة



دار الآداب

•  
وها وطناً بالحب تكسو أديمه  
فيحرمنا من رضا ويمنع

الحقوق مفضلة

•  
إلياس أبو شبكة

الطبعة الأولى

حزيران (يونيه) ١٩٨٤

جلس في مقهى «ام كي» M. K. في شارع لينين ببودابست. كان وحيداً، غريباً، يراقب الناس والأشياء من حوله مراقبة فيها فضول، يازجه عدم اكتراث، كأنما قرر أن يكون لا مبالياً، ما دام يجهل البيئة واللغة وطرائق التصرف، في بلد ورت عن اميراطورية قديمة، كل نزعة الشعور المفرط بالذات، بالانتماء القومي، بالمهارة فيما يباشر من عمل، وفيما يصنع من مواد، أغذية، خمر، وبنى من جسور ذات مواصفات عالية، حتى أطلق المجهزون على أنفسهم، أو أطلق الآخرون عليهم، هذا اللقب الذي يحبون تردادده وسماحه: «بناءة الجسور».

ولقد جاء جسرهم المعلق، على الدانوب الأزرق، تحفة فنية معمارية، وإن كان في بدايته، من طرفه «هست»، قد انخرعت استقامته قليلاً، لأن قبة كيسة أثرية قديمة، أثر المصممون، والبناء، وهيئة التخطيط كلها، ألا تسمى أبدأ، باعتبارها من مفاخر المدينة، وأطلقوا على الجسر اسم الزابيت.

هذه المعلومات الأولية، التي عرفها عن الجسر، وبخاصة عن بودابست، ثم عاين بعضها منذ وصوله، كان قد حدثه عنها صديق مجري يدعى «هيدجي»، يعمل أستاذاً في جامعة بكن، وقد ذهب

إشارة إلى الصين، لتعليم اللغة الجهرية، وهناك التقى «كرم  
المجاهدي» الذي كان يعلم اللغة العربية أيضاً، فأحبب أحدهما  
الأخر، إذ كانا جارين، فجمعهما بناية واحدة، في مجمع سكني يبعد  
نصف ساعة عن المدينة، خصص لإقامة «الخبراء الأجانب» الذين  
جاءوا يساعدون الصين، في أوائل الستينات، وبعد التحرير  
بباشرة، في بنائها الاشتراكي، وإعداد الكوادر اللازمة لها في كل  
المجالات.

كانت هذه المدينة الصينية الصغيرة، التي أطلقوا عليها اسم  
«دروجيا» (الصداقة) أشبه ببرج بابل القديم، لا من حيث تعدد  
اللغات التي يتكلمها سكانها فقط، بل من حيث اختلاف جنسياتهم  
أيضاً، حتى لم يكن لأحدهم أن يتعرف إلى أخلاق وأمزجة وآراء  
بلدان كثيرة في العالم، من خلال معايشة السكان الوافدين منها،  
سادام الجميع يلتقي في المطاعم والمخيمات، والملاعب الرياضية،  
وحفلات المنوعات الفنية، وتخصيصاً في «داويرا بكين» الترفيهية،  
إضافة إلى الحفلات الخاصة التي كانت تنظم في هذه البناية أو تلك،  
كثمنة لحظة السبت الراقصة في النادي الواسع.

كان هيدجي طويلاً، رمادي الشعر، أزرق العينين، موردة  
الوجه، له احناة خفيفة في كتفيه، ونظرات تحسبها تصدر عن  
زجاج لأع، وبدان لا تكفان عن التحرك وهو يتكلم الفرنسية  
ببطء: كأنه يمتحن بالإشارات، على نقل ما في رأسه من أفكار،  
بحيث تتكامل مع نظرات عينيه الرجائية، الزرقاء، وتضفي ثوباً  
من فرح طفولي على مظهره كله، عطفة إلى حد بعيد، من مفاخره  
القومية الجهرية التي تبدأ ولا تنتهي، كأنها يريد أن يفتح الدنيا بأن  
الجهر هي جنة الله على الأرض، وأنه يمثلها في الصين، وأن هذا

التشيل يرتفع عنده إلى مرتبة الواجب القومي الذي لا تساهل  
فيه، مهما كانت الظروف.

وكانت له زوجة تدعى «انيكو»، وابنة تدعى مثل اسمها  
أيضاً، بحسب التقليد الجهرى، ومن أجل التمييز يدعونها «أنا  
الصغيرة»، وصبي يافع اسمه غابور، وقد جاءت هذه العائلة  
الصغيرة إلى الصين، وفي خيالها تهاويل عن بلد العجائب، في الشرق  
الأقصى البعيد، بلد آلهة بوذا، والصور العظيم، والميرة الكبرى  
التي لا مثل لها في التاريخ، والمابد والصوامع والقبور الأثرية  
لأسرة مينغ.

لكن هيدجي، مع اهتمامه الشديد برؤية الصين كلها، والتعرف  
إلى حضارتها الباذخة، والوقوف على أساليبها في البناء المديد،  
كانت له هواية، حببها ما قرأه في المجلات المتخصصة بالآثار  
والمعادنات، قبل أن يأتي إلى بكين، وكان مصحاً، على نحو شديد،  
أن يكتشف، ويمتلك في الصين، أجل وأقدم ما يقع عليه من تحف،  
رغم أن ماله لا تساعد في ذلك، لمرتبه محدود، ولا يمكن أن يقوم  
تلازم بين «مرضه التحفي» ودخله للتواضع، بأي شكل. لذلك كان  
يحب الاقتصاد، إلى درجة تتجاوز العقول، وإذا اعترضت زوجه  
السيدة «انيكو» على سلوكه هذا، كان يقول لها ببساطة بالغة:

- تذكرني، يا عزيزي، أنني أنا الخبير هنا، وأنا الذي أصل،  
وأنك تعيشين من دخلي، وكل هذا فعلته لإطلاعك على هذه البلاد  
المعجبة، البعيدة، التي ما كنت تحلمين في الوصول إليها يوماً.  
وتجيبه السيدة انيكو:

- أفهم هذا... أفهم جيداً... لقد قلته مئات المرات، حتى

المريجة للشهر كله، إنلك يصيح:

- إلى الشيطان بكل ما تقولين.. إنني جنتلمان يا بكفي، وهذا ما لا أحتاج إلى تذكيرك به.. الحضارة، يا عزيزي، تاريخ طويل، وبالنسبة للمجر تاريخ طويل وعريق، وبصفتي مجرباً أصيلاً، فأنا نتاج هذه الحضارة.. لكن هذا موضوع آخر، ما يعني، الآن، هو جانب الاقتصاد، الحضارة، وإن شئت السياسة كلها، لا تفهم دون أساس اقتصادي.. صفواً.. لا تقاطعيني.. أعرف كل اعتراضاتك.. بمضمنا، حفظتها.. لكن هذا لا يمنع، ولا يلغي الحقيقة الموضوعية، التي لا دخل للمواقف فيها، وهي أنني أنا الخير هنا، وأنا الذي أنفق عليك وعلى الأسرة.. وأنت تعرفين، وتؤمنين أيضاً، أن القيسة، بعد كل شيء، هي للعمل.. هذا هو العيار.

- إذا كان هذا هو العيار، يا عزيزي، فمعني أنني، الآن، لا شيء.. وإذا أخذنا بقاعدة من لا يعمل لا يأكل، فمعني هذا أنك تصدق علي حتى بوجبات الطعام.. ألا ترى هذا شيئاً هزجلاً حقاً..؟

- لا عجل في العلم يا انيكو.. أنا أبسط حقائق علمية..  
- والمواقف الإنسانية؟ مواطن الزوج تجاه الزوجة؟  
- آه فهمت.. هذا بيت القصيد.. إنك تطالبين مواطن زوجية..

- علاقة زوجية قائمة على المحبة..

- بتعبير آخر، قائمة على الحب..

- هذا هو.. الحب.. مواقف الرجل تصرفاته، شهادته، كياسته في كل الظروف..

ملكته، لكن ذلك كله لا يمنع أن تحقّق من غلوائك التحفة اللينة هذه، وتيسّر لنا أن نعيش كالأحرار، ما دامت هذه فرصتنا، كما قلت قبل سفرنا، لنتمتع بعامين من «شهر العسل» حسب تعبيرك.  
- أولاً لننتقي ما هو شهر العسل هذا؟ ما هي مقوماته، ونتائج الحميدة، ومصادرها ودوافعها؟

- دعني من كلمة «أولاً» هذه التي تبدأ بها كل حديث.. في العلاقات الزوجية، لا يتكلمون كما في المحاكم.. أو في المفاوضات السياسية.. لا يقولون أولاً وثانياً في كل خطوة..

- وما يقولون إذن؟

- ما أظنك تجهل.. تتنسى، كل لحظة، بالحضارة المجرية، بالثقافة الأوروبية، ولا تعرف كيف تدير حديثاً طيباً مع زوجتك.. قل كلمات لائقة، حتى بالنسبة إليك كأستاذ جامعي..

- أولاً.. آسف.. لنبدع أولاً هذه التي لا تحببها..

- لا أطيقها أيضاً..

- ولا تطيقها أيضاً..

- وتسبب لي توتراً نفسياً..

- وتسبب لك توتراً نفسياً..

- قل ما تريد الآن.. قل به شكل تنسى معه أنك أنت الخير هنا، وأنت أنت الذي تشتغل، وصاحب الدخل الوحيد في الأسرة، وكل هذه المقدمات التي تجمت على الفتيان..

هنا يجتهد السيد هيدجي، إحتشاده نابع من أنه لم يشرب بعد، فمن زجاجة من البيرة، أو إذا أسرف، زجاجة من النبيذ، يحدث اختلالاً، مهما يكن بسيطاً، فهو اختلال في موازنته المحسوبة بدقة،

- أنا، إسحق لي أن أقول هذا، كيف في كل الظروف...  
لكنك تريدني ما هو أكثر.. تريدني ما تريد كل امرأة، بعد  
الزواج..

- وما هو هذا الشيء الذي تريد للمرأة بعد الزواج؟  
- العشق أن يبقى الزوج عشيقاً إلى آخر العمر.. للمرأة تريد  
زوجها عشيقاً، فإذا ما انصرف عنها قليلاً، افتقدت عشقه لها،  
ورمته بافتراءات كاذبة..

- أرغى المباراة الأخيرة.. لاحظ أنها لا تناسب مع حديث  
بدور بين زوجين لا خصمين...

- أصراً على ما قلته.. المرأة تريد زوجها عشيقاً.. المرأة تتطلب  
في الرجل عشيقاً أبدياً..

- وما الضرر في ذلك؟ ليس هذا صحيحاً، وضرورياً.. ويصدر  
من محبة، واحترام للذات..

- أرجوك.. إسحق لي.. المسألة هنا، لا تتعلق باحترام  
الذات بل بالأنانية..

- وماذا في ذلك.. الحب، إذا لم يكن أنانياً.. والحب، إذا لم  
يكن قبيحاً.. ماذا يبقى؟

كان كرم، الذي تدور هذه المحاورات بين السيدين هيدجي  
أمامه باللغة الفرنسية، وأحياناً، عند الشتم أو الإقذاع، بعبارات  
مجترية، يستشر غربة كاملة من نط التفكير هذا.. في الشرق لا  
تقوم معادلة اقتصادية صارمة فيما يتعلق بعمل الزوجين.. طبعاً  
الظروف في الغرب مختلف، والمرأة، منذ تعلمت وعملت، لم تبق  
عالة على الزوج في أوروبا، لكن الحب، بين الزوجين، يظل أسمى

من تعهد من يقدم وجبة الطعام.. مع ذلك فإن كلام السيد هيدجي  
على رغبة المرأة في أن يظل زوجها عشيقاً لا يجانب الحقيقة...  
المرأة، هذا الكائن الرائع، وحيث الشهور، بالغ الحساسية، تريد من  
الزوج أكثر مما هو بيت ولباس وطعام.. تشد الحب، العشق، حياة  
ما قبل الزواج، يوم كانت كلبات الغزل، تشكل قاموس الكلام، في  
أي لقاء بين مخلوقين مقدمين على بناء حياة مشتركة.. لكن هيدجي،  
بسبب مرضه ولتحمي منه أذنيه عن مثلات كهذه، ويرفض  
الاعتراف حتى بحق انيكو في أن تذكرها له، أن تطالب بها.. فإذا  
ما حاصرتها، وأحدثت المناقشة، راح يصرخ:

- إلى الشيطان، عودي إلى بودابست.. دعيني وحدي، إنني،  
بعد كل شيء، أقوم بواجب تربي، ولي مهمة ثقافية هي الاطلاع  
على حضارة الشرق الأقصى، على أسرار الديانات، على حكمة  
الحكماء، وكل ألوان الثقافات القديمة والحديثة. ذلك أنني أضع  
كتاباً هو أمل حياتي..

تقول السيدة هيدجي، عندئذ، وهي تحافظ على رباطة جأش  
بالغة:

- أفهم طموحك الثقافي هذا يا عزيزي.. لكن ما همك صنفك  
ليس أنني أطلب أن تظل عشيقتي، حسب تعبيرك، بل إنني أطلب  
أن نتناول وجبتنا كاملة.. إنني، بعد كل شيء، أأثوق الطعام  
الصيني.. قل أنتلذ به..

- ذلك أنك أدمنت..

- وكيف ذلك..؟

- الطعام الصيني، مثله مثل المختر، يحمل من يتناوله على

الإدمان.. وضد هذه الآفة ينبغي أن نكافح.. لا إدمان؟ هذا هو شعاري.. نحن لا نستطيع، في يودايت، أن نغرس هواية الطعام الصيني، هذا الترف الزائد.. إلى الشيطان بكل المطاعم الصينية.. إنها منتشرة في أوروبا كلها.. وماذا تقدم، مقابل أسرارها الخيالية؟ أصنافاً من طعام برع الصينيون في إعدادها.. إنها، باختصار، تحذر الزبائن وتبتزهم.. ولن أعصم، أنا، لهذا الابتزاز.. لن أطلب، في أنها وجبة سوى نصف طبق..

- وبمن النصف الآخر، نبتاع تحفة.. إنه حساب جميل.  
- جميل أو قبيح، لا فرق.. المهم أن تضفي في حسابك أنني هنا في مهمة ثقافية..

ولأجل هذه المهمة الثقافية، فرض السيد هيدجي على عائلته أن تقتصد.. ربما كانت حكاية نصف الطبق هذه مثلاً على منعه في الاقتصاد، ولم تطبق في أي يوم، لكنه كان يذكرها، كدعوة لكبت الشهوات. وقد اضطرت العائلة، أمام عناده، أن تخضع خضوعاً لا مناص منه، وأن تجاري حساباته الدقيقة، بحيث لا نغتن موازنة التحف، ولو بقي، هو بالذات، محروماً من كأس النبيذ الذي يشتهي.

وكان كرم، الذي جاء بكين قبل السيد هيدجي، ومكث خمس سنوات متواصلة فيها، يشير شهية الزوجين، في التباهين متضادين: يسرف في الكلام على الطعام الصيني، على مهارة الطباخين الصينيين، الذين بلغ من أمر المائلات الاقطاعية، في صين ما قبل التحرير، أنها كانت تصطنعهم وتورثهم أباً عن جد.. فقد كان للمائلة طبّاخها الخاص، أطباخها الخاصة، وكانت كل عائلة تحافظ على أسرار مطبخها، وتقاخر، في الولائم، بما تقدم من

أصناف، تختص بها وحدها.. كذلك يسرف في الكلام على التحف الصينية، هذه التي يأتي خبراء وتجار الماديات لشرائها، باعتبارها ثروة فنية، لا توجد إلا في الشرق الأقصى، والأصلي منها، بالغ الندرة، وبشكل تراثاً حضارياً لا يقدر بثمن..

وأمام هذا الإغراء المزدوج، للطعام والتحف، كان يضعف الزوجان الصديقان أكثر فأكثر. يصيبها ولع جنوني، يصطدم أبداً بفقدان الأسكوانية، فيحل الإحباط، ويصبح الحب، والجنس، وكل روابط الروح، في خلفية الأشياء تماماً، وعندئذ، في ممرسة شرقية لحواية السخاء، يتقدم كرم باقتراح بسيط:

- ماذا، يا صديقي، لو قبلنا دعوتي؟

تنظر، السيدة هيدجي، من مجلسها بوقار. هي لا تتحدث عن المراقبة المهرية بل تعيشها، تفضل، تمسكاً بالتأني الذاتي، الذي لا تتخلى عنه حتى في أخذ مقعدها، أو عند تقبل كأس أو سبكارة، أن تترك كنفها.. إنها قادرة، حيال تصرفات زوجها، أن تخرجه من عواطفها، لكنها ليست على استعداد، مقابل أية دعوة، أن تدخل أي شخص إلى هذه العواطف أيضاً. وقد فهم كرم هذا المنحى الخلفي فيها، وأثبت لها، من خلال تصرفه، أنه لا يرغب في شيء، وأن دعوته منزّهة عن شوائب كهذه.... وهذا ما جعلها تميل إليه، تودّه، تصادقه، ترغبه أيضاً، لكن دون أن يتطور ذلك إلى علاقة.... وربما، في الاستشارة، عندما تتشهن الأنثى، كانت تريد، لكنه، هو، كان لا يريد.. إنه مريض على طريقته، مريض بحبسه إلى الوطن، وحبسه إلى الجهول، إلى غداء بعيد قادم، معهم، يأتيه في نهاراته، ولياليه، وأحلامه، ويقتطعه، ويدعوه إلى الرجوع، إلى مساقعة الشوق في ذات هي شطر من ذاته قدّتها يوماً لا يدري

أين، في أي زمن أو أي تاريخ. وكان يعلم، بدافع من يقين لا يقل غموضاً وإلهاماً، أنه سيلتقي هذه الذات، هذا النطر الضائع، وأن القدر يمدّه لمفاجأة كبيرة، وأن الرياح التي حلتها بانغماس أقصى الشرق، ستحمّله، يوماً، بانغماس أدناه، وهناك، في مدينة في بلدة، في قرية، في خرائب معبد، في قاع واد، في غابة، سهل، ضفة نهر، شاطئ، بحر، سيلتقي شطره الضائع.

من أجل ذلك كانت دعوته تحمل حجمها فقط، هدفها المباشر فقط، دون غرض، ودون مقابل، سوى أن ينعم بصحبة هذين الصديقين، وأن يشهد نقاشاتها، ثم يشهد، في عارسة تمهيد نفسه للآخرين، كيف يتصرفان به، وماذا يقولان له، وأية انعطافات فكرية، خيالية، تجريدية، عند زوج يرفض أن يكون عشيقاً، أن يبقى عشيقاً، وأن يمارس هذا الواجب الذي خلا من أي اندفاع ذاتي، ما دامت الاندفاعات الذاتية في العشق تتناقص، وتتآكل، تدريجياً، بعد الزواج.

ومقابل لحفظ الزوجة، ترغّبها، ترددها، يبدو الزوج، هيدجي، طفلاً طيباً، يريد أن يلتقي الدعوة، وهو لا يداور، ولا يستردد، في قبولها رأساً، وبكلمة شكر قلبية، بينما هيتاه الزجاجيتان، الزرقاوان، ثلثمان بحيث يريده، حيث من يعرف ما يريد، ويندفع للحصول عليه اندفاعاً طفلاً إلى دمية، لذلك كان يجب صراحة:

- بالنسبة لي، يا عزيزي كرم، لا مانع لديّ من قبول الدعوة... وأحسب أن أنيكو لا ترفض أن تصنع لها هبة صغيرة... برغم أنني، في تقرير أمر خاصّ كهذا، أترك لها حرية التصرف... إنها، بعد كل شيء، تستمتع بالحديث عن أحاسيب هذه البلاد... ويسعدنا أن

تكون معنا.. وأن تتناول قهصاً صغيراً. من هذا الشراب الذي يسمونه «ماوتاي»...

- لكن السيد كرم، تقول أنيكو، يكلف نفسه، حيالنا، أكثر مما ينبغي.. (وتنظر إليه نظرة خاصة ثم تضيف): وفي المقابل، كيف أقول؟

- يا عزيزي، أرجوك.. لا تقولي شيئاً.. إنني أكون حيداً مع كرم، وهذه هي المسألة.. أنا لا تعني كثيراً، الجوانب المادية من الدعوة.. هناك ما هو أهم.. هناك..

وتضحك أنيكو:

- الجانب الثقافي.. أليس كذلك؟..

- ليس تماماً.. خبرة كرم من الحياة في الصين.. كلامه على الآثار، على الأساطير..

وتضحك أنيكو ثانية:

- وعلى التحف.. قلها يا عزيزي.. كن صريحاً..

ويقول كرم:

- أنا نفسي بطيب لي الكلام عليها.. إذا كان هذا لا يضاهيك.. أين نذهب؟ إلى المطعم.. أم إلى البار؟

ويجد هيدجي فرصته:

- إلى البار أولاً.. ولكن، يا صديقي، هذا ما يسمونه باراً «هنا»...؟ عندنا مثلاً..

يقولها بالفرنسية: chez nous par exemple ويظل، طوال الجلسة، يردد عبارته: «عندنا مثلاً» لا يقول عندنا في الجمر.. يدع لجليه أن يفهم ما يعني.. ففي الدنيا مكان واحد، هو الجمر، وهذا المكان،



بالنسبة لهيدجي، هو «عندنا» وبعد ذلك نقطة النهاية.

وها هو كرم أخيراً، في المجر...

إنه سعيد في مجله يقضى «أم كي» في الشارع الرئيسي من بودابست.. وقد قال في نفسه «أستطيع بعد اليوم أن أكتشف، وأثبت، من عبارة «عندنا مثلاً»، هذه التي عنت لي، قبل الهبة، أشياء كثيرة، من قطعة البيفتيك إلى زجاجة النبيذ، إلى اللقمة، مروراً بكل ما خلق الله من أشياء، كان هيدجي يقضي عليها طابعاً آسراً من الرؤية الخاصة، ليجرد أن تكون مجردة».

ولقد اعترف، وهو يتذوق قهوة الاكسبرسو، أنها لذيدة تماماً، وأنها تنطبق على «عندنا مثلاً» بشكل كامل. وحين أشعل سيكارة جديدة، من عليه «الكت» الموضوعة على المائدة أمامه، رغب بفنجان ثانٍ، على خلاف الزبائن، الذين يكتفون بطلب واحد، هو المقرر من القهى مقابل الجلوس فيه. ذلك أن كرم يتجاوز المألوف دائماً.. يتجاوز دون تمتد. يفعل ذلك عفواً، دون ميل إلى التشوف، أو نزعة إلى الإدهاش، أو حتى ممارسة أي نوع من التمييز، أو التظاهر بذلك، بفعله لأنه ما يروق له، وما يجب أن يكون، أو ما يلبي الطمئناناً في أحاسيسه القلقة، الساغبة، الباحثة. ابدأ من ظل يرف عليها، أو لفنة ترتاح لها، أو تصرف، فيه تدبر من المتعة، حتى في الهبات التي يتبدى فيها.

كان ذلك بعد ظهر الأحد. في الساعة الخامسة تماماً، الساعة الأمل من مساءات الصيف، وكان القهى مزدحماً، وجل الزبائن من الشباب، وشبه ما حلوا، متنق، مضاء بفرحة لقاء جديد، بعد سهرة مائتة، يلوح على الوجوه، والمجالسون إلى موائد ملوثة، رشيقة، مستديرة، يشكلون مثلثات وزوايا، وهم يتحدثون بغير

انقطاع، ويغير تحفظ، بأصوات رخيصة، مزخرفة، تعطي لغتهم الغريبة، للفرقة من لغات الشرق والغرب، نكهة خاصة، هي تماماً نكهة «عندنا مثلاً» التي تحسها «هيدجي» تلخيصاً رافماً.

وكانت الشمس، في شارع لينين الذي يمتد نحو الغرب، تسحب ببطء، كلفافة حريرية ضخمة. شفاقة، ذهبية، فُرشت كلها، ثم جرى سحباً على سهل، فهي تتقلص وتتقلص، تنادر، بمجدوبة بقرص من المفاطيس يتحدر ويصحبها وراءه، كما عروس سائرة وثوباً وراءها في بلاطات النصبور الأوروبية، وليس ثمة فارق سوى اللون الذهبي الذي تتناقص بقاياها. بقعة، على الموائد، المقاعد، الواجهة الخارجية، وتزهر قليلاً، ثم تنطفئ، مخلفة الفراغ للأضواء الكهربائية، التي تشتعل، بدورها، تدريجياً.

كان هذا القهى صغاباً في الليلة الثالثة. ففي طابقه العلوي، الواسع، وعلى أنغام موسيقية هادئة، وفي جو من الازدحام الشديد، تقام، كل ليلة سبت، حفلة راقصة. ولأن بودابست، في ليالي السبت هذه، تتحول إلى قاعات رقص لا عدد لها، فإن الحجز، أو حضور الحفلات، يجري باكراً، ضماناً للأماكن. وكان كرم يعرف هذا من صديقه هيدجي، فقد حدثه، في مقارئة تمت من احتقار شديد، بين ما يقام في «مدينة الصداقة» في بكين من حفلات سبت، وما يقام في بودابست من حفلات حتمية، غسبة، زاهية في مثل هذه الليلة. قد قال له بإشارة ازديراء من يده:

- إلى الجميع، يا صديقي، بحفلة كهذه.. عندنا مثلاً..

أضاف:

- انتبه! ينبغي لك أن تكون قد تواعدت مع صديقه على السهر منذ أيام على الأهل.. الفتاة، منذ يوم الاثنين، تنتظر موعداً مع

صديق لليلة السبت. تعلّق على ذلك أهمية خاصة. نفهم مقدار حب الآخر، الآخرين، لها، من يوم الموعد، فإذا جاء السبت ولم تكن قد ارتبطت بموعد، تعتبر نفسها خائبة، وقد ترفض الموعد، إذا جاء في يوم السبت ذاته، لأنه يعني أن الصديق الذي بواعدها لم يجد سواها، أو كان غائلاً مثلها، وأن عليها، في قبول دعوة كهنه، أن تتلحق مثله بالعربة الأخيرة في القطار، وهذا مايسوّؤها جداً.

ولقد جاء كرم، ليلة أسى، في نحو العاشرة، الى الرقص... كان وحيداً، ولم يكن راقياً في السهر. وليس من صديقة ترافقه. حتى عربة القطار الأخيرة فاتته.. وبطيعة مزاجه المتقلب، وعدم قدرته على المكوث طويلاً في مكان واحد، خرج من البيت دوناً وجهه مضطرب. كان الليل جيلاً. كانت ليلة صيف من ليالي بوهابست، ومن بيته، في شارع «بنتزور اوتسا» القريب من ساحة الأبطال، سار متملاً، تحت الأشجار الوارفة، بنعم ببرودة الليل، وأضواء المدينة، ومتابعة المتزهين، وهو يفضّ الطرف عن المشاي، في الزوايا، عند جذوع الأشجار، على مفارق الطرق، أو فوق المقاعد التي تتوسط شارع الجمهورية، وأمام الأبطال التاريخيين للمجر، حيث يتعانق أزواج من الفتيان، ويقبل حبيب حبيبته، أو يريح رأسها على صدره وأنامله تداهب وتتخلل، الشعر.

وقال في نفسه: «هنيئاً» وقال في نفسه: «حقاً إنها «باريس الصغيرة»...

ولم يستثمر أبداً حرقه أو حسرة، أو حرمان. إنه، بعد كل شيء، في رحلة لما تنته.. رحلة بدأها من بلده الجديد، شرقي المتوسط، حين خرج، كما آدم من الجنة، مطروداً بغير ذنب. وطوال هذه الرحلة، كان يردد، بغير شعور، على كل احساس

بالتأفف، بإحساس مضاد، نابع من التفور أن يستكين أو يألف، أو يرضى بفكرة العيش طويلاً خارج وطنه. كان الانتفاء إلى الوطن دماً في دمه، وكان هذا الانتفاء حنيناً إلى البيت، والحي، والبحر، والناطئ، ووجه الأم.. وكان، فوق ذلك، حنيناً إلى مجهول، إلى صدر، إلى حالة بصرية، إلى ابتسامة ماسية، إلى غفوق غير محدد، غير محدد، لكنه موجود، ونادر، وهيّ وماجد.

لذلك مرّ بالذهن في طريقه ليس إلا. وكان أمام باب الرقص صفّاً من الشباب والشابات، في ثياب السهرة، وكان ينتظر دوره في الدخول. فجأة نبق سؤال في ذاته: «ماذا لا أدخل أنا أيضاً؟» وكما دته في الإقدام، مضى إلى تنفيذ فكرته رأياً، أخرج نقوداً، وحاول ابتياح بطاقة، لكن قاطع التذاكر لم يكن يعرف الفرنسية، وحيناً حاول شرح غرضه بالإشارة، لكن حارس الباب المجري، وهو رجل ثخين بزة رسمية، تدخل وقام بالترجمة، ولأنه أجنبي، وماتع، فقد سمح له بأن يتخطى الصف، وهكذا وجد نفسه يصعد الدرجات الأولى إلى الرقص، ووجد، لا بدري كيف، فتاة تتأبط ذراعه.. زاعمة أنها صديقه.. لكنها، ما إن صارت داخل القاعة، حتى لوحّت له بيدها مودعة وهي تضحك بصوت عال، فيه شفاوة، وعندئذ أدرك أن دوره انتهى، وأنه لم يكن إلا وسيلة اصطفتها الفتاة للدخول إلى قناتها الذي ينتظرها على طاولة حبرها مبعراً في الرقص.

لم يتشعر كرم أيا انزعاج من لعبة الغناء معه. كاد، أمام صحبته انعبث، أن يظن صفة عالية هو الآخر، لقد جدع ومادا في ذلك؟ المرء، أحياناً، يحب أن يُجدع، أن يكون صفة لمحب صميم يريه كهذا، ما دام بعيداً عن الضرر، عن الأذى، وبه طموح مشروع أي الحياة، وإلى التمتع بالرقص والماء في ليلة «حر الأسبوع»، حيث الجميع، يدعون همومهم، ساعهم، جانباً، ويهندون المرأة والترويح عن النفس

رحاس عفيف، خفيف جداً، بالأسى انبائه، لأن لعبة الغناء التي لم تدم إلا دقائق، ولم تستغرق إلا ساعة صمود الدرج، قد بحث فيه أملاً بأنه ما يزال في العمر الذي يتناسب مع الحاجات السعيدة لمد دهر، وهو يقطع بطاقة الدخول، أن دراعاً تنك بدراعه وحين التفت ووجد فتاة صبية، ضاحكة القصب، تتعلق به، اتسعت دهشته، وعامت على بحر من السرور النباحي، فمر من أن يتبع لها بذكره، لكن الفتاة أرته تذكرتها المقطوعة سلفاً، وشدت به بأحد الدرج، فامره قهراً، فل أن يشبه المدارس، ويحجج المنى قطعوا تذاكر مثلها، ووقعوا في صفة طويل يسطرون دورهم في الصعود إلى قاعة الرقص

قال في نفسه «حسناً هذه علامة جيدة في دفترك يا صديقي هيدجي «عدنا مثلاً» لم تأت على واقعة كهذه. انت في بك، ومكاشتك الجامعية، لم بعد من رواد المراهق أو اللاهي النبيلة، وربما لم تقم، بعد زمن بعيد، سد أيام الشباب، في صفة على باب مرقص، السيدة انيكو حدثني عنك طويلاً. روت قصصاً كثيرة عنك، روتها وهي تصحك، قالت إنك تتصرف بشيء من اندام ابؤوليه، أحياناً، تكن تصرفك يحد طابع الطرافة، وقد ألفت، سد السه الأولى لزوج، بذلك لم تعد تساء به، وإذا كان حثك للسب في بودانسك المصنة هذه، قد تحوّل إلى حب مجنون للحنف في نكس، حتى أساك «هوى الأول»، غربا عادت من بوانك السيدة غير مدب من المناعب والمهموم قالت إنك كنت، في بعض الدال، وخاصة لسه البت، تخرج في طلب أي شيء، وبو كان كيو عرماً من البطاطا، بوجه، لأحد، فوصحك ألا تتأخر، ولا تمسب، وأيا يسطاروك، لأعد د الوجبة سد اساء، وتؤكد أنت أنك عائد لئوك، وأن شئاً من يعربك أو يهلك من هذا الوجبة السي، وأبك سمود مريماً، لتساول كأناً من السد معها، هي روحك الصبر، اللطيفة، التي أحببتها وانما في الجامعة وتصدق هي أمك عائد وتؤمن أن أي أمر لن يملكك تهملاً، أو بك أنك خرج في طلب حاجة من حاجات البت، نكسك، سد أن تصبح في السوق، وتري إلى حانه السد، و يناديك أحد أصدقائك من داخلها، حتى تدخل، وفي بيتك، كما تؤكد لها، أن تأخذ كأناً كويلاً فخارياً كما أكواب البرء، وهذا لا شيء، في حساب سدرك على الشرب، ولن يؤثر منك «نما تأثير» غير أنك بعد الكوب الأول، تجد نفسك مسجماً في الحديث مع الشاربين، أو مع الأصدقاء،

وتنظر في ساعتك، قائلاً لي معك «على أن أذهب إلى هنا، مع كل شيء». رجل متزوج، وأبيكو تنظري «ولكن مقاومتك تصعب أمام زعماء النيب، وظلاوة الحديث، فتجد نفسك مدعوها إلى طلب كوب آخر، وهكذا، يمضي الوقت، تزداد مقاومتك صعباً، ويرداد عليك بسيد، ويعود في اليوم التالي، دون بطاط و دون فلوبس وسرع، كما دت في مثل هذه الأحوال، بإرسال الحانة والسيد والناربي إلى الشيطان، مقبلاً عليك من عملها مرة أخرى، معها كانت الأسباب لكبك، يا صديقي هديني، كنت تفعل، ونعم سأعاقب على رجلك في حانات السيد، هذه التي حدثتني عنها طويلاً، قائلاً وأب نفسي شفتيك، «عندنا مثلاً» أه! الخلة لو دت السيد الهري يا كرم، لو دت سيد «نوكاي» الصخر لا بد أن تأتي إلى البحر، وأن أصبح بك إلى حانة سيد، وأن أدمك تتدو في هذا «الإكبر إلاهي» لكك لم تذكر المراقص إلا قليلاً، ولم نقل إلى الناس، عندكم في بودابست، يقعون في صفاً طويلاً، باستظار الدور لدخول، لقد رأيت أنا، في بكين، وموسكو، وفيينا، وجيبس، وعواصم أخرى، الناس يقعون في صموف لأجل الخبر، لأجل اللحم، السمك، المخلبات، وأشياء أخرى، أما أن يقعوا، في صموف لدخول المراقص، فهذا ما لم أراه سوى في بودابست.. بودابستك الدنيوية العاتية يا صديقي»

كان، كرم، يجلس إلى «البار»

اعتزم أن يتناول كأساً من الكوباك ويخرج وكان البارمان يتكلم العرسية، وقد مضى أن يجرب الكوباك الهري قال له «الآخرون، السباح، الرؤار، وحتى الهريون أنفسهم» في بعض الحالات، يتدوون الكوباك العرسية بودابست، أو مارمل، أو

عاموس لكبي، أنا، أنصحك أن تجرب الكوباك الهري اليك مدحاً، ما دمت تطلب نصيحتي»

واقف كرم يعبر ترقداً، لم يكن ثمة ما يدعو إلى التناخر بطلب الكوباك الأجنبي، عرسياً كان أو غيره. هذا يعمل بعضهم نكره لمعهم الصديق، إذا كانت معه صديقة عربية، يهدم لها مشروباً أجيباً شامبا أو كوباك أو ويسكي وقد يفعل الهري ذلك، لجرد حب الأشياء الأجنبية المستوردة. اخبراء الأجانب، في بكين، ومن جميع البلدان، كانوا يسيرون ما أن تكون لديهم سلطة هري صيبة كانوا، برغم الصعوبة والتعقيد، يتوردون بعض الحاجات من هويج كويج.. خاصة الكاكر. أما هو فقد أحب الكاكر الصبة، والطعام الصيني، والألسة الصينية، ولم يجد ميلاً إلى محارم الأخرى في النوع بما هو مسود، من عرب أو أميركا. وقد سافر مرة إلى شامباي، وشرى هناك حذاء جلياً، من صمغ الصين بمسما، لكنه، حين عاد إلى بكين، ورأت أهداء سيدة كندية، حكمت موراً أنه من «هويج كويج» فأحب أن يمسها، مؤكداً أنه من هناك، ومن صمغ اسكتلزي، وعندما نهمت السيدة الكندية قائلة «يا لروغنه!» وحق عندما وصل إلى الهري. وليس حذاء جرياً، رخص جاره أن يصدق إلا أنه حذاء بريطاني وهكذا تذكر مثلاً قدماً في بلدة سورية، معاده «كل ما هو بريجي بريجي»

لم يصادف المراقص بعد الفتح الأول، كان صديقاً دائماً للبارمانات وقبيل ذلك، في وطنه، كان صديقاً للبحاري، كان يطبق عليهم لماً جلياً «صامو المرات» وأعظم صانع مسرة بالسة إليه، هو الخناك الذي يهيمه من الإشارة ينمته كما يحب

ن يقول إذا جاء وحده، وإذا جاء مع آخرين، فليس له أن يطلب . الخمار الدكي، الرائع، ابن لليلة، هو الذي، من نظرة، يهيم كل شيء، ويستجيب، تلقائياً، لا برغبة، وما يناسب المقام وعلى هذا السلوك واظب في إقامته الاضطرابية في أوروبا والصين كان يصادق البارما، في أي بار أو فندق، برعيه حميفة بشيرة، يطلب رأيه، بمادته، يناديه إذا كان لديه وقت لذلك.. وكذلك كان يعمل مع «الليتر» في أي مطعم أو فندق، ويمر هؤلاء أصدقاءه، وأدلاءه، لما فيه منده، ومنحه، في الترتيب والطعام ولكن أحب همضوي، بعد ذلك، لأنه كان يحب الترميمات أيضاً، ويطلق على أحدهم الحاً صعباً حلاً «المايسرو الأعظم»، ومنحه، في يدوقه لأصناف الشراب، ومرجعه المنعده، وألوان الطعام، والنواهل، كان مديهاً لمضوي، وسائراً على حده، إلا أن يطلع بالاسدانة، من أي برمن، أو فأجل الدرع، والمهاون في الإكراميه بعد كان حريصاً على الملاءمة بين ما يحصل من مال، وما يتناول من شراب أو طعام.

ولقد نسي، بعد المدح الأول، على الكومباك الهري، وقال بسارمان غيرانس

- بصبحك يا صديقي، في مكانها.. ودلي من هذا الشراب.

قال غيرانس

- يمرني أن أسمع ذلك.. نادراً ما يقع لي أن أصبح بمشروب هري إدارة اهل تفصل أن يمدّم المشروبات الاجبه للسياح هذا برصيههم أكثر . وثمة أغنى، بما لا يقاس.

قال كرم

- هل كل، أنا لست سائناً اجيباً . ثم لست طاووساً بديل عريض طون كما نرى .

قال غيرانس:

- إلى الجميع بكل الطواويس.. هؤلاء الرغماء يملكون هناك، في الصائكه، ويرقصون حتى الصباح، على رجاحة سيد و حده - هؤلاء شباب وقد جاءوا لرسم لا نسرب إني أنهمم..

- وأنت، هل ستقضي بأبك لي ترغص..؟

- أنا سأشرب فقط.. ألا تراهي وحيداً . وبالنسبة.. ماذا اعمل بطاقة المدخول هذه، التي دفعت ثمنها ستة فورنت ؟

- تشرب بشمها حين تجلس إلى طاولة في الصالة . هذه ليست رسم دخول إلى الرقص.. إنها ثمن شراب، حتى لا يسهر الناس على رجاجة بيرة. إنها الحق الادمى

- واخذ الأقمى؟

- أن تشرب، أنت وأبنة فتاة، حتى السكر ثم تذهبا إلى المراش

أصاف هوانس ضاحكاً

- وما أحبيك سيالي ماذا نطال في المراش، أليس كذلك يا صديقي؟

- أنا لن أسألك سؤالاً نصاً كهذا . وإن كب أحمل، حتى الآن، كيف أتعاقل مع فتاة مجرية في المراش.

- المرأة المجرية كميها.. فقط احذر أن تكون غريباً معها

- وماذا يفعل المجر يا هوانس؟

- يرمعون ساقى المرأة بأكثر مما يجب

- أنا سأرغمها بأقل ما يجب

- انت يا سيد كرم، ستتصرف مع المرأة المجرية كما تتصرف،  
الآن، مع الكوبيك المجرية تتدويعها على مهل ويكثر من  
اللفظ.. ولن تقسمي بصفائك، قل لي، لماذا جئت وحدك الى  
الرقص ؟

- لان أحداً لم يأت معي.. ما دلت غريباً عن الجو.. انا ها  
سيد، سبور فقط

- الم تعرف اني أنا فتاة ؟

- بي ا تعرفت اني فتاة، وأنا أدخل الرقص  
وروي به الحكاية فصحك فبرانس في غير لحظ، وانصرف  
الى نسيه طلبات الرباتش، حتى إذا عرج وعاد إليه، قال له مارحاً  
- أب لست شرطياً على كل حال.. ولو كنت كذلك لما استطعت  
إرغام تلك العاهرة الصغيرة على الاعتذار إليك  
- أنا الذي سأعتذر إليها.. لقد واقبتها، إنها تجلس هناك..  
سأرسل اني طاولتها رجاجة من النبيد.. تحبوا عن اعجابي  
بدكانها، ساعدي يا صديقي.. من أطلب ذلك؟

- من الكرميون.. ولكن انظر.. اصل ذلك بعد انتهاء فترة  
الرقص

- خلال ذلك، نشرب معاً كأسين من الكوبيك يا هيرانتس، ما  
رأيك؟

تذكره طيبه

- وإليك تذكرة الدخول هذه.. تصرف بها..  
- مسح ي "أ" أشكرك إذن، على الكوبيك، وقبحة تذكره

الدخول هذه

- لا تشكركي.. يكفي أن تكون صديقي

- هيرتي أن أراك هه دائماً، ولكن ليس وحيداً ولا مع فتاة  
تراكك في صعود الدرج فقط.. مع صديقة.. صديقة حقيقية..  
يرقص معها إلى الصباح..

- أرجو ذلك.. وإن كنت، أحياناً، أحب أن أكون وحيداً  
أن أراقب لعبة الآخرين دون أن أشارك فيها..

- في هذه الحال لن تتعرف على المجر بشكل جيد.. هل منطول  
إقامتك؟

- ولكني عقيم ها.. أنا أصل في بودابست..

- وماذا تفعل؟

- أستاذ في الجامعة، قسم اللغة العربية..

- هذا جيد.. جيد جداً يا سيد كرم..

- قل يا صديقي..

- يا صديقي..

- والآن نحب صحتك.. كيف يقولون ذلك بالمجرية؟

- اكش اكدي..

- اكش اكدي يا هيرانتس!

- شن ش.. يا صديقي كرم.. والآن، أي نوع من النبيذ

نريد؟.. هيا.. لقد توقف الرقص، سأذهب بنفسي وأشرح  
الموضع.. وسأرى تلك الصغيرة.. وأعطيك رأيي..

انص كرم، جاء على صبيحة هيرانتس، أصغر نوع من النبيذ،  
ودهب للباربان بالرجاجه الى الطاولة التي جدها كرم.. ورجع  
وهو يصحك قائلاً

- إني يشكركم لقد حدثت العدة أصدقاءها بما وقع لها  
وكانت القصة طريفة صحكوا لها . لكنهم آسفون لعدم دعوتك إلى  
مأدبتهم . ظنوك مرتبطاً بموعد ما

- لو دعوني لأعدت .. أنا لن أشتغل بمصادفة كهذه  
- وما هو وجه الانحلال في الجلوس إليهم؟ ها أنت لا  
تعرف المهرج بعد . إني عشرةا وطيبون جداً ..

بعد قليل جاءت العدة وصديقتها إلى البار .. كانت نينيم وقد  
احترت وجناتها من البعيد والرقص .. قام هيرانس بمهمة الترحيب  
أصر كرم على دعوة السابن إلى كأس من الويسكي ، لاحظ أن  
العدة تنحس النظر إليه مباشرة ، لكنها نحس أن يصغر صحك  
يكسبه ، نحس هو أيضاً ، حنة ن عار في الصحك كان مرهراً  
الآن يدرج مفاجيء . لم يكن لديه ما يقوله .. فوق أنه لا  
يسطيع ان يمود بالمهرج والمساء لا يمكن مودها ، اما النسي فيكلم  
الانكبيره التي يجهد كرم إضافة إلى ان الدراما هيرانس أسأر  
بصديقه ، وراح الثابان بصميان إليه ، وكاما يشبان ، ثم ضحك  
الثلاثة سماً ، وقال هيرانس

- أخبرني أي عجرتي أنت!

- أرجو ألا تكون قد أتيت على ذكر الفرائش

- اكتمت ، هذه المرة ، بالكلام عن عجرتك في الترقب

- كيف؟

- قلت إنك خمت من الكوميك المجري

- وماذا أيضاً؟

- وأنيك تحاف المرأة المجرية . لذلك انت وحيد ها

- في هذه أنت عن حق

- لذلك اقترحت على الفتاة أن تشحك قليلاً .

- آمل ألا تكون قد خمت الموقف خطأ

- إلى الشيطان يا لهم الخطأ يا صديقي أنت في بار أم

معد ؟

- أنا في مرقص

- أصبل شيء إذن أن ترقص ، هيا ، الفتاة تدعوك .

قالها ونكلم مع العدة بالمجرية .. أهست .. قالت :

- أرحب >

ومررت عن كرسي البار كانت هذه الحركة صيا بمثابة دعوة ،  
وكان صديقه لاسلو ، الذي هو خطيباً أيضاً ، ينشم بطييه ، مشعاً  
خطيبه على أن يحمل كرم سعيداً ، في كان حد يمدم الماء ، ثم  
نأحر مرصكاً ، وجعلها تير أدمه كح يسبي ، واضطر ، في حليه  
الرقص ، أن يجازيها في حركاتها الخفيفة عن أخاها موسي صياحة ،  
لم يأنها في الصبي ، اشعر معها حرجاً غير قليل ، لأنه هو ، من  
الأرميني ، كان يرقص سيملا ، ويديع يديه إلى أمام ووراء ، ويجرث  
ركبه ، ويرك كسبه ، محاولاً أصطاع المرح ، التبعه ، الاندهام  
بالحو ، راعياً في كل لحظة ، أن يسبي هذه لجنون الموسي ، وأن  
تعرف الجوقة مقطوعة هادئة ، ترجمه من هذا الاختناق الجسدي ،  
وتتج له أن يخنوي جد الفتاة بدوه وعمومه ، وأسباب كح ألم  
لكن الموسي طلب سرعة ، عسبه ، وظل كرم يسطوح كأنه في حلفه  
ذكر ، والمساء يرى إليه ويسم ، مدركة انه ما ران عريباً على الجو ،  
والموسمي ، وانه يلقي عتاً في مجاراتها

- انتهت الجولة ، عادا إلى البار ، كان هيرانس والنسي يتحدثان

ويصاحكان ، وقال له -

- أحسنت . كانت رقصة ممتعة ، أليس كذلك ؟

- أرجو أن نكون قدما روبريكا سليش

وقالت الصاة مارحه

- ليس تماماً

وقال فيراتس

- ديكنت جيداً يا صديقي .

أبى

- لا بأس يا فطنت ، كهداية .. ظني أنك لم ترقص سوى

الناصو ؟

- وحتى هذه ، كانت تابعة لعميلة على الطريقة المصيبة . لكنها

كانت تناسبني أكثر ، أنا المجوز كل ما تری .

قال فيراتس

- أنت مجبور عاجر على كل حال . اسبح لي انا اقول هذا يا

صديقي

- لا ابرجع من هذا الوصف . إنه أفضل لدي ، بما لو كنت

صالحاً لذلك ..

- يسأل صديقتك في المستقبل . السيدة هي التي تعطي علامة

الرجل

- ستكون فلامتي صمراً ادى ..

قال فيراتس ضاحكاً

- ومع الرحلة أيضاً

ناب كرم

- لا نكر فخرها سفيهاً يا فيراتس .. أنا لا أريد الرحلة .

فان لاسلو

- ما رأي السيد كرم ان يأتي ويجلس معنا بقية السهرة ؟

وقالت روبريكا

- أصدقائنا طيبون ، وسيكون ضرورياً بيسنا .

ترجم فيراتس ، وقال .

- أنا أقبل الدعوة بياحة منه .. أریده ان يدخل الحياة الحرة

بسرعة . (وقال بالعربية) هيا يا صديقي .. لي احتجرك على

«باري» هذا اكثر مما فعلت .. اذهب وكن مرحاً . لا تحش على

خدمتي التي تراقصك كثيراً . انت لا تقدم انتحاليا في الرقص على

كل حال

- شكراً على لطمتك يا فيراتس .. سألق بها بعد قليل

انصرف الشابان . دفع كرم حبابه .. دفع أيضاً فن زوجة

أخرى من السيد ، حلها الكرسيون الى المائدة ، وجاء هو بعده ،

مرتبكاً قليلاً ، متسائلاً عن الطريقة التي سينتاهم بها مع أصحابه ،

لكن شاباً بسهم كان يكلم العربية بركاكة ، استطاع ان يفل

كلماته ، ويكون واسطه تناهم في حديث عادي ، يدور حول أصله ،

وعمله ، ورأيه البدني بالجر ..

قال كرم ببرة صدق

- بودابست رائعة .. حدثني عنها صديق مجري التفتته لي

الصبي ..

سألت عدة اصوات دفعة واحدة

- في الصبي ؟

- نعم . ولماذا الاسفراية .. نصبت في بكبي خمس صوت ..

- وماذا كنت تفعل ؟

- مدرماً للغة العربية



سألت فتاة

- هل صحيح أن المرأة القصيرة تصعب قدميها في الحديد صد  
الصر؟

- كان هذا في الماضي.. الآن، بعد التحرير، أصبحت هذه  
«مادة» تحررت الصبي، وتحررت أقدام القصيرات أصبحت كبيرة،  
مثل أقدام النساء في كل مكان.

- وجود النساء القصيرات.. هل صحيح أن النساء تصعب  
عصاة على ثدييها كي لا يسوّا؟  
- هذا صحيح أيضاً. لكن ليس لأن كان ذلك في الماضي  
وعلى كل هذا ذوق جالي خاص.

- كيف؟

سألت الفتاة

- التدقيق الجاني يختلف من بلد لآخر، أو من منطقة إلى أخرى  
في هذا العالم

صاح لاسلو خطيب الفتاة.

- ولكن هذا عجيب.. امرأة ودون صدور؟

كان كرم:

- أنا أيضاً أقول إنه عجيب.. إني لا اعلم كيف يتدقون  
الاشياء. ولكنهم يتدقونها.. في الدنيا أكثر من حسن جالي.

وطفت الموسيقى الصاخبة، كرة أخرى، على الحديث، ومن  
جديد ألمي كرم معه امام حرج مراقبة إحدى الفتيات، ممسك  
ال الخلع، ونظف الى مرتس مرآة يسم، ويتحده بحركة ودبة من  
يده، وهكذا بدأ جولة من «الروك أند رول» وغايه في زحام  
الأجساد محاولاً بسن وقاره لأربعيني سذكراً قوله البارمان «كن

مرحاً وطيباً» وعبارة هديجي «صدا مثلاً» وقال في نفسه،  
«كل شيء في البحر يبدو عابراً لما عرفته في بكين». هذا المجتمع  
مضوح، والتعصب للذهبي لا أثر له، وتستطيع عند أسبوعك  
الأول، أن تجد أصدقاء من المجرين، وأن تدخل بيوتهم، أنت  
الذي عشت خمس سنوات في الصين مع بكين لك، خارج علاقات  
الدراسة، أياً صديق حسي، ولم تدخل بيتاً صلباً قط. أرقص يا  
كرم، ادلك كما قال لك ميراس، ولكن لا تكن صريحاً. ابن  
العاهرة كشمك من اللقاء الأول، قال عليك أنك محبور داهر. ربما  
كان يرحم، ولكنه لم يسعد عن الحليفة. أنا داهر يا بكيني، أحب  
للرأة والشراب، والرقص. لكني لا أستطيع أن أكون خارج  
جلدي. لا أغوي على احتلال هذه العربة التي طالت، ومنها عرفت  
من ساء، يعني هناك، في داخلي فراخ، يعني حين أو هذا ما  
كأبدية في الصين، وما أدري إذا كانت المجر تنخطمي من نفسي،  
سيسي اني عربي، وأني في معنى ألماني الى الظروف، وأن  
الوطن يناديني، وربما كان حبيبي اليه يتجاوز الأرض والبحر  
والعابة، يتجاوز البسب والمي والمدنية، ويصل بالإسكان الأهل،  
والأصدقاء والرفاق، وشيء ما بينهم، أحده ولا أكتنمه، لا  
أحرره، ولا أعرف التعبير عنه

في نحو الواحدة بعد منتصف الليل انتهت مهرته، رخص ما فيه  
الكنافة شرب أكثر ما اعتاد لكنه ظل محتفظاً بوعيه وعدد وداع  
المساء وخطبها أعطاهما عواذ، وشكرها على الدعوة، والهدية،  
والصادقة المربية، وقالت الفتاة

- سزورك وستحدثنا عن الصين. لا شك أن لديك قصصاً  
كثيرة عن تلك البلاد...

- ولديّ نصف صبية أهدأ، وموسى شرقية، ومجموعة كبيرة

من النوحات.

حدثت الفتاة بهشة وبراءة

- ما أمتح كل هذا.. سنزورك في اقرب فرصة، الى اللقاء!

عاد الى بيته القريب ماشياً، كان الجو لطيفاً جداً، وكان الهواء  
معتاً، وقد طاب له، بعد وصوله، أن يكتب فضلاً جديداً في  
روايته، فظل ساهراً الى العجر وعندها انتهى على فراشه وبان  
الى عصر اليوم التالي ثم بهس فتناول طعام العشاء وقصد معنى  
« مكي » مستشراً الراحة والصحو بعد نمب الرقص، وإجهاذ  
الكتابة، والنوم الميق الميق الدائم..

وهو هو سعيد وقانع ليلة الأسى، وقبله وقانع حياته في  
المعنى وأحاديث عيدي، وحواره مع البارون ميرانس، مصحفاً  
من كل ما حوله، راعياً في التحرف بأحد، حتى بهس العرب النسي  
يترددون على اسمي ويتعاطى بمصمم التهريب، وتبدل العملة في  
السوق السوداء مكسباً بمحنة مراغبة الأشياء في دونه، ومن حوله،  
في نوع من الاسترخاء والكلل اللوكي.

كانت تجلس في مائدة مجاورة صائناً، كانت تنظر الى أحد ما  
ولم تطل إحداها البقاء قدمت وخرجت بقيت الأخرى، إما  
ببساطة مودة عديتها، او بالنظر صديق ما، وقد بدا عليها  
القلق، فهي تكثر من النظر في ساعتها، وتكثر من التدخين راح  
يراقبها بمصول. كانت جملة ظاهرة التامة ذات شعر خروبي،  
وعيين عريضتين، مستديرة الوجه، غيداء وفي وجنتها غبارتان  
تكتسبها طابعاً متميزاً، خاصة عندما تبتسم.. لم يول الأمر، في

البد، أي اهتمام، بحالته النظر الى وجهها وطولها كانت تتحد صمه  
الاهتمام من انسان غريب. بحاله غريبه من النفس تتبدى على فناء الى  
جواره، كأنها هو رسام وضع على نموذج لوجه فريد، لكن النساء،  
تناولت علبة نحتها بعصبيه، ومدت إصبعها داخلها كأنها على يقين  
ان عه، في قاع العلبة، سكاره وحيدة ناقة لكبي، مع الأسف  
وجدتها فارغة، وعندها قبضت على العلبة في كفها ودعكتها، وفي  
اللحظة نفسها، قد اليها كرم عليه « الكت » قائلاً بانهمسية  
- تفصلي.. ارجوك!

فيها، وقد وصلت، كما خيل إليه، عرض شابه اراد الجلوس الى طاولتها، وضعت كتابها مشعة بوجهها معه

المساء أيضاً، التي أخذت بحركة كرم وتقبلتها، لم تكن على استعداد، مقابل بادرة فيها كياسة، أن تسمح لصاحبا أن يستل بادرته على نحو موافق، لو أتبع حركته بأي عرض لمصت فوراً، ولو عدم ه سبكاره اخرى لامتعت، ولو اصطح أي وضع فيه يظهر لادرته أما ن يصرف الى تدخين سبكارته، دون ن يجعل الالتفات إليها، ودون ان يستل ماسبة السبكاره مباشرة حديث معها، فهذا يعني أنه يستمر فعلته ويتصرف بحسبها. قالت في هذا «هل هو فرسي؟ ليس بالضرورة أن يكون فرسياً إذا تكلم اللغة الفرنسية، وحتى لو كان عرساً في لي معه شاب» إنه سائح كميره وهو وجد ويرغب في أن يكون له صديقه يرغب أكثر أن يكون صديقه على إلام بالفرنسية ثم هو يكبرها بشكل واضح حطبي اللون، في شعره بعض القياض، في نظراته شرود، متدل القامة مثلاً، على محول بالسبة لعمره، لا يسطر أحداً، ولا يتلف إلى اكتشاف الأشياء سرعة، شاب السائح الذي يريد أن يعرف أكثر ما يمكن في أقل وقت يمكن

مرة اخرى باصمها، ضيها لتجلس النظر إليه، انهم ارتسكت. ابتسمت، اطرفت، جادها صوته:

- هل لدى أنسي مانع لو جلست الى طاولتها؟

أجابات ببرود

- تستطيع ذلك لو اردت.

بعض واقرب منها، أحس وعرف بعه

- ٣ -

بوعتت المساء بحركة كرم وبلعت الفرنسية، وبعد تردد لم يدم ثواني، مدت يدها وتناوبت سبكاره، شاكرة بالفرنسية بدورها أشعل كرم السبكاره، وأشعل نفسه واحدة، ونظر إليها مباشرة غصت طرفها تحت وقع نظراته. كان مريح من شعور خاص يستنكها، فهي تعرف لا ن هذا الرجل الأجني كان يراقبها، وهي مسرورة لأنه فعل ذلك، وكارحه لأنه صطح في اللحظة المناسبة، لحظة بحثها عن السبكاره الأخيرة في علبته

تركها كرم تداري مشاعرها المستجدة. لم يكن متمجلاً، أو صلباً، ولم يبدر عنه تلك الحركة عن تمدد كامل، وليس هدفه منها اقتصاص امرأة، مها تكن رائحة الجبال، على نحو يتبدل فيه معه، فهو كثير الاهداد من هذه الناحية، ويختار طرح النص على الآخر، لجرد تعارف أو تحية، نوعاً من الرخص في السلوك، بأي منه، ولا يرتاح اليه حين يتبدى في أنها إنسان أيضاً لقد فعل ما فعل، لأنه وجد ماسبة ولأن المساء لفتته بقوة، فهي صميرة، وغريبة عن جز لنبي والفساد المتروك، وهي سمعه أو طالع، دليل ما تحمل من كسب، ورغم القلق الذي هم عن مواد صير، فإن فيها لاسبالاة واضحة بالنسب حولها، أو ليس مروا بها، وحدثوا

- كرم الجهادي

بيروشكا

جلس قبالتها، وقدم لها سبكايرة تناولتها وقالت

- آمنة، عدت سكاتري، ولم استطع الخروج لبيع حبة

سها

- هذا يصادى.. نحن لندخلى معهم هذه المصادقات، ولا نعلن

أهنة عديها

أصاف

- تسبح أنتي ان اطلب لها حبة من الكرسون.. ما نوع

سكاترك؟

- لا بيعون سكاتر في المنفى

- ادن نفنسم ما عدي، حتى نعلم من السكاتر معاً

- لكنني لن أجعلك تعلم لأجلي..

- هذا أفضل أنواع الإطلاس.. نحتاج قليلاً

- في هذه أنت مصيب.. تأمل! طالبة جامعية ومدممة هل

تدخين؟

- كنت في سكك أد أبعاً حتى أدمت.. برعم أنتي لم أكن

طاباً حامياً أبداً

تأملته ملياً، فكرت «ماذا يكون ادن؟ مظهره لا يدل على

شيء ميسر اجتماعاً لا هو بعام ولا فلاح مثقف.. حديثه يدل

على أنه مثقف.. لكن أي نوع من الثقافة؟ إنه لم يكن حامياً

قط.. ماذا يعمل إدن؟ ما هي مهنته؟ ما هو الوسط الذي ينتمي

(إنه؟ أليكون تاجر؟ رحلاً ثرياً؟ ومادا يعمل في الحر؟ سائح؟

و لمر؟ له مهنة؟» وقالت في نفسها «مها يكن.. فأنا بعد كل شيء،

لن ألتقي به ثانية.. مصادفة.. مجرد مصادفة.. ربما كانت معرفتي

بالمرسة هي التي رعبه في.. يستطيع أن يقدم حواراً معي.. يعرف

أشياء عن البحر.. أو ربما.. لكنه ليس من أولئك.. أم إنه

يتظاهر بالبراعة؟ من يدري.. سأكون معه كما أفا.. الأمر لديّ

سيان.. حين تعود صديقي نترق.. وبإسطارها أثرت معه قليلاً..

أدعه يأخذ فكرة جيدة عن البحر..

سألها

- يا رأي لئسقي أن شرب شيئاً؟

- شربت قهوة

- وأنا شربت عصيراً.. كنت ظان.. أما الآن فيمكن أن

تناول شيئاً آخر.. قدحاً من الويسكي مثلاً

- هذا لطيفاً منك.. ولكنني أفضل النبيذ..

- «نوع البند الذي تفصينه؟ إني أجهل أنواع الأسدة

عندك.. لذلك أترك لك حرية الاختيار.. دعيني أتعرف إلى دوقك

في هذا المجال..

انهمت بيروشكا.. قالت في نفسها: «الطيب هو أم يتلاطف

معي؟ هذه الطريقة في المعاملة تطوي على قدر كبير من التهديب

هل هذا مسبب أنه عرسي؟ يشتر شاكه بيططادي.. أليطسي

سبهه أي هذا الهد؟ لا يبدو من لمحبه أنه عرسي.. أعرف اللبحة

العرسية غاماً.. مع ذلك لا بأس، سأسأل الكرسون عن أجود ما

عنده من النبيذ.. لكنني سأقول له إن هذا دوق الكرسون وليس

دوقي.. أنا لست بحيرة على أية حال.. الأفضل أن أكون صريحة

معه..

قالت:

- في البحر أنواع كثيرة من النبيذ.. لسأل الكرسون عن أفضل

ما عنده..

- كما تشائين. ما دما لا يريد ان يختار، فلنترك الامر  
للكرسون.

أولاً الى المصيبة كانت قد عي التي تقوم بالخدمة في القسم  
الذي يجلس فيه، وقد تولت بيروشكا الكلام معها باجبره  
نصاحت المصيبة البديهة قليلاً وراحبت بعد أصداء السد بالمع  
على أصابعها وبيروشكا تبعها بحارة، ثم قالت حاسة للوصوع

- ريرلنغ .

وسألت كرم

- ما رأيك بالزيرلنغ .. ؟

- موثق . هل أن يكون مبرداً جيداً ..

قالت المصيبة

- إنه مبرد .. وأستطيع أن أتأكد بطل من التلج

سألت بيروشكا

- هل تحبون السيد صدم ؟

- لحيه . لكننا نفعل المرق عليه .. هل لديك عرق في المجر ؟

- لا . هل هذا عشرونك الوطني ؟

- نعم .. ثمجه باناء فيصبح أبيض كالجليب ..

- كيف ؟ تشربونه حلياً ؟

- كما يفعل الأطفال

- دعوا . أردت هل له مداد الجليب ؟

- ولأئذته أيضاً . ذفا للرأس وليس للمعدة .

هست بيروشكا قالت

- لم أصدق شيئاً مثلاً

ولاً أن رأ عجبتي فكرة الحسب هذه . عندما يسميه

بعضهم « حليب السباع »

- بودي أن أراك تترهب .

- وأن تترهب أطلب حباً .. لكن أحذري . قد أكلك عدند

(قالها وفتح فمه على مداه صاحكاً)

- انت جنتان ولا تفعلها .

- من يدري .. أما سمعت بأكلية لحوم البشر ؟

- ولكن هؤلاء في أمريكا .

روح في آسيا .. جيرانا

هعوا .. لا أريد أن أكون قلقة تهديب إنه حصول لا أكثر

عادت المصيبة برحابة الزيرلنغ . كانت باردة ، وداحل من

من الثلج تدومها كرم وأيدي إعجابه ، وعندما صفت المصيبة من

السائل اللامي في الكأس ، قال

- بصحتك يا آسني .

- بصحتك يا سيد

شربا . أشلا سيكارتين . كانت بيروشكا تنظر إليه الآن

مباشرة ، نظرتا تطوي على تساؤلين تريد ان تكتشف من هو ؟

ماذا يريد ؟ ما وراء هذه القهقهة ؟ وكان كرم يجلس ذلك ، يقدر

وعنها في اكتشافه غايته . غير أنه كان واثقاً انه لن تكتشف

شيئاً ليس بسيط . هو أنه لا يريد شيئاً ، تكفيه منعة الجلوس

مهما لو رآه البارمان هيرانتس مع امرأة يده السرعة لقال له

« حسناً صلت يا صديقي .. كنت أعرف أنك داعر من النظرة

الأولى » ولقدّم له . بعد ذلك ، كأماً ، على شرف هذا الانتصار

السرير .. ولكن هيرانتس واهم . ليست المسألة على هذا النحو إنه

لا يبحث عن انتصار بالملاقة مع الآخر . لو أراد ذلك لعاربه سد

ومن بعد . لكن الانتصار لمي . بعد كل شيء ؟ ولماذا بعد الرجل

بعضه . في علاقته كهده مسمراً ، ولا تعد المرأة نفسها كذلك ؟ هل ثمة

دكورية في البحر أيضاً؟ مظل الذكور في حالة احتياج فانه؟  
ونقدم؟ ونصاره؟ وسنلله لراء؟ سادها؟ وكل ما أعطها  
النوره الصاعه الأورويه؟

رجع من شروده فالى بروشكا مطرقة. كانت تفكر هي  
لأخرى، لكنها لم تكن مسحة. ظلال من وجوم توتسم عبد  
ملمبها كان معاً في المكان ولم يكونا معاً في الرمان، كل سها  
ذهب في سحبه، بدل من من جاءت؟، وسألت من من  
جاء؟ وقال في نفسه: «ما أعطها محبي من أكفة النساء» وذلك  
في نفسها «ما أعطه محبي من نساء اللوثي يؤكل» انه الى  
أنه تصرف بحريته. تذكر نصحه فيرلس «لا تصرف كمحري  
في المارش» حال في نفسه «الصرف كمحري يكن أن يكون  
خارج المارش أيضاً» قال مصدراً

- لا تؤخدي.. شربت قليلاً.

- وأب أيضاً

- كان علي ألا أقبل، هذا ليس من اللياقة..

- لا أحرص من الصرف الدقيق.. إنه مضجر.. أليس

كذلك؟

- قد رأي الساب

ورأيك؟

- لشرب أولاً. اضري، كأننا يشاهيان

- لحذر ادن. قد تشاهي عي أيضاً

- هذا تمييز شعر غربي من هذا..

- حدثني صك أولاً. تتعمك بمواعيد اللياقة في الصرف

دائماً؟

- أبدأ.. إننا أنا غريب.. وأحب مراعاة قواعد الملوك  
عندكم

- نحن لنا تقليد من الى هذه الدرجة.. أقول هذا عن نفسي  
على الأقل.. تصرف براحة.. كن أنت

- شكراً على هذا للساح.. ماكون أنا بصدر ما تكونين أنت  
أعني لن أطح الأشياء.. لنشرب أيضاً

شرباً جرعة كبيرة. ابتسا دون كلام. صار أكثر استجماً.  
تحرراً بوعاً ما توقعت أن يتكلم أكثر. أن يقول أشياء عن نفسه..  
لم يفعل. ما كان يتعمد لم يفعل لأنه لم يجد ضرورياً أن يقدم نفسه  
أكثر مما فعل. ولا هو سأله أن يقول أشياء إحصائية عن نفسه

اسرخي. رعب في أن يسرع في الشرب. كان هو الذي يقترح  
ذلك. ما كانت متعمدة، غير أنها لاد بالصيد. تركته يتود  
الحديث. لم يكن هذا علائقاً له.. أمس، مع البايومان فيرانشس، مع  
ذلك الصاة التي بطلت بدراعه، مع خطيبها، مع المجموعة كان أكثر  
فدرة هي الكلام. كان قد شرب حيداً، هم أيضاً كانوا قد شربوا  
حتى استنوا. يشرب حين يريد. يدعها، هي أيضاً تشرب حين  
تريد.. لا يحب كثرة الأعقاب.. لماذا لا تتكلم؟. تنظر إليه ولا  
تتكلم.. تبسم حين يصبطها تمنعصه.. هل هي حذرة الى هذا  
الحذر؟ تنتظر أحداً؟ تدعه إذا جاء. هذا الأحد؟ ألا تكمل  
الرجاجة معه؟ يقل الآخر، لو جاء أن يقاسمها التراب؟

سأله

- ماذا تترقب؟

- هذه كشي جامعية.

- في أية كلية أنت؟

- كلية الآداب.

رتاج بينهما شيء مشترك، جميل أن يكون الأدب هو هذا الشيء، ولكن الدراسة في كلية الآداب لا تعني أكثر من أنها دراسة، يعمل المترجم بعدها في التعليم أو غيره لو كانت كلت الآداب تخرج أدباء وأدبيات لامتلات الدنيا بهم، كما يملأ البحر بالسمك في هذه الحار يظن البحر أقل امتلاءً، فانسك بأكل بعضه بعضاً «ما الأدباء؟» «نعم، ألا يأكل الأدباء بعضهم بعضاً؟» وقال في نفسه «لو توقفت الأمر على اللحم، على قوة العصر، قوة الملك، القدرة على الافتراض وحدها، لكان الأكثر غباء وصحالة هم الأكثر قدرة على النهش..» (إنهم حيوانات «أدبية» ضخمة هؤلاء..)

سأها

- لماذا اخترت هذا المرح؟

- لأني أحب الأدب..

- وبك محاولات؟

- بسيطه أكسب مقطوعات شعرية

- مقطوعات أم قصائد؟ قوي الحديقة

صحكت

- لست شاعرة على كل حال.... هذا قلب كبير.. أنا مبتدئة..

أدرس الأدب المغربي بعد..

- من من الشعراء المغربي تفضلين؟

- اندره آدي.

- ومن أشهر شعرائكم؟

- الكسندر بنوي ولكن هل هذا اسمان؟

- تقريباً. غير أن العلامة ستكون بعد سماع مقطوعة من

شعر

- أسمع. لا تساعدني لتعني العرسية على الترجمة الشعرية

- لترجم الشعر أدنى إلى حر -  
- هذا جيد. الشعر والخمر مثلاً  
- والمرأة؟  
- ما رأيك أنت ؟  
قال صاحكاً  
- أهذا امتحان؟  
- تقريباً. والعلامة تأتي  
- لا تساعدني لتعني العرسية على الترجمة  
- يا لك من داهية.. تخاربي بسلامي بنسة؟

اعتدل في جلسته وشرب كأسه كله.. طلب منها أن تفعل كما فعل. قال لها «أرجو» صلاً الكأسين رغب عن الكلام الجيد، مال إلى المراح ماذا يقول عن المرأة؟ فه أشياء تحس ولا تدب الحب مثلاً. كيف يشرح الحب؟ ماذا يقول الحب عن بنسة؟ النظرة، هها، يكفي أبيع، أبيع، أبيع نظره وصمت إذا نكلت عن الحب أصمته بلرودة كذلك الشعر والخمر والمرأة ولكن أن تسبح الشعر، أن تشرب الخمر، أن تحب المرأة. هذه يصير.. تعيش، تحب، تستمتع به.. ولكن إن تتكلم عنه، كيف يستطيع تكلمتي، ان يسكن على المرأة؟ حتى لو استطاع فإنه لن يفعل المرأة بالسيرة إليه، هي الخمر والشعر والدب لو قال هذا نطقت انه يمدحها يموت كلاماً برصها يبالغ كي يمدحها، كي يظهر أمامها أنه رجل حصاري المرأة مصار في حصاره الرجل، هذا ما يؤمن به، لكنه، إن يفن ذلك، أمام امرأة من الخمر الأولى، هذا يصح في صورة كل الرجال. وهو يريد التميز.. يريد أن يكون هو لا غيره. من أجل ذلك يفضل أن يصمت، أن يسأها هي عن الرجل. يرى صورته في تفكيرها

قال

- في جلسة تعارف كهده، مع كأس النبيذ المتلوج، تصيح لمبه الدهاء باطله أنا لا أحب هذه اللبه في كل الأحوال وخاصة في لقاء كهدها. أنت تسأليني رأيي بالمرأة.. يمكن أن أقول ذلك بكلمتين ويمكن أن أقوله في محاضرة، لكن لس الآن لذلك أصدر عن عمري وفي انقباض، أسطح أن أعرف رأيك بالرجل؟

- ليس في جلسة كهده

- ها أنت ترفض النحية لي..

- لأنك تحب التعامل بالرموز. اعدوني على صراحي.. أنت، حتى الآن، لم تقل من أنت. ومن أين جئت، ومادا تعمل، ومادا تريد.. أنت، عدم المؤاخذه تلبّصك بالمولوفان.

- صحيح؟ ما كنت أدري.. حبيت نفسي واضحاً بما فيه

الكفاية..

- إذا كنت واضحاً فكلمني عن نفسك قليلاً كل ما أعرفه أن

نفسك كيف هو ؟

- كرم كرم امهادي

- ما معنى كرم؟

- الصفاء

- وأنا بيروشكا.. الحمراء الصغيرة

- اسمي إذن يا عزيزي بيروشكا.. أنا من سورية، من مدينة دمشق وقادم من الصين.. ومقيم في بودابست، وأعمل استاذاً للغة العربية في الجامعة وأحبّ الأدب لكني لم أكن يوماً في تخصصه، وفي كلية الاداب ولم أمارس نظم الشعر وإن كنت أحبه جداً جداً. ولا عرض لي، ولا أريد أيّاً شيء، من أي

إنسان - إني، كما ترون، أحب النبيذ فقط. وأشرب بحب نظارفا.. هل امتلأت الاسفاره؟

وتسحب اسفاره؟

- محضر تحقيب

- انراي شرطه؟

- لا حاجة اجتماعه

- انت لا تهرأ بي أليس كذلك؟

- يا عزيزي بيروشكا..

لكنه لم يكمل قطب حديد صاف ومصب وألمب التحية نظارفاها ومن تذكر انه وأها غلبت مع بيروشكا أول دخوله للنفس، صاعها عرف بعد ذكرت المساء اسمها لكنه لم يسوعبه جلت ومحدث مع بيروشكا باعريه بصاحكا وقالت بيروشكا

- السيد كرم.. أستاذ اللغة العربية في جامعة بودابست

- وددت لو كنت من طالبتك

قال كرم

- لشدّ ما كان يسمي هذا

- هل اللغة العربية صعبة؟

- ليس أصعب من اللغة اليابانية.

- وقالت بيروشكا

- أنت تحبها يا سيد كرم أليس كذلك؟

- وسأل كرم المساء

مادا تشرب اسقي بيبدأ ام ويسكي؟

- وحالت الفتاة

بل ويسكي

كانت، لأمر ما، تفرغ الى التحدي. يعود ذلك الى الحسد؟



حدثت صديقتها لأيا كانت موضوع استعانة من رجل؟ يكون ذلك لأيا أقل جالاً منها؟ لم تربح إليه؟ بيرة صوتها ثم من عدم تلاؤم مع وجودها. خائبة! ما أصعب للرأه إذا كانت خائبة؟ تحبى السامير في ثوب عذبة نبت سامير في أصابعها هو لم ير السامير، لكن رذها عليه تشبهها على كلمة «ويسكي» فيه مدر من المجيبة، وآخر من عدم الرضى..

وبنا عادت الكرسيونة بالطلب، بادو الى ممارسة ليدقة تتجاهل خشونة أسهل ما ترال تحت الطولة، قال

- بصحة الآسة

وقالت بروشكا معرمة

- ماكددا

- بصحة الآسة ماكددا .

فأجابته بفتور

- بصحة اليد

- كرم

وشربت جرعة كبيرة، فحطمت عسلات وجهها ليس إلا

- ٤ -

عند العروب اعرجب بروشكا أن يشوهوا قليلاً، ببحاء ساحة الأبطال كانت قد شربت من السد ما يكفي لكي يبدو مرجه قليلاً رابله النحفظ الذي لارمها في أول النعارف أخذت تنصرف بودة ظاهر رصت، أمام صديقتها، أن تمطي هذا الانطباع «كرم صديقي» صارب الأقرب إليه لانت بدور المرجه به وبين صديقتها، وبدلاً من استنار المرء في كلام صديقتها، راحت تعبه لأيا مكته ترد، ولو بشكل عابر نند لحطت لحظات النعارف رسمها اختصره، جعلته مسكوناً بحب ولد في يمسها على الأمل، صلاقاً كأنها تعرف كرم سد دهر، أو كأن قدرأ يهدأ لها، ولم تفعل هي، سوى الاستئصال لهذا القدر ساروا على اسداد شارع لسير، اعطفوا يياً الى شارع الجمهوريه المنصبي الى ساحة الأبطال كان المساء يياً، والساحة ملأى بالنزهين، وعلى جاسها المتحف الوطني ومسحف الى الشبكي بروشكا كانت تتكلم أكثر الوقت قامت بهمة الدليل كانت تنصر دأكرها لتحد الكلمات الرمسية الممرة وحين معورها، كانت تقول الأشياء بالبحرية وتصحك وهي تقول شاموش (أسعة) وتتابع الكلام على ساحة الأبطال، بتأثيلها البروبرية، وأسطورتها التاريخيه، حيث العائد الاكبر أرباد، الذي قاد المسائل

المجرية في هجرتها الى المجر كانت معصية مغرراً وحاسمة، وكرم عييد كي يجارها، متذكراً صديقه هيدجي، ببسببه الرجاجيتين الرقاقين، ويديه وأصابه وحركاته، حين يكون قد شرب، وطمس السكر يعلبه، ووقف كمن يخطب صائحاً. «نحن المجرىون يا كرم، من أوقف رجلاً الممول على أوروبا. هذه الأمة الصغيرة هذا البلد الصغير، بلد النحمان، هو الذي ردّ الممول على اعتاقهم، بعد أن اجتاحتها روسيا نفسها. لقد ابتدنا أوروبا من التتار» لوحة حربية، بوراسة سيوف وحيول أرباب العظم، والدراري من سل أريد است ي بروشكا؟

سألت بروشكا، وجاء

- قل لي، سيد كرم، هل تحب الناحف؟

- أأ من هواة الآثار.. يكاد البحث من التحف بأحد وقت مراعي كله هذا ما كنت في الصبح على الأمل هذا في بودابست، لم أبحث بعد.. لا بد أن أعمل..

- البحث ومتجدد. نحن أيضاً لدينا آثارنا القديمة.. ولديها أشياء حديثة بالطبع.

قالت الصديقة

- بأي نوع من الناحف تهتم؟ هنا لديها أيقونات أثرية شهيرة

ويكن انتبه، سمع إخراجها من المجر

- وممكنيتها.. داخل المجر؟

- لا أدري.. يجب أن نأل من هذا..

- سأعمل.. لست مستجلاً..

قالت بروشكا

- أتمنى لك التوفيق.. أنا واثقة أنك ستخرج على لوحة نادرة

- هذه عثرت عليها

- أليس؟

- في معنى «أم كي».

- أنت تخرج يا سيد كرم.. أليس كذلك؟

- أنا جاذ في ما أقول.. لقد عثرت على تحفني مصادفة..

- متى؟ سألت الصديقة

- اليوم. في حوالي الرابعة بعد الظهر

اجتمعت بروشكا.. صعدت على يده. بدت مرهقة لهذا

الإطراء أمام صديقتها. قالت

- شكراً يا سيد كرم.. هذا لطف كثير منك. لكننا كنا نقصد

النصف الحقيقية

- وأنا كنت أقصد لوحة حقيقية

- لكك بدأت تبائع

قال جاذاً

- ربما أكون مبالغاً.. لكني أصير الإنسان أعظم لوحة في

ديانا

- هذا في المطلق (قالت الصديقة جاذة وبهجة مسموعة)

- ويمكن أن يكون في التخصص أيضاً. بروشكا كانت لطيفة

اني أبعد الحدود. وأنا ضرور بالحرف اليها، وضروري اكبر ما لو

عثرت على أيها لوحة

تصاحبت العتاتان، تكلمنا المجرية. قالت الصديقة شيئاً لم يشأ

بروشكا ترجمته. دخل في حوار قصير، انصرف خلاله الى تأمل

بروشكا، جانب وجهها، عمتها، شعرها، صحتها، وحتى عيونها

لاحظ أن وجهها حين ال ترجمه أن أي تأثير يرف عنه لم يكن

وجهاً جامداً، مضغياً وراء قناع، بخلاف صديقتها. كانت هذه

موجة تروره خفية. تريد أن تكشفه بأكثر مما يعجبها. قال في نفسه

«أكاد أحرر ما يقول تنظي متملناً قد أكون قلت مالا يعني، ما يقوله الرجل كلهم لقد أردت، في البدء، نوعاً محباً من نكته أنا ست سريع البديهة مع ذلك جرّبت لمبه ذكاء فاشقة أردت التعبير عن سعادة قلت ذلك صادفاً الإنسان أعظم تحفه في هذا الوجود هذا ما أؤمن به لكن بعض الإيمان يحس أن يُكم في الحس أن يتسرّع انداء، حتى في إظهار إنائه بشيء، يجعله موضع شك ما أحسني محباً هذه السباحة هذا الاعداد، هذا البناء، كل ذلك، مع الطيبة التي أظهرتها بيروشكا، جعلني أعطي حكم قيمة قلت عنها تحفة تحمي الدرة أكون مخطئاً؟ قد لا أكون لكن ما هو أشد خطأ، أن تظن الصديقه أنني ألتقي وفي الحقيقة، ورغم كل شيء، هل كنت مسبقاً دون أن أدرى؟ لماذا؟ ما داعمني الى ذلك؟»

اعلم قليلاً، حاول ألاّ تدع ذلك يبيى، نطاهر أنه معنى بما حوله من مظاهر، وجد بمه يقول

- ما أروع بودابست يا هريرتي بيروشكا!

كان الليل قد هبط، كان ليلاً صيفياً، وكان القمر بدرّاً، ولأبواب، من على طرفي الشارع، ومن وسطه أهباً، تسطع بألوان بهيجة حلا به ان يهأل المدين مرحة في الدبة الماوراء، بد أنه وجد السؤال مبرحاً في الصبي لم يعرف العاية حتى في النهار لم تكن به صديقه هناك وما كان قادراً ان مجلس الى مائة في مقهى، أو أن يدعوها الى مرحة، هاء، كما قال هيدجي، الأشياء تخلف، «عندنا مثلاً» هذا صحيح يا صديقي، عندكم، مثلاً، بيروشكا، عندكم «ام كي»، ساحة الأبطال، البارمان فرانتس، ووريكا وخطيبها، المنع ها متوح، المريب لا يبنى غريباً، الحياة

الاجتماعيه تشده اليها قادر أن يجد صداقات من الأسبوع الأول، بل من اليوم الأول لكن الحذر ضروري أنت لن تخرج الصديق بكرم بهذه السرعة. بطلبه كهذا. دخول العاية في الليل، قد لا يحمل معنى طيباً، كفاً من غروانتك. تمنع بأمية صبيح خطوة تمنع بالضم، بالبناء الصافية، بالمجوم القنلة المتأثرة الأصيل لو مجلس مع الصنائع على مقعد من هذه النفاذ الكبيرة التي ينقاسها المرحون يتداهبها الشاق أنت لست عاشقاً لا تصلح أن تكون كذلك أنت في الأربعين أنت مشروع عجوز في الأربعين بيروشكا في العشرين ربه أقل ليست المسألة مسألة عمر بكك من تستطيع أن مجلس معها، وأن تختص وتنبها كما يهمن الآخرون لا أحد يلومك إن فعلت لا أحد يلتفت اليك، أنت وشاك، لكك أنت، تلتفت الى نفسك تارس إحساساً ذاتياً بعدم الرضى أنت لن تكون عجزياً كما أوصاك فرانتس.. لن تستحل جنوسك، لبعض الوقت، مع بيروشكا دع العاية وشاك، دع المناق وشاهم سمعل حساً لو دعوت صديقتك الى أحد المطاعم هذا أفضل أكثر مدعاة للراحة والأطشان.. أجلب للثقة

- هريرتي بيروشكا!

قال فجأة، كأنه انتبه لنوّه إلى وجودها بجانبه.

- ماذا يا سيد كرم؟

- ما رأيك، انت وصديقتك، لو تفلان دعوتي الى العشاء في أحد المطاعم؟

اعترضت الصديقه

- لا أستطيع، علي، الطلبة، أن أهود باكراً.. أسس جهزت الى الصباح.. كانت ليلة السبت كما تعلم، فرجعت بيروشكا - شرحت

ليلة واحدة، في المجر، تكون هادئة غالباً، بعد صخب ليلة السبت  
بحود المجرين، ليلة الأحد، إلى بيوتهم في وقت مبكر.. يترجمون،  
استعداداً للدراسة أو العمل

- فهمت، قال كرم، أنقبل الاعتذار في هذه الحالة. أنا أيضاً  
سهرت ليلة أمس

- أين، سألت بيروشكا.

- في مرقص «أم كي».

قص ما وقع له كان مسروراً باستعادة قصته، ووربكاً كانت  
دكية. وكان البارون مرانيس لطيفاً لقد قصي وقتاً طيباً وهو  
نعم قليلاً، لكن لا بأس بكأس بعد هذه الزهرة، مع غشاء خفيف  
لهو أنه لا يضر.. ليدع بيروشكا تتصرف..

قالت بيروشكا

- كان بودو صديقي وأبا، أن نقبل دهونك لكننا ليلة  
الأحد، كما قالت صديقي، وأنت أنت نأ بعد سهرة الليلة  
الماضية؟

- لم أرقص كثيراً ثم إني مت إلى ما بعد الظهر، هذا اليوم

- ولو لم تكن معك.. أين كنت تقضي سهرتك الليلة؟

- في البيت..

- أين بيتك؟

- في شارع.. كيف تقولون: بترود اوتسا

هنتس

- ولكنه قريب جداً..

- أجل.. نحن في المجر، تقريباً.

- هل تسكن وحيداً؟

- قاتلاً

- وكيف تقضي أوقاتك؟

- بالقراءة وسماع الموسيقى

سألت الصديقة

- لديك موسيقى شرقية؟

- هيسية مثلاً؟

- بل يونانية هل تحب موسيقى نيودوراكس؟

قال كرم

- أحب موسيقى فيلم زوربا.. أحبها جداً.. لدي موسيقى  
عربية أيضاً مقطوعات قليلة  
قالت بيروشكا

- صديقي تبيع بالموسيقى..

- لو كان لديكما بعض الوقت، لكنت سعيداً بسماع بعض  
الموسيقى معكم في بيتي..

- وهل هذا ممكن؟

- لماذا لا؟

- أهني هل تستقبلنا في بيتك؟

- بل أرحب

قالت الصديقة

- هل أن تكون الزيارة قصيرة

- كما تريد وسأكون سعيداً بسماع العزف العربية نكها  
قالت بيروشكا

- عظم موسيقى شرقية، ومهوء عربية هذا يعزف لا  
يقاوم

انمطوا من ماحة الأبطال الى سرور اوشا. ساروا تحت  
أشجاره الوارفة كان الطريق قصيراً، مرعياً، فيه حتى عن تلك  
اللحمة الصغيرة كانت يروشكا وحدها تتحدثان بما يشه الحسن  
بدا عليها توقع ما إليها معاشرتان في رفاة مرغمة، وكرم مرتك  
لاستقبال فاسي عريتين للمرة الأولى في به يفكر بقطعة  
الموسيقى، ومجدد النهضة، وكل ما يرحي صبيبه، ويدخل السرور  
الى قلبها

تولموا بعد الساعة ١٩ في ذات الشارع، كانت تلب العارة  
الصبية، وامامه السفارة القيسامية، فالت يروشكا.

.. أهدا حي لساعات؟

قال كرم

.. لا أدري. كل ما اعرفه ان الساعات كثيرة هنا. إنه حي  
ارستقراطي من ما يبدو

.. والسكنى فيه ممتدة.. انت الذي استأجرت البيت؟

.. بن الإذاعة.. هذا بناء يعود للإذاعة، فأنا اقدم برامج أدبية  
باللغة العربية إضافة الى عمي في الجامعة

دخلوا البناء الكبير. رآهم حارسة البناء لم تقل شيئاً كانت  
امراً ربه، شطه، شبطه، وكانت تعرف ان كرم ما يرل عربياً،  
ويجمل سمع لغرية وهذا سمع اسعراها توقف وحباها رص  
أب يدخل مطلقاً عد أرحها ولا شك سمعها تقول «نعموا»  
بالهجرية، صعدوا الى المصعد ومنه الى الطابق الرابع حيث سمع منه  
في أقصى البناء وسطل على حديقته الواسعة من جهة الشرق

فتح الباب ودخل امامها كانت شقته صغيرة، تتألف من  
عريتين، تمضي احداهما الى الأخرى وبينهما باب خشبي عريض إذا

فتح، صارت المرفقان عرقه واحدة مستطيه، وكانت الشقة، كي  
سلمها معروشة. فيها خواتان عريضان، يفتحان لئلا فيصعحان  
مريمى مردوجين، ويطلقان نهاراً معودان الى وضعها السابق  
مقعدن طوبلين للجلوس، مع ثلاثة مقاعد أخرى، في زاوية الزهرة  
الداخلية التي تطل نافذها على الحديقة، ومكتب صغير، في  
الزاوية المقابلة، وخزانة رجالية على طول الجدار، وجرانه  
ملايس، وكل ما يلزم لمائدة صغيرة

كان كرم، الذي حل منه من المصير صديق من التحف، قد  
استطاع، خلال أيام، أن يرتب بيته وعن دوق خاص، يتلاءم مع  
عرش يزرر بمص مفتحاته الأثرية النسبة والبادرة وضع على  
مكتبه قناراً كبيراً من خشب، يتل طيباً شبيباً، وعن قاعدة من  
جذع شجرة، ترك على طبعته، فبدأ التمثال الممهور، الجسم، كأنه  
بمصر فوق أرومة شجرة رائحة وعوى التمثال كلة من ورق مغوى،  
كقطاء لمصباح كبير، مردانة برسوم ساء صبيات، وداعها مصباح  
ملون وإلى جانب التمثال وضع مجلة جديدة، من أحدث ما  
اصحته شركة هليبيس، استوردها من هونغ كونغ، مع أشرطة  
جديدة، فيها كل أنواع الموسيقى وقام في الراوية المقابلة برافان  
من خشب الباهو، ممهور حفرأ ناعراً، عليه طور ودهور وفقوش  
فاسمة وفي الطبقة السفلى، الخشبية، من الحزامة الرجالية، أشأ ما  
يشبه «الباز».. فيه كثير من أنواع المشروبات، وبينها مشروبه  
الصيني المنصل «الموتاي»، وعلى رف الحزامة الطويل، غائيل  
خشبية، وخزعات من البورسلين الصيني القديم الماحر، وعن  
الجدران لوحات صينية عربية بصورها، عجسة برمجها اللوني، وفي  
كل رواقا للزينة، لوحات من عاج، قتل اعراضاً وامراضاً شعبة

صينية، مع لوحات خشبية معمورة، فيها حروف صينية، تشكل  
مها كلمات مثل المادة، العمر الطويل، الفصول الأربعة

أما العرفة الخارجية، التي تلي المدخل، فقد وضع على سطح  
حراسها أسداً خرافاً صينياً، من خشب معمور وغرس بهاليين، في  
حالة توثب للالتصاص من خشب أبيض، وفي كل أطراف العرفة،  
عند قدم الجدران، نثرت الخواوي والدن والأصص الخزمية  
الصينية، وفوقها، على الجدران، لوحات كبيرة رتبها على نحو ما  
شاهد في حواشيت باعة الأنيكيات في أحياء بكين القديمة، وما  
تبقي، وهو كثير، احفظ به في العسادين وهكذا قلب بيته إلى  
متحف شرقي، يهر الراي، وبجملته مدهولاً، متأثلاً، رافضاً  
الدخول، رافضاً الجلوس، قبل أن يشاهد ويتلقى، كل هذه الروائع  
من حوائله، تحت شبكة بسيطة من الأنوار البيضاء واللونة، مدها  
بفسه، وراعى في توزيعها جواً رومانتيكياً يساعد على الكتابة،  
على صوت موسيقى ناعمة، تحمته بمش جو الشرق الأقصى الذي  
هائث يوماً، وظل يوماً به، من إليه، ويستعبد في منعه الصغير

لقد ملّسه التجربة، وخبرته الثقافية الصينية، أن العمى، إذا  
ولعت على الأشياء مباشرة دهشت لمعطيات ثم كُتت الأمثل، في  
عرض التحف، أن تتكشف للناظر تدريجياً، وأن تبدل كل مدة،  
وتتمنى عليها، كما في متاحف، بطاقات تحمل أسماء أو شروح  
التحف، وأن يوضع، عند المدخل، حاجر كما الجدران الأمامية،  
دات الزخارف البسيطة، في اللاميد السوداء، كي تحجب ما في  
الداخل، وتسمح لرائر أن يدرج من الرؤى البطة، إلى  
العانة، إلى الرائحة في قمتها، وكان قد قرّر، أن يأتي بصور،  
وأعلام مبنية، مصورة تحفه ويشرها في كتاب، مع شروح عنها،

وقصص تحكي حكاياتها، وحكاية المنور عليها، وما رافق كل ذلك  
من طرائف، بحيث يأتي للكتاب أدبياً أثرها، مصوراً

باختصار، كان يحلم أحلاماً غريبة، وفي حبيبه إلى الجهول،  
وإصعائه، في جو للتحف، إلى نداء بعيد، كان قد صار إلى ما يشبه  
البوثة، هو يأمل، كل ليلة، أن يخرج إليه، من إحدى اللوحات،  
جنية ماء، أو يحمده على نحو مناجي، أسد أو مر أو تنين، وأن  
تصادى السماء ملكة الطيور، رسمها المنوش على خاوية حرمية  
ورقاً وتغير في جوبه لند مرأ وسمع، في الصبي، أن رجلاً كان  
يحبه التنين، وكانت صور التنين على عرى بيته، وحين عاد، وب  
يوم، إلى هذا البيت، وجد التنين قد تحسد، وبرن من الصورة،  
وأصبح تنبأ حقيقياً، مراح بصرخ، خوفاً، ويستعد بالهجران،  
طالماً قتل التنين الذي في بيته، وحين سأله عن سبب هذا الرعب،  
وهو الذي يحبه التنين إلى درجة المادة، قال لهم «أنا أحب  
التنين في الصورة، لكني لأحبه في الحقيقة» وعندها قال له أحد الهجران  
«أنت، يا سيدي، كالبورجوارى الذي يحب الثورة في الكتب،  
فإذا اشتعلت وخرجت منها، وصارت ثورة حقيقية في الواقع،  
دعها منها وطالب بالنساء عليها».

وكان كرم بكتر، في لوحاته ولحمه، من الأشياء التي تحمل صور  
الناس، والمصاصات، والميوم، والأشعار، والطيور والأرهار،  
والنساء. وكان التنين هو المفضل لأنه رمز القوة وفي الصين القديمة  
كان رمز الأباطور، وكانت السماء، رمز الرشاقة، وهي رمز  
الأباطورة، وكان يمشي في وسط كل هذه الرسوم والنقش،  
داكراً صديقه «هيدجي» صاعكاً في حره من ولده بالتحف  
الصينية، التحف التي كانت تنقصه الخبرة حولها، يشتري كل ما

يصادفه ظناً منه انه اثري ولم يكن، في حقيقته، إلا حديثاً كرم من أحد جواربه، أو نُطُحَ بمادة عارضة، فسدى كأنه قدم موعظ في الندم

دحين كرم يبينه أدب الصوم دعا صعبه الى الدخول سحرى وهو يرتجبه، تنذمت بيروشكا وبعدها صديقتها، لكنها مد صارتا في المدخل، وتعلّى لها النظر الباهر، صاحتا:

- يو، جويوي.. (آه رائع!)

ابتسم كرم، لم يزل شيئاً ما كان ممياً شيء لم يأت بها بعض إدهاشها لقد عرف، في حياته ماء كثيرات، عرف أكثر مما رغب ان يعرف ظل حيال كل شيء، لا مبالياً ظن مصصاً من الداخل، كأنه لا يملك عاطفه، وكأن الحب إحساس غريب عنه وكان يجيب هذه الحالة، ويستشعر فراعاً ويتندب ويأمن أن يرتوي يوماً، ظمؤه الداخلي، وأن يكتم الحسب الساحب في داته من شدة اني ما لا يدري، وأن ينهي قصة النصي، فيعرف ما يريد، ويحصل على ما يريد، ويصور له زوجة وأولاد، ويضعه شيطان يسكن جسده ويهسه وكان يهرب من واقعه (لؤلؤ هذا الى الكتابة، عارلاً جدي خلاصة، نكر الكتابة كانت تعدبه بدورها، صهرج الى الخمرة، والموسيقى، والبنمايا، ويخرج عن مواضع البيت، ويلود بنوع من حياة يوهسية، دون ان يجد دواء لما كان يسمه جوده القصر، الجسور الذي يفتت أحصابه ويهدم أهايمه ولباليه

ترك بيروشكا وصديقتها تندبشان كما ولد لها. تقدمها الى الغرفة لأول وأصاءه ثم دخل الغرفة الذبيه وجلس باستظار أن توافاه، لكن بيروشكا توقفت، جاءه صوتها

- سيب (جيل) شك سيب (جيل جداً)

وقال لها

- ادخلا - لديكما الوقت للفرجة

قالت بيروشكا:

- لا نستطيع.. دعنا - أية مفاجأة هذه؟ أية مفاجأة؟

وحين وصلت إليه، كان في عيها عتب ودهش، كانت، على نحو ما، خائفة، ومن جديد، انبعت في خاطرها هذا السؤال: «أليس هذا غملاً لاصطيادنا؟» قالت وقد اغتربت منه: - وبعد؟ قل لنا من أنت؟

كانت الصديقة في الغرفة الأولى ما تزال كانت غارس إحساساً بالغمرة كرم صديق بيروشكا وليس صديقتها قررت في ذاتها ان تسمع شيئاً من الموسيقى وتنادن بالانصراف إليها، بعد كل شيء، ضيقة وليس لها صديق هناك. وليس من المستحسن، أن تحاول التقرب من كرم، لكنها، في ذاتها أيضاً، كانت تحنى على صديقتها من الأعراف بدهشها، غالب في نفسها: «هذا الإنسان خطر بأكثر مما تصوّر، إنه يتخذ منهجه هذا وسيلة لاصطياد المجهبات إن امرأة تدخل الى هنا لا تخرج سالمة هذا المجهون، الذي يخط نفسه بالعموض، ويحق من سعة، ويملك مثل هذا البيت، ومثل هذه التحف الساذرة، ثم لا يتحدث عنها، ويدع للرائر ان يرى ويدهش، ليس إنساناً عادياً، وتصرفه بطوي على هدف، بل على أهداف إنه يهمه نفسة الآخرين، له حساباته وهذه البيروشكا، في معنى دأم كي - حبيته سائماً أو رائراً عابراً، وصدقت انه استاذ اللبنة العربية، وان مهمته في البحر تقتصر على التسليم في الجامعة لا أنا لا اصدق لا بد من تحدير بيروشكا ولا بد، من جهة اخرى، ان اكتشف غايه المسترة.»

جلست الصديقتان أخيراً. كانت موسيقى صينية رائعة تسمع من المسجل وكانت الأصوات الملونة تصفي على العرفة، بتعجبها ونائيتها، جواً مضاً، مخدراً، وعلى الطاولة الواطئة، المتديرة صفوف من الكاكير الاجبية، وعليها بعض الموالح، وعلبة من عيدن الخبز المألغة التي تؤكل مع الويسكي، وكل ما يتنى مع الجوى، ويغطي إحساساً بالراحة، وزعراء يتدوى الأشياء، ودعوة الى الشرايب.

قال كرم وهو يهيم:

- استأذن لحظة سأخذ لكما قهوة تركية

وقالت بيروشكا بصوت حميم، بعد ان صار كرم في المطبخ

- إنه أمر.. هذا أمر شرقي.. ما رأيك؟

- لست ادري. لكنني أخاف أن يكون اميراً رائداً. أنا لا أصدق أن أسناناً يملك كل هذه الأشياء يأتي لينسل في امر وما حاجته الى الشغل؟

قالت بيروشكا:

- وكيف وصل الى المجر، وبأية صفة؟

قالت الصديقة

- لعله يمثل دوراً. قد لا يكون أستاذاً في الجامعة، ولا علامة به بالإداعة..

- وهذا البيت.. أما قال إن الجاء يعود الى الاداعة؟

- من يدري.. بوذي لو أنني نظرة على هذه الكتب فوق مكتبه..

قالتا ونهبت. وصفاة رفعت كتاباً في يدها وصاحت

- انظري. هذا الكتاب يحمل صورته. إنه مؤلفه ولا شك

في هذه اللحظة عاد كرم بالقهوة. كانت قهوة مركزة كانت كثيفة بالنسبة للقهوة المجرية، وكان مذاقها طيباً وكان التبغ فاحراً وماد جواً من الضباب، برشموها القهوة خلاله، وتعالق حلقات الدخان، وكل يهكر في شيء ما، متصل ومفصل، وكل ينظر أن يقول الآخر شيئاً، أو يهضح عما يدور في خاطره

قال كرم وهو يهيم:

- لفتي هذا ما يشرب.. ليختر كل ما ما يريد.. أنا أفضل الموناي الصيني. لكنني لا أنصحكم به. هذا مثلاً من الويسكي مع الصودا. وبعد ذلك نأكل شيئاً ما في البراد. إنه غشاء خفيف.. أنا، في العادة، أشرب ماء ولا أتعشى

أحضر ثلاث كؤوس وملاعق، وهذا قالت بيروشكا

- الآن شرب نخب صداقتنا.

شرحت له ما يعني كأس الصداقة الأول عبد المجرى يهيم الشاربون بعضهم بهماً، ويتخاطبون، بعد ذلك بصفة المرد.

رفع كرم كأسه ودفق الكأسين القديسين وشرب ثلاثهم، ثم تبادلوا المصلات، ونادته بيروشكا، للمرة الاولى

- كرم!

وكان في صوتها دواء خاص، وتأثير خاص أيضاً، والتمعت في عسيها، نظرة مودة، وأدرك كرم، أن عاطفة جديدة، حارة، تؤشك ان تولد في نفسه، هو أيضاً.



قالت الصديقة

- يا ثمة في، ارفع في ذلك، لكني مسجعة مع هذه  
للموسيقى، وهذا الويكي العاخر، فلا تطلبني مساعدة.

قال كرم

- في هذه الحال، بعد العشاء، بيروشكا وان

قالت بيروشكا

- 5 -

- بل أنتي تبقى صتريماً.. دعني أتصرف كما لو أنني في بيتي  
كرة أخرى، أعدت عاريه كما لو أنني في بيتي، محي ودياً جداً  
في التمييز. طريقة وقوفها، ابتلاش الشعر على الجانب الأيسر  
للوجه، اهزار الصدر تحت المصيص الرياضي، عه الصوت،  
طريقتها في الكلام، بسماسها المدلّ بالاعتداد، المتساعجة مع ذلك  
الى درجة الاستئذان في أن نكون كما في بيتها، أبحثه كان تبها  
يسمر في عبيها، في شعرها، وطمولة محبة، تُردُّ الى البراءة، تصمي  
على كل ما فيها عدوية بامة، من تلك البامات التي في أشعار  
الحديقة، وأحياناً على حافة ناعده كات امرأة في إهاب فة،  
لولا أن المرأة تصعب على نحو ما في الحكايات، بصوجاً يسبق  
المر، ويشجع بالخمر والإثارة ممأ

قال لها

- بيروشكا!

مظرت اليه، في عبيه مباشرة، وأجابته بلهجة هجرية آسرة.

ايكن (نعم) (ثم استدركت بالعربية) لا..

ابنم لم يزل شيئاً كان يستمتع، هو وبه، بصوته هذه المرة،  
صوته الذي حمل كله بيروشكا دون أي لقب، واجداً بظه يوسفاً  
على غير عادته..

أكثر ما أعجبه فيها شعرها، كان من محي الشعر الحبل المس  
على الكسفين المتموج على صفحة الخند، دي الالتاعه الخاصة، كأنه  
شلال حرير يهجر من قمة الرأس، ويسرق على جانبي الوجه،  
مغطياً لنسبها، بفاعه بدارعه، للوجه البصاوي، به تري بأن بد  
يده ويمد، يداهب، يلهو، يحلم بدينا من غير ديانا.

مد رآها، في مفتي «ام كي»، قال في نفسه: «يا لروعة هذا  
الشعر»، كان صاها الرطب، قامها المشووه، عبيها، كل جسمها  
المس، في بكوبه البديع، لصاة ساعفت الرياضي في هارمونيها  
البديية، وأبررت، على نحو متبر، مدتها، في الصدر، في الردف،  
في الخصر، كان كل ذلك، جديراً بأن يلعنه الى جها، وأن يسحره  
ايها، لكنه من دون كل تلك الملاحه، أعزم بالشعر، ومي في غير  
دعبة، أن يتحلقه بأصابعه، وهو ينظر في عبيها هويلا وعمدا  
تفترحت بمحوبة فتاة يبرينه أن يشربوا محب للصديقة الجديدة،  
لاسي الشعر الحريري صفحة عده وهي تفكله، فاستمر نشوة فاعمة  
مرجة، تمأها لو تدوم طويلا

قال في رعية تنع من الطلب

- أمتطع، بظليل من الجهد أن أعد لكها عشاء خفيفاً

وصحكت بيروشكا

- ماذا يا كرم؟

- كنت ماذا أريد أن أقول..

- إذن تذكر على مهل.. هل أستطيع التصرف بحرية؟

- بكامل الحرية - اكتشمي الأشياء دون مساعدة مني.. للطبخ

أى بين اسخل، وإلى البار عرفة المؤونة - لن تجدي فيها سوى  
بعض الملأب.. لكنها تكفي - هيا يا صغيرتي.

قال «صغيرتي» بفصد هذه المرة. وجدها مضرة عن حبيبها ما  
يسمى من فارى العمر كان بشر، وهو في الأربعين، ان بيروشكا،  
التي لا تتجاوز العشرين، من ابنته لو كان متزوجاً، وهذا الشعور  
الذي كبح اندفاعاته نحوها، كان صادقاً، فهو يدكرها يدكر نفسه  
أيضاً، أن ثمة هوة، وأن اشتلال عاطفة بريئة، من طرفها على  
لأقل، يجلب اشتدته الخلفية وفي مطنى حال، من الضروري  
تسيبها إلى هذه الحقيقة كيلا يجنحها امل صعب التحصن، ولا يجنحه  
روغ، مصدره شهوة مصرة.

كانت التلاجه، في المطبخ، ملأى باللحوم والألبان والمأكلة  
والخضروات وثمة، في طرف من المطبخ، مائدة وأربعة مقاعد،  
وهناك خزانة للأواني، ورجاجات مبردة وكل ما يلزم إياه، من  
هذه الناحية يحرص على أن تكون الأشياء موهورة، برعم أنه  
يتناول وجبة العشاء في نادي الصميين القريب وفي الصباح  
يكسي بعضاً من المهوة وقطعة من البسكويت أما في المساء فلا  
يأخذ مع الويسكي إلا بعض الموالح كان الطعام، بالنسبة إليه،  
مادة لحظ الحياة، والشروب إكسيراً للشهوة، أما همه الحقيقي

هكان محصوراً بالفتوة والميكارة.. لذلك كانت هانا من  
الضروريات، وموهورتان يكثره عنده

قالت الصديقه التي ابعدت الآن، باحساس أشوي رهف عن  
جمال التفكير بأي صلة منه

- بيروشكا صديقه منارة.

قال كرم

- وأنت صديقه منارة أيضاً

- أنا؟ (ابتسمت) أنا شيء آخر

- كيف؟

- هكذا.. أنت نفهم ما أعني

قالت بيروشكا التي جاءت من المطبخ وعلى صدرها مربله  
لبلكنة وغامت بالفرحة بسما

- صديقتي موهمة بالمر.. لها محاولات في الأدب الرمزي

قالت الصديقه

- في اللوصوح الذي لمي فيه، لا يحتاج الأمر إلى رمز، كونا

صديقتي طيب، وهذا يبرني

قال كرم

- لنكي، ثلاثيا، اصدقاء..

قالت الصديقه متابعه فكرتها

- أنا خارج اللعبة..

- لماذا؟

- لأنه لا يمكن أن أرم من نفسي عليك أنا أيضاً، لي صديق

قال كرم

- وليروشكا أيضاً صديق.. أليس كذلك؟



- لا صديقة ولا روجه .

- كم روجة يأخذ الرجل في بلادكم؟

- الشرع يسمح بأربع زوجات.. لكن الناس، في وقتنا الحاضر

لا يتزوجون بهذه الكثرة . المتفانون يكتفون بواحدة

أبداً

- هذا سؤال تقديدي، بطيب للمرأة العربية ان نظرحه على

الرجل الشرقي دائماً الصورة تعيرت الآن، لم تتغير كلياً، لكن

الرجل الشرقي ليس في عبادة الرجل البدوي المروعة عنه . إنه لا

يتزوج كما كان يفعل السلطان عبدالحميد..

- وانت؟

- أنا لم أتزوج بعد .

- لماذا؟

- هكذا.. لأسباب خاصة..

- ولا تريد أن تفعل؟

- لا أفكر بهذا الآن..

- هل ثمة عوائق؟

- قالت بيروشكا بالمهرية

- كفى الماد الإخراج؟

قال كرم وقد فهم من عبوس وجه بيروشكا أنها غير راضية

بالإدراج صديقها

- دعها يا بيروشكا . أسئلة كهذه لا تصابي . أعدت

عينيها ليس لدي أهداف تحت التاب

أبداً

- لم أتزوج لأنني لم أحب.. قد يبدو هذا قريباً . لكنها

الحقيقة . ربما كنت أنفر من قيود المروحية

- هذا لأنك كاتب؟

- أنا؟ كاتب؟ . من قال هذا؟

قالت الصديقة

- رأيت كتابك على المكتب.. عرفت ذلك من صورتك عن

العلامي لماذا تتكلم؟ أم تراك تحب الموسى . ككل شيء في

متحفك هذا؟

- قد أكون غامضاً . هذا طبع أكثر منه دهاء.. في محاولات في

الكتابة، لكسي ، حتى الآن، لا أعتبر نفسي كاتباً .

- ماذا تكتب؟

- الرواية . والنصصة القصيرة

- كم رواية نشرت حتى الآن؟

- روايتي.. وبعض القصص..

- ولا تعتبر نفسك كاتباً؟

- لم أكتب ما يلقى جدار الصوت

- وهل هذا شرط ؟

- أنا أراه شرطاً

قالت بيروشكا

- جودي أن أقرأ يوماً ما تكتب يا كرم

- لا شيء متميزاً . ولا شيء بهري

قالت الصديقة

- الآن صار الأمر واضحاً.. أمت كاتب، ولأنك كذلك تريد أن

تسمى حراً . أن تأسف، ترى، تجرب وإقامتك في البحر، نوع

من التجربة وهذا البقاء، النوم، جزء من التجربة أليس كذلك ؟ إنك تعلمين ، صديقتي واد ، فأرتين في عرفة سريح قريباً سنرنا على قطعة خشبية وفي قميص أبيض ومشط حاد، نقوم بالاخبار اللارم على جديده . هل انا حبيبة

- ليس فاما

- كن صريحا .

- انت تجومين ، كمنحلة في الربيع ، حول وهرة بيضا .. أنا سأقدم لك هذه الهرة سأعطي عيسك إذ انطبت التعبير عن نفسي . لست صاا تجارب ومن أكون أدع التجربة تحدث لناديا أترك الامجرة تعرض نفسي عن الواقع حتى الآن ، لا بحرية ولا معجزة .. لا أركض وراء قصة حب ، ولا أعطي مبة عبيبة . يمكنك ، من هذه الناحية ، أن تكوني على غاية الاطمئنان

فانت يروشكا

- أب لا أبالي في علاقتي بالناس ، بالمدار الذي به تحربه ، أو فيه يقع حاصي وسأكون صمدا ، لو جاءني يوما رسام وقال لي " أريدك موضوعاً للوحة " إذا كان لدي ما يمد لوحه بهذا شيء جيد ، إذا كنت قادرة على إلهامه صورة ما فهذا حسن لا أعبر ذلك قصصاً ولا خديعة كل تحربه ، هي فائدة لطريق ، شريطه ألا تكون مفتعلة .. من جهتي أحب التجارب ..

قالت الصديقه

- هل هذا لأني نحاولين ان تكوني شاعرة ؟

- لا .. لأني إسمانة وكفى

- لاحظي أنك تقدمين نفسك كضاة بالغة الاعتداد ..

- وما المانع ؟

- في هذه الحال أشرب محب ثقتك الكبيرة بنفسك  
قالت يروشكا صاحكه

- لكن دون غرور ، أنا قادرة أن أأحد ما أريد وأن أطلبه أيضاً

- وماذا تريد ؟

- لا اعرف بعد .. لدي إحساس ، لكنه كغربة ما رالت تحت تلج رسمي

- هذا تعبير شاعري

- ربما . ما تقصدت ذلك . وأحب أن أكرم بواعصي ..  
قال كرم :

- كل رغبة مصرة ، يسبقها احساس يكون مبهماً في البدء .  
الإحساس امره ، المظني مع نفسه ، هو الفادر على اتخاذ موقف من إحساسه حين يعلن عن ذاته في صورة رغبة محددة .. يروشكا صريحة ، وعلى حق

قالت الصديقه في غير جهد لإخفاء انزعاجها

- هذه مجاملة .

قال كرم

- بل تعبير عن إعجاب ..

- لكل شيء غم

- وإذا قلت لك إني لا أطلع الى أي شيء ..

- أصدك لكك ، عذتد ، تكون في المادري .. أو لديك

صاع

- قصة " مانع ما " هذه قلنها سابقا .. حين سألتني عن السبب

في عدم رواحي حتى الآن.. لست ملوما بالنعمي . قد يكون هناك مانع ما ولكنه يختلف عما نظن

- بوجهية فلان إذن - إذا لم أقل أكثره هل لي أن أطلب كأساً أخرى من هذا النبيذ الصبي؟

قالت بيروشكا

- لا تسري في الشرب.. إنما في جو بهيج.. ولما طرعت متناولين نحن أصدقاء.. للشرب، مرة أخرى كأس صداقتنا .

فكر كرم في نفسه «هل أثرت عيرتي بميلي الرائد إلى بيروشكا؟ في هذه الحال أكون محطناً أسوأ ما يصادف الرجل أن يكون، في جلسة كهذه، بين امرأتين.. لو كان لها، هي أيضاً، صديق هيا كان تؤثرها الداخلي أقل.. بيروشكا قالت لها: «لا تسري في الشرب» هذا سيؤدي بها إلى مريد من العدوانية، أو إلى السكر السريع ثم شيء غير مريح لها.. يترجم عن نفسه في هذه الملاحظة المستمرة»

شربوا كؤوسهم بشهية وبشاط. هم كرم ان يقول شيئاً.. ووت بيروشكا حرفة ضحكها كرم وحده، أما الصديقه عند أسألت ما حبوا ان الكأس قد صرفها منه، قالت

- اسمي يا عزيزتي بيروشكا: اشكرك على تنبيهي إلى عدم الإصراف في الشرب ربي، في الحقيقة، احسن بالاستخدام مع نفسي أرغب أن أشرب ما دام صديقاً كرم قد نلظف ودعانا وحتى لو سكرت، ماذا يعني هذا، أنا أيضاً كي نقت أس، أمامها ما دام لا خطر قد لا أكون شاعرة، وبعبدة عن دراية الادب بحكم ميلي العلمي، لكنني أستمتع بصحبة روائي - وشاعرة!

قال كرم مدارياً الموضع.

- أشكرك، يا عزيزتي، على هذه الالتفاتة من جهتي أكون سروراً لو تدوقنا أنواعاً أخرى من الشراب. لا أحب أن نتذكر بأنني مصعب وأنكيا ضيقاً. أحب أن الصداقة التي شربنا كأسها مد قليل، قد ألقت هذه التكيلات يساً أنا صديقك، مثلاً صديق بيروشكا .

سم أنت تعارفين بأكثر مما يجب.. ما أردته هو التالي. بيروشكا، وبصاذه بحتة، معرت اليك في المنى، مدند وهي تصرف بحق هذه الصداقة هي ثمرى أن لي صديقاً، ولا أفكر، حتى مجرد تمكيد عابر، أن أصرفك عنها إلى نفسي كمن شئت أن تكون. طست نمبه بأمرك، بكك وأقدرني على صراحتي، لست من النوع الذي أفهمه.. انت غامض، غامض، غامض. هذا المتعجب ليس إلا صفاً أعرف أنك لم تصب هذا المع، لكن هناك طيوراً كثيرة مهياة لأن تقع فيه، وبيروشكا تجارف إذ تمحك ثقتنا من اللقاء الاول لا أريدها أن تكون صديقاً حولاً إلى هذا الحد..

قالتا وأصامت:

- أشكرك يا بيروشكا، على ترجمة كل أفواني بأمانة.

ساد صمت بعد هذه الكلمات.. أصبحت بيروشكا هي اللددة

ظل كرم جالاً راح يمر بأصابعه على الخشب قال في نفسه «هذه الصاة ذكية بعد كل شيء دكاؤها من النوع المحبوس أصدت الجو يمر عبر حفت ما أرادت، لكن ما دب بيروشكا؟ على ناعدي، تحط كل يوم بامانات صميرة، جيهه أنثر لها الحب، وأصع لها الماء بيروشكا لست يامه أنا م أصع لها طعاماً لست صاداً على النحو الذي فكرت فيه لست عامصاً إلى الحد الذي الذي

تصورته أنا لست في المرة لاصطياد جامات من أي نوع - صديقي  
 البرمان فرائس، قال لي «لا تكن عجرياً مع النساء الجربيات»  
 حسناً هاهي عجربة عجربة مع رجل عربي - تاجي، تهمي،  
 وتصدر حكماً علي - بينما كان ذلك يفعل السكر، لكنها لم تعد  
 الومي أنا لا أستطيع ان ادفع عن الشراب ولا أستطيع أيضاً،  
 أن اقف الى جانب يروشكا هذا - لا أريد، منذ اسبوعي الاول،  
 خصاماً من هذا النوع علي أن أتحس أن أدري الموص، وحين  
 تنصرفان أكسب صمعه في يوم في أول مها إني علي رعي بمره  
 المرأة، لم أعرفها كم يجب بعد - لكني، بعد هذا، لب هالكي أدرس  
 المرأة، أنا طير شرود طير مهاجر، وبعداً عندما يد أموس العودة عند  
 نسبح الظروف، اعود الى وطني لا أريد الماء ولا الارباط ولا  
 أية علاقة عاطفية.. لقد عجزت عن هذا طوال سنوات مصت..  
 امجرة بالنسبة لي، لم تحدث بعد.. الحبي القمعي الجسود يعيش في  
 داخلي، يؤرقني، يهديني، ولكن لن؟ يروشكا، مها كانت  
 العلاقة المقبلة بها، لن تكون إلا علاقة عابرة.. علاقة قد تكون  
 كبيرة، حميمة، لكنها ليست هي المرأة التي أعلا كاني، نطبه نظره  
 الآخر الصانع، الذي لا أعرف أين - ثم طارق العمر؟ أحب؟  
 أحده؟ أنلاعب بملب يمارة صميرة؟ ومدا تكون النسخة؟  
 الروح؟ كيف؟ المشرون عداً بيما؟ إني أدخل مائة علي أن  
 أوصف قبل أن أوغل في، ومن أن النرم معهد لا سل اي الوفاء  
 به..»

بهت الصديقة وذهبت الى يروشكا في غرفة للكسب، لم  
 يلحق بها تركها وحيدتي - صبي ما سعى في رجاجة التبيد وراح  
 يرشها على مهل وحين نادته يروشكا، وقد صالحتها وحبسها،

وعادت الالبسة الى وجهها، كان أثر الدمع ما يزال في عينيها  
 طلبت عليه سكاير «كنت» ضج الخراطة وقدم لها علبة، وأخرج  
 «كروسي» احدى كلاً منها واحداً جلس يدهن دون أن يقول أية  
 كلمة

فالت الصديقه وقد بهت  
 - الان أستطيع أن أودعكها.. لقد تأخرت  
 قال كرمو  
 - سألني منك .  
 واهت يروشكا

- يقوم بزهة صميرة.. أشعر بحاجة الى الخروج  
 ركبوا سيارة أجرة من أمام نادي الصحافة، انطلقت بهم الى  
 العوان الذي أعطيه الصديقه لها ودعب وانصرفت فالت يروشكا

- كرم! اب لب عاصا من تصرف صديقي؟  
 - أبدأ

- قال أشياء مث

- هذا لا يهم

كسب طناً معها على كل حال

- وهذا ب يجب

- وكنت طناً جداً مي

لا يعني هذا اب صديقه عزيزه

- أب لا تريد شيئاً مي؟

لا شيء

- لماذا كل هذه الوليمه بدن؟

- بحاجة مازها.

- لا أشعر بحاجة الى النوم .

- ولا أنا

- لنعد الى بيتك إدس

- بل الى الكلية

- أنت لا ترهيني إدس..؟

- أريدك جداً.. ولكن بالنسبة الى اليوم يكفي .. عودي الى

كلبك.. أعطي الموان للسائق

- هذا قرارك الأخير .؟

- نعم . بالنسبة لهذه الليلة

- قبلي ادس..

- سأفعل عندما يصل..

ترجلاً امام باب الكلية . وحين ألقت بحسها بين ذراعيه .

كانت سعادتة هائلة، لقد داعبت يده ذلك السر الذي افشى به .

ويكتبر من الحسا قبلها في خدما غائلاً

- ليلة سعيدة يا عزيزي

- ٦ -

كما العصفية ، حين لا تسد ذاتي ، ونكوب الرذيلة مرهضة بمقل  
بارد ، يكون المعاف ، حين مرصه على انفسا ، مدعاة لألم شديد

كرم رخص اقتراح بيروشكا أن تأتي معه الى البيت ، لاد بمسحة  
من التماسي ، وأنر أن يتألم هو ، على أن تتألم هي ، حين نكتشف ،  
في الأيام التالية ، أنها سرّعت ، وأسست نفسها إليه من اليوم الأول  
لظنار..

هذا سطق غفل لا سطق قلب ، تحليل إرادة لا عاطفة . لقد  
كبت عاطفته وعليه أن يتحمل عذاباً بغير ضرورة

بعد أن عاد الى البيت شعر ، فجأة ، بمرح . هل يدم لأنه لم  
يرض بعد بيروشكا ؟ كان يمكن أن تسمى ، وأن يحيطها  
بالأحرام ، ويصوبها ، ويحاط على مودة الصداقة البريئة بينها  
لكنه ، في تروة كبرياءه ، رخص ، الأصح حال التجربة

وقف الى الناعمة ، كان القمر في بيانه التي يكتمل فيها صوره  
النتشر في سماء صاعدة ، يسطر رحابه كون ، يريد هأؤه على نحو غير  
مجهود وكان إحساسه ، يده الصوت ، يبيع ، ويخرج ، يوحس من آخر ،  
يبيع ، بسبب من أنه استمت اللذة ، في نظرات امرأة ، معنى وجود  
جديد ، موزق



وعندما ارتد عن القادة، وضع شريطاً جديداً لفيروز. أصمى طابعت معه، حسب كلاً من اليزانوف، يرده بمطمة تلج، استشر رغبة في الكتابة، معرونة بحاسة غير موهودة، وشاعر غير موهودة بصباً، لكنه، في محاولة لأكسده الانطباع الذي حمله في يروشكا افترس أب تشلطي على سريرها الآن، حالة بما لا يبري، وهذا السؤال يرادها « من هو كرم الجاهدي هذا؟ وأبه يد مجهولة دعت به من الشرق الأقصى، بالبحر، بواذيب، وجمعه، على غير سعاد، في معنى «ام كي»؟ وقال في نفسه «إنما تجهل من أنا، وهذا ما يثيرها ويثيرها في أن»

كان سبباً كما لم يكن في أي لغة سابقة، ومرتكاً، لعمره عن تحرير ترجمه عاطفياً، وكان حديراً ورعباً في أن يعود إلى يروشكا ويدهوها للسر إلى جديبه، لكنه، لأمر ما لعلها الرغبة في تعذيب النفس رمض مذبضة بحمله عصبياً كما قال له اليارمان عبر أس قال في نفسه: «وليلة مقابل صبحه؟ لا هذا سلوك خبيث.. قد تأتي الصبح، لكني لا أريدها بدلا، بل نكرمة حبه إمارة معه أميره من بلاد الديوب، غير أن شيئاً مقابل شيء، بحلبي أي تاجر يسدل ربه، هب، ليس للنعارة وصحبه لن يكون معاً، وسلوكه لن يحط إلى درجة التعرير بأيام قاتل»

صاحب مبدأ هو، ومن أجله، دانت يوم تترد عن وطنه البعيد عرف الجوع، نام في محطت امرو اخبأ تحت حجر لسمي البرد والعيون، رجل، لا مال، لا عمل، لا بيت، لا حبيبة سفر.. خمس من السنوات مضت، خمس طوال، سنوات معي، والوطن حرة مشاعر، والآه في القلب، حرة، والشمس تعرف، والفمر يعرف، وهو يسم، لأنه مكتوب، من تاء الارتجاع على الشدائد، عنه أن

ينتم، إلا أن الأسى نبر، ومن يمع النهر، أن يشق ملاً في الصدر؟ وكان اسل سؤالاً مستقاً في مساء الأيام لماد؟ وفي الجواب بيت من الشعر: من الذي، في الحب كما أديم الوطن؟ والمكاناء مع وحرمان. «أيا الوطن، باصرة مشاعر ندية كالنهر، حاسة كدموع الطفل، ماذا جيت أنا؟»

في الصبح مات إسباني حاجر.. ثلاثون عاماً من الغربة والنرد ثلاثون عاماً من الكدح صد فاشية هرايكو وأخيراً توقف القلب النابض عن طاوله حشيه والنعم الإسباني عن النابوت ومهاجرون مثله صعيون مثله، تجتموا حول النمش، وبهابة عرف الشهد الأثمي، وذده الذي احترقت قلوبهم على شفاهم، ثم تدمت الدرجة، رفيعه الصال والغربة، وتناوبت وردة من النابوت هذا كل ما بقي، وهذا ما سوف تحسسه يوماً، إلى الوطن

لقد احترق كرم أن يهر الليلة وحيداً لفيروز عنت به في وحدته. ومن مساء العرفة أطل وجه المناضل الإسباني: «أنا لم أعت يا رسمي أنت، وهو والآخرون، والأخرون وشمي، هناك، ووطي، والديا، والرماني» وقال في نفسه «من أجلهم هؤلاء الشهداء، ومن أجل الأحياء، يجب أن نضي، وأن نعمل».

في الصبح لم يستطع أن يكتب البنية لا تعطي إلا في أرضها صبح أنه تسلى جمع نهما، آخرن حسباً لكنه لم يكتب، وهذا ما أرقه، ثم مشى به الشوق في طريق المودة طريق الاقتراب من الوطن أكثر. وهاهو في بودابست.. لا يتقصه عمل، ولا بيت، ولا مال بل شيء أثم، لكنه مجهول، بمر اسم وهو يريد أن يجد له اسماً، أن يعرف ما هو، وما سر هذا البروع الاكثاني، الذي يمد عليه سعاده، كلها أصبح وحيداً

مكر. «هل العربية هي مصدر هذا الإحساس بالقلق، أم أنني قلق بطبعي؟ لم أعرف الهدوء في الصبي، وظنني أنني أعرفها في البحر، برغم هذا الجو من الحياة الاحتجاجية المميتة التي أنا مبدل عليها، وهذه العاطفة التي تبدت اليوم في عيني يروشنا»

ظل يروح ويحيي في الغرفة، بين المدخل والمعدة. كانت الحديقة تلي ذلك كانت مستطيلة، ممتدة بشبكة حديدية، ذات أشجار باسقة، وفيها زهور، وخضرة وسحب لندرة الطائرة، وحشب، وفيه، وفي ضوء القمر، كانت ظلال أشجار تعطيها جواً من المهابة، وسط الصمت وامتناعات الأصوات من البوارج، ورنه المدينة التي تنفس عبثاً صيفاً خاصاً وفاغياً.

هنا، في هذا البناء المؤلف من ستة طوابق، كان عليه أن يعيش، أن يكتب، مكثراً روايته التي بدأها في الصبي وأتمتها بعد الأيام الأولى لوصفه، لعله أن سكان الباء حذيت من أجاس جهم العمل في الإذاعة أو الجامعة وكان في الطابق الأول والطابق الأرضي، ثلاث أو أربع من العائلات العربية، رزدها عائلته هائلة، بعد أن جاء الرجال، ليلة وصوله، وسلموا عليه. وكان جاره، في الطابق الرابع، طبيباً موقداً للمل في القسم الإيهائي من الإذاعة ومعاينه، على طرف القوس المستطيل نساخه، يسكن رجل امكثري وروجته، وثمة، في الطابق نفسه، عائلتان، إسبانية وتركبة، وكان رب العائلة التركية مهاجراً منه، مُرس المسمى عليه مرحباً، فهو يمس في القسم التركي، ويشكو الربو، ويكتب قصصاً قصيرة، وقد احتسب به حفاظة غير قلقة، لأنه يعرف التركية، وتجمع معها صلات المكر والسعة

لهذا حين طرق الباب، في نحو المباشرة، حسب أن الطارق هو

صديقه صاء التركي. ولقد سرّ بذلك، فهذا الإنسان، رقيق الخاشنة، للريح. كان فيه شيء من الأبوة. كانت طبيته، بوجهه المريح، وثأريه المنهكين على عه، تمنح صداقة صدوقة من الوجهة الأولى، وقد اعترم كرم أن يصرّ عليه ما جرى معه الليلة، غير أن الطارق لم يكن صاء التركي، بل حسن الإيراني، وكان حسن هذا شاباً في نحو الأربعين، رباعياً، خنوقاً، تعرف عليه في الصبي، ثم هاجر قبله إلى البحر بعد أن تزوج حبشية، وله صبا ولدان، كان حسن من تيرير. ومن خباط الجيش، وقد هرب من إيران، إثر الانقلاب الذي وقع على مصدق، وبيع منه الشاه ماضيين بقدسيين كثيرين. وبينهم ما لا يهل عن ٦٥٠ صابطاً في الجيش، حسن يحد بأعجوبة، استطاع الوصول عبر الحبال، إلى ادريجان السوفييتية، ومنه إلى موسكو حيث درس وحصل على الدكتوراه، لكنه، لإجاءته التركية، كان يدرس فيها في الصبي، ثم في بودابست بعد ذلك

دخل حسن دخولاً صاعباً كعادته، وبلطة عربية، ذات لكمة فارسية، صاح وهو على الباب:

- السلام على أمة العرب

رداً كرم:

- وعلى أمة المعجم السلام..

قال حسن

- ليس هكذا يا صديقي. لا تقل أمة المعجم... هذه كلمة

سيئة.. قل أمة العرب

قال كرم مازحاً.

- طيب.. ولكنك من المعجم يا حسن. لماذا تذكرني لك

العربية تصحك.

هاويل لوبه وعلى الصعيص عشاق.. بودابست مدينة العشاق وقال  
في نفسه «آه يا مدينة العشاق ما أروعك»

حالا على الجسر مرقا، في الرحام، غلل الجسوم، شها صوفاً من  
المطور. وحين صاروا على المصيف.. وجد حسن من واجه ان  
يشرح قصة الجزيرة

- هذه الأرض، التي تنظر البحر أي شطرين، اصطاعية، أممي  
لم نكن كذلك في الأصل، لم نشأها الطبيعيه بها الإنسان  
مارعريت، ابنة أحد ملوك الجبر، رجعت أن تكون لها جزيرة  
وللدها حق رجعتها، أنشأ هذه الجزيرة، وأطلق عليها اسمها..  
- يا للروعة! هتب كرم..

قال حسن

- الجزيرة في النهار، مشرته.. هنا يتره الناس فيها مسبح  
كبير وعلى الصب، من حواله، ولما فات بعيدة، نستبي آلاف  
الاجسام.. فتشم في الشمس.. تسترخي، عارضة اشكالاً جيدة  
نساء فائات يحمل البك أنك في الجبه هنا المهوريت التي  
وعندنا يا.. اما في الليل، وبين الورود والأرهار، وهي مدهد  
متناثرة في كل أنحاء المدينة، فلا تجد مكاناً الا بصوبه حين  
مري شيبين متعابين، متعاصرين يتحجب، يمانان، تخشى ان  
تتكبر صمومها.. لا أحد يسأل الآخر ماذا تفعل.. كل زائر يتره  
على هواء، يثني، يجلس، يميل حبيبته، يارس حريته، كأه وحيد  
في الجزيرة

قال كرم في نفسه «لا بد أن اروي هذه الجزيرة مع يروشكا .  
تري تحب يروشكا جزيرة مارعريت هذه؟»

قال

- أنا أنكم العربية على طريقه سعدي النيراري

- سعدي كان يقن العربية، وصعب أشعاره فيها..

- هذا دليل على أنا أمة ذات حضارة.

- لكك أنت تتري لا أكثر

- وهذا التتري جاء لدعوتك الى سهرة في جزيرة مارعريت .

وصح كرم دهشاً

- في مثل هذا الوقت؟ الساعة تجاوزت العشرة يا حسن!

- وفي مثل هذا الوقت تبدأ السهرة.. ألا تتحدن أنها البدوي؟

هيا . ستكون سهرة رائعة

لم يستطع كرم التمسك، فابتاد الى صديقه وخرجا..

كان الليل قد ابتدأ اكثر.. أصواء المدينة ما زالت تشع  
حاملات الزحام تأتي من عدة جهات تدور في ساحة يحد منها طريق  
إلى جسر على الدانوب صمدا الحافلة، كانت عاصفة بالاس،  
بودابست لا تنام هذه ليلة الاحد، المفترض أن الذي سهروا لديه  
البيت، وهم الكثرة، قد عادوا الى بيوتهم للراحة، مع ذلك المدينة  
مردجة، نشطة، فرحة، انبعاث. قال كرم في نفسه: «هذه باريس  
أخرى» أضاف: «هذه باريس دون شارليريه، دون مونمارتر، دون  
حي لا سي، لكن لما هي بصاً، شوارعها، واحاؤها التي لا تمل  
روعة غوثي ذلك فيها الدانوب، الدانوب الاررق.. هذا الذي لا  
يمرغه إلا من وقف عليه. شاهده للاً.. أدرك سره في وقفة طويلة  
يتكلم خلالها جاله شيئاً فشيئاً.. كانت هناك اجسور، السج،  
الأيبة، الأصواء، والنساء تساب هادئة، تكاد لا تحس باسمائها،  
لا تهم لمتها لكها تتكلم ساه الدانوب تتكلم، ولها ررقاه، ومها  
موسيقى خاصة، مرحة، فانسية، ومها ينعكس القمر، وتشكل

## ٢ - وهذه الأصواء، والأسية ٢-

- هذه مفاهيم، مراقص .. مضامير .. الناس، ها، لبوا كل في  
الصبي، في صدورهم قلوب، يملكون، يكسبون، يحققون .. لا  
يرسون الحب على الناشف يبدأون بالترب، والرقص، النساء،  
ثم، في نهاية الليل، يذهبون إلى الفراش يتخيمون ليلاً ختاماً  
سعيداً ..

دخلا أحد المراقص شرباً سبباً رقصاً أيضاً لا يسم أن تكون  
ميك امرأة تواقصها، تستطع أن تطلب بتهديب، أية فتاة أو  
سيدة إلى الرقص .. ولن يرعبك أن تستدري .. هذا مألوف .. لكن  
النساء لا يتدنرن .. خاصة إذا حدث تعارف .. يرتصن .. يهرن ..  
والجتماع متزوج، لا أحد يفتي وحيداً أو عريماً صدق البارمان  
مردش .. سيكون جليلاً أن يتعرف إلى إحدى في الجهر، أن يدخل  
الاجتماع الجهرى، أن يمسى وحدته في الاجتماع الصبي العلق

حوالي الساعة الواحدة فادر، الجبرية، داراً حولها دورة كبيرة  
انتظروا سيارة أجرة فوق الجسر .. مرت بها عدة سيارات ولم  
تتوقف كانت مشغولة بمواصلات الأخرى، الترام والناسات،  
تولفت المترو وحده يفتي إلى الصباح محطة المترو كانت بعيدة  
اقترح حسن أن يسيرا راحب يبرون ويوقفان بلوحيان  
للتكيات .. لكن هذه كانت تفرق كالسهم .. إنها ملأى دائماً

قال حسن

- طي أنا سمود ماشين ..

قال كرم

- هذا أفضل .. الليلة للنهر .. لديها، غداً وبعد، وقت طويل

لنوم

قال حسن

- أنا لا أستطيع أن أناحر أكثر سلعى عائلي لا بد من  
النوم على تكسي ..

صحت ساعة أخرى ولم يعمروا بأيها واسطة نقل، كان حسن قد  
اعرب من بيته، ذكر ذلك عرساً، صدقك أحراً عليه كرم أن  
يفترقا قال

- اذهب أنت إلى بيتك

- وأنت ؟

- اتكبح حتى أفوز بواحد من هذه التكيات،

- وإذا لم يمالك الخط .. ؟

- أصل إلى بيتي ماشياً

- لكك لا تعرف الطريق

- أنا أحفظ اسم الشارع دني على الحية التي هي أن أسير

بها

- ولماذا لا تنام عدي ؟

- أريد للمودة إلى بيتي .. لدي شغل بعد ..

لم يجد حسن، أمام إصرار عديقه، سوى الإذعان، أوصله إلى  
شارع رئيسي، شارع الجمهورية، وغال له تذهب بصورة مسومة،  
وعند نادي الصحبي تحطت إلى السمن هل تستطيع ذلك ؟

قال كرم

- تماماً .. إلى اللقاء .. لا تعلق علي .. لن أصل الطريق، ولن

أصبح ..

لكنه، بعد قليل، صلت الطريق وصاح لم يصل إلى نادي  
الصحبي، ولا مير بين الأتبة، مرر أن يسأل أوقف أول رجل

صادفه في الطريق وسأله. كان هذا كهلاً، وبجمل أي لغة سوى  
الحرية لعل كرم لفظ عبارة «بترور أوتسا» بشكل غير واضح،  
أو أن الرجل لا يعرف هذا السارح الغري، وهكذا مثلت عدولتها  
بمعانهم

كانا يقفان على الترسيع ومن روائها فتح باب، خرجت منه  
سيدة أنيقة، على كتمها شال، وفي قدمها حذاء عالي الكعب،  
كان وجهه، في صمت اللل، يمطي إيقاعاً طروباً. وعندما اقربت  
منها، أوقفها الرجل الكهل وطلب منها أن تتعاهم مع كرم، وتعرف  
ما يريد.. لسوء الحظ كانت تجهل الروسية. سألت كرم إذا كان  
يعرف الروسية. نظى أن العرج قد جاء، كان يعرف بعض كلمات  
روسية.. قال هـ

- صوما (بيت)

- قالت السيدة

- وأ.. (نعم)..

قال كرم، بعد تفكير..

- بيت (لا يوجد) كان يريد أن يقول لا أعرف.. حسب أن  
كلمة «بيت» تأتي بالمرض، لكن السيدة ذهنت.. كيف يكون  
رجل لا يبتله في هذا اللل؟ ابسنت، كان النوع عرباً وطريفاً  
وكان الرجل الكهل قد مضى في سبيله، تاركاً كرم والسيدة  
بمعاوراه

قالت السيدة وهي تصحك

- صوما (بيت)؟

أجاب كرم

- بيت (لا يوجد)

صحكت السيدة من جديد، وقالت وهي بمطية درامها  
- دا (طب)

سارا دون أن يعرف إلى أين تقوده كان يحسب أنها سوصله  
إلى أحد المصادق وقال في نفسه دلاً بأس، أدام في الصدق لقد  
قصت يوماً لا ينقصه المفاجآت لكنه يوم لديد على كل حال  
صباغي، في هذا الليل ليس مشكلة أنا لن أقتله إلى مائة عدأ  
سأحرقه حياء وحس وكل الجيران بما وقع لي ومن يدري فقد  
اكسف، في بنة بيلي هذا، شيئاً جديداً، شيئاً عجيباً مودجياً،  
وهذا ما أشده، لا بأس من الصباغ قليلاً، لماذا يجب أن يمش  
حائناً كلها ونحن نعرف سناً أين نصي؟ وهذا سلقى؟ وكيف  
سنصرف؟.. اللصة على حياء معروفة، ومحسوبة كهدية، امض يا  
كرم امض يا بوي لا بد أن تجد عرفة نؤويك في آخر هذا  
الليل هـ

توقفت السيدة بعد مسافة قصيرة حاول أن يكلمها بالفرنسية  
فهم يصيح هزأ برأسها بعباً إب تجهل هذه اللغة، لكنها حسبت  
عربياً وكانت نظري وجهه وتصحك، ومن جديد ألقت عليها  
سؤالها المجهود

- صوما؟

وأجابها

- بيت

ومصاحكت وقال

- دا

وسارا من جديد.

انما جاء كانت أنها وقعت على باب مرفص. مردان مدخله  
بأموار مبنية، وقالت له، بإشارة من رأسها  
- ادخل

لم يمانع كرم، تركها تتمهده. هيا، أهنأ، يمكن أن يهر  
سيظل ساهراً إلى أن يعلق الرقص أبوايه، وعدده يواجه ما  
يستجد باستعداد طيب لنقل الجهول. سيذهب إلى الصدق، إلى  
البيت، وإذا رضيت السيدة أن تصطحبه إلى بيتها ستصح له  
هجة.. ستصح بذلك حافة طيبة ليلته..

تكلت السيدة مع البواب، قالت له شيئاً بالهجرية. كان في  
المدخل كشك صغير لمطعم التذاكر وبيع الدخان. أخرج من جيوبه  
نقدوداً أجنبية دولار اسرسي، مريك مرسى، لكن قاطع التذاكر  
هز برأسه سلباً. قال.

- فورت (عملة هجرية).

تذكر كرم أنه يحمل شيئاً من العملة الهجرية في الجيب الداخلي  
لبزته، أخرجها وعرضها، فتولت السيدة «خيار ورقة من فئة لثة  
فورت، وتسلم تذكرته ودخل وراءها انضمت مائدة قريبة إلى حلبة  
الرقص، وأشارت به فجلاً. قالت له ان اسمها «ارحي» فخطها  
مرة أخرى «أبرجكيا». كان هذا اسم التصغير، للتعبية، على  
عادة الهريون، وقال ان اسمه كرم. ورددت «ارحي» الاسم عدة  
مرات حتى يحفظه.

جاء النادل بإلهامها ماذا يشربان.. ظلت «ارحي» كوبيك.  
وقال كرم «بودبرت» وهم النادل وانصرفوا لإحضار الطلب،  
وعندئذ سمحت الفرصة لكل منهما ان يتأمل الآخر. كانت ارحي  
في نحو الثلاثين. كانت سيده كاسنة ابسه، ترتدي ثوباً غامراً

وكامته. كما لاحظت معروفة جيداً في الرقص، بدليل ما لقيت من  
حفاوة واهتمام، فقد حياها كثير من الحاضرين. وبعد وقت قصير  
تقدم رجل نصف وطلب مراقبتها فرصت.. أشارت إلى ساعها  
وقالت شيئاً ما بالهجرية.. فالحسنى الرجل وعاد إلى حائده

وحين أحضر النادل الكوبيك، طلب منه شيئاً، فالحسنى  
أمامها، وبعد قليل اعمل المير، وكان يكلم العربية، قدمه إلى  
الجلوس، وقصت عليه كيف لقيت كرم، طالبة منه أن يهأله «هل  
حبيبك ليس له بيت؟» وكان جواب كرم صيحة. لقد اكتشف  
عباءه باللثة الروسية، وأوضح ان له بيتاً، في شارع  
«بشورر اوتسا» قرب نادي الصممين، وأنه أصاح الطريق إليه،  
ولم يثر هل سيارة توصله أو أحد يهزم عليه

قال كرم:

- إني اعتذر للسيدة لارجي.. لقد كان سوء تفاهم لمي.

قالت ارجي

- إنه طريف بقدر ما هو لمي.. هل أنت فرسي؟

قال كرم:

- أنا عربي. ولي أسوع في بودابست. وأنا عني في شيين

الجراقبا والحساب

قال المتر

- ولكنها مصادمة سيده.. مرحب بك في بلادنا.. وسرمل من

يوصلك إلى بيتك في أي وقت تريد..

إنه قريب من هنا.. ولكنه في شارع خلوي..

طلب كرم قدحاً من الكوبيك للمير فاعتذر هذا، لكن

السيدة «ارحي» جلته على القول، وشربوا حين جاء الطلب،

عجب الصادقة، والتعارف.. وقال للمير، بعد أن تكلمت أرجي،  
وقام هو بالترجمة

- أنت يا سيدي، مخطوط.. السيدة أرجي فتاة.. إنها كبيرة  
الميات في مرتبة مكسب هذا، وهي تعتد بك، فقد حان دورها  
لنساء.. لكنها ستعود إليك... لا تعذر المائدة

مدّ كرم يده وصاح أرجي.. قبل يدها أهدأ.. قال إنه سعيد.  
وسيكون مسروراً أن يستمع إليها، وأن ينتظرها، حتى مطلع  
المجر.. لكنه رجا للمير، أن يعينه في الحصول على باقة ورد، من  
المير

- هذا مستحيل.. نهي في ساعة متأخرة.

- لماذا أستطيع، إذن، أن أحبها..؟

ترجم المير، لكن السيدة قالت

- أرجوك يا سيد كرم، أجل التحية، إذا كان لا بد منها، إلى  
ليلة قادمة.. إنني لأشكرك سلفاً..

غير أن كرم طلب من المير

- رجاثة ويسكي فاخرة، إلى الأوركسترا.. تحية للسيدة  
أرجي

وحيث صعدت إلى المسرح، وهو عبارة عن مصطبة حبه  
الديكور، عكس وهي تنحى إليه أصغر إلى الماء وأعجب به،  
دون أن يعهم كلهم الأعيه كاتب أرجي، الآن، في ثوب سحر  
طويل، مكتشوفة الصدر، والساعين، وعلى صدرها وردة، وكان في  
صوتها شحوة، وأعلنت في ختام وصلتها، أنها تنمي أمة أخرى،  
هدية بصيف راثر في القاعة..

صق كرم دون أن يعهم ما تقول، لقد أشارت إليه وهذا يكني،  
وجاء المير فشرح له، وعدده شعر برور مصاعف، وجدد طلب  
الكوبيك، مستريحاً كيف لم يسكر، وقد تدوق، في هارده ولياته،  
صوقاً من الشراب.

أخيراً عرفت الموسيقى الراقصة. انتهى دور «أرجي». بدت  
ثيابا وجاءت إليه. كانت سيدة كاملة كانت جميلة أجل ما عنها  
كان صدرها وساعديها وحيث مرت، بين الصفوف، ثلثت  
الحاصرون كانت دت حظوه كبيرة تسبح باحترام ملحوظ. وقد  
أقبلت بخطو هادئ، تتباعد كأنا أميرة، وحيث قاربها كرم  
بيروشكا، وجد هذه فتاة صغيرة، طالبة، لا تستطيع، في أي حال،  
أن تصد أمام أي مقارنه بينها. قدس في يمينه «لقد وقعت يا  
كرم يا لمطكك الطب! انت مولود في سله الفقر. ولك، في هذه  
الهدية، مسعل ماهر أنت لى تكون، أبنا المجرى، وحيداً  
وعزباً بعد اليوم. أب خديق يأمن بحق كل ما أذخرته في الصبي،  
هناك حيث لم نستطع، لا في يكنى ولا عهدة الخبراء، ن تمنى  
شيئاً، لأنه لم يكن مجال لإماتتها..»

وقب عندما وصلت إلى مائدته أي دلال في شيتها، معها،  
ابتناساتها وأني بماملة هذه التي خصته بها؟ هتم في طانه «يا  
للدوق الأرسر! طي ادخلت معي إلى المرض، عدت معها رحمتي،  
محنني صداقتها، ولحيث ألا أكون وحيداً هذا هو التصرف  
الغصاري.. بيروشكا، يا بيروشكا، يا فتاتي الصغيرة، تصبين أمام  
هذه السيدة؟ هذه خيرة، مجربة، هذه سيّدة وأب فتاة، طالبة  
جامعة، دارسه أدب، شاعرة مبدته، لكبك، في شعرك الجميل،  
المتهدك على الكسبي، مع طيبة على صمعه الوجه، إبانة رائحة،

غير أي، يا بني، لن أكون حديراً بروحك، ولن أكون خلقاً لكل هذا الاعتداد الذي يتجلى في حركات «ارجي». إني غجري. وربي عاجز عن الحب.. شواني إلى درجة مسخورة، ثم لا شيء. جبه القمر تلك، السعيدة التي لا أعرف أين، ناديني إليها حتى، وحبيبي، وعطفي الأخيرة في سرة القمر هذه.. لكني، يا يروشكا، لا أريد أن أموت على صدرك، ولا على صدر ارجكا أنا لا أريد ميتة عجيبة كهذه.. إني، يا بني، عاجز مبدئياً، مشرد، سعي، وهذا الإسباني الذي مات، ورفاعي، في كل الدنيا، الذي يموتون، والناس، في بندي، كان جرثوم جراء سبار حساً، أبت يا يروشكا لا تعرفين من هو سبار.. تعرفين حكاية الخوريق والسدير. هذه قصة هربية.. هذه قصة دخلت التاريخ.. لا لا أعرف من التاريخ شيئاً بسيطاً، ولن أستطيع، في أيام يوم، أن أشرح بعضي تاريخاً، أو أكتب بعضي تاريخاً إني لا أعرف إلا ما عشته، ولا أكتب، أبداً إلا ما عشته، ولن أستطيع في لغتي الرسمية الرديئة، أن أشرح أحاسني كلها، يكفي أن شريك لاس صفحة وجهي، بما شدي تقبلان وجه مسخوره، وبكمي أن شمي، هذه اللبلة، قبلنا هذه اللبلة الرائعة ارجكا. أنا صاحب وصية البارمان فيرانتس، لن أكون غريباً مع أي سكا.. ولن أكون مدلاً مع أية امرأة في هذا الوجود..

قامت ارجكا وهي تتأمله في شهية واضحة.

- أشكرك على النعيه رجاجة ويسكي؟ ولكن أنعرف كم هو حالي المشروب الأجسي ها..؟  
ترجم الفيتز. قال كرم:

- هذا لا شيء. أمت، اللبلة، أكرمتني على محو لم أحلم به يوماً وكان يجب أن أشكرك بطريقة ما  
كيف يقولون بالهربية - شكراً. ؟  
قال الفيتز  
- كوسيم سيبج: (شكراً جريلاً)  
ردد كرم الكلمة وقالت ارجكا  
- انجس!  
- آلي إني؟  
حانسيب  
- آلي بني



الذي تطوي عليه الدعوة، لكنه بدل أن يعد، نظام أدرك أنها هي المدة، ويولد في ذاته احترام لاعتدادها، وإحساس بانتهاء عجيبة الذكورية، وبالمساواة في القدرة على القرار، والتصرف، وتدور « الناحية » بطريقة صحيحة وبسيطة جداً

ركب السيارة الى جانبها وانطلق

كانت تسكن شارع « بيما اوتسا » في الطرف الآخر، الشمالي، للحي الذي يسكنه لب شالاً حريزاً على صفها، انتقاء لبرد المجر الذي يقترب، وحوفاً على حجبها الدخيلة التي هي كنزها، وفي سارة الرهو التي كانت تنظر امام المنى، قطعا شارع الجمهورية، الى الجسر المعلق على الدايوب، ورحلا الى بودا، كانت تسوق بيدها اليسرى، ويدها اليمنى في يده، وتصحك، وهما على الشاطئ الآخر للدايوب، مائتة بعج امرأة ناصجة، شبيهة لموب

- صوما؟

كرم بحبيب صاحبكاً أيضاً

- مس

فتمول مرجه

- دا

ونقصي به لا يدري الى أين كانت اللمة حاجراً بينهما كان، في دانه، يلص هذا الحاجر، وقالت وهي تعود به من على الجسر المعلق

بصه

- كرم، لوينلو ايرجكا؟ (كرم تحب ايرجكا؟)

فقال بدوره:

- دا.

- ٧ -

مثلاً الرجل، حين يقتصر امرأة، تكون المرأة حين تقتصر رجلاً الطلاب الاجتماعي، حتى في الغرب، يوشح رغبة عريضة نبع من أعناق المرأة إليها، في حال كهده، لا يطر الآخر، أن يعود بدور الثورات التي يخطف على عرس أو في سارة، حطيه، أو حبسه، وهذا للتقاليد الذكورية إن امرأة، في عزها على نصيبا ناريجي الخمس، وفي حطها ايضاً، تقدم على ممارسة ما هو من حيا كما من حبه، لمخطعه، ويترأ به الى يمس ولعل ايرجكا، في قولها « الى بيتي » كانت تمرق ملعية يهرلها يحكوب اجتماعي على ناعدها، « مدة عبرها وعبرها في الدارات الخمس تتعامل، بفس جارة، مع واقع آخر، جديد، ومن منطق التحدي، لا بصمها مائة، بل بصمها إسانه تنمو على قيم الاستعداد المنوارت، والذي، الى حد ما، « رالت تسعره، وتصار منه، حتى المرأة العربية

إليها كبيرة، واثقة، سدة، وفي ممارسة الشرف الذي لا يندش بالنسبة للرجل، تريد أن تثبت ان هذا الشرف يظل دانه، بالنسبة للمرأة أيضاً، حين تحب، حين تحجب، وحين تكون حرة، صريحه، فتقول للرجل « تعال أريديك »

هذا الماء، قالتها ايرجكا بعير مواربه فكر كرم لحظة بالمشي

هم كلمة الحب بالروسية ، لا يدري كيف اسمها ، بصيغة اسم ام  
عمل ، ولكنه كان يعرف ان «لويو» معي الحب ، واذا كان  
هل شخصي ؟ «وحين اجابها مع ، قالت ، كما خيل اليه : «ليس  
بعد ، مصحك ، وصحط على يدها ، تاركاً لحام الجلد ، في الكف  
الحارة ، ان تمر بها في قلبه من عرفان الجميل .

وحين تكلمت بالروسية اكثر ، لم يفهم شيئاً ، فقال وهو يتلثم  
بالكلمات :

- برنابو روسكي .. (لا يفهم الروسية)

- بيشلو (لا يفهم) ..

فتح دفتره الذي كان قد كتب فيه بعض العبارات المجرية ،  
تعلّمها من طلابه ، وقال :

- شاموش ، مجارو بيهيز (آسف .. اللغة المجرية صعبة)

فصاحت من لفظه وقالت

- ايكن .. شك بيهيز (نعم ، صعبة جداً)

دارت به ، قرب يادي الصحفيين ، بحركة بارعة ، وانطلقت شلالاً  
موجهة سبياً سحاً ، وألقاً فجيئاً مبكراً ثم توغمت رويداً رويداً ،  
امام مبنى ضخم ، في شارع (بيسا اوتسا) ترحلت فترجل فتحت  
الباب الخارجي ، تدمت عبر جو كبير ، دخل المصعد الى الطابق  
الثالث ، تقدمته وفتحت الباب ، وقالت :

- تيشك (تفصل)

كان البت جيلاً صالون واسع مستقّ تسيقاً حياً يتم عن  
دوق ضامه كانت فيه بعض التحف ، وفي خزانة ، على الجدار ،  
صُتت أواب خرمية ، وكانت هناك نازكيلة ، لا يدري من أين أنت  
يا ، من أي هدية من معجب عربي . ولقد سرّ لرؤية النازكيلة

ثمّ فيها رائحة عريضة توقفت عندها . كانت خالية من الماء ، لم  
تشمعل أبداً ، وكان هيكلها من الخشب ، ولها مريش أحمر تناولته ،  
رفعه الى عندها وسماها سألها بالمجرية

- سب (جميل)

- جيسري (رائعة)

صمت وهي تصحك قالت عبارة مجرية ، فهم منها الثاني : «ها  
أنت تتكلم المجرية» . وقال في نفسه «سأفهمها من غير شك» . رداً  
كان على أن أفهم في المجر لمدة لا أعرفها الآن ، فإن عليّ أن أتعلّم  
المجرية .. وأسأل ذلك سيد القمد .. ولكن بكف ثمنهم ، ما تبقى من  
الليل ، وواحدنا لا يعرف لغة الآخر .. ؟ نصبت ؟ نكتفي  
بالطرات ؟ بام ؟ أنا ما في الصالون وتدم هي في عرفتها ؟  
تسيري صملاً لديها حتى الصباح ؟ لقد ذكرت كلمة «الحب» ؟ ربما  
كانت تسألني هل أحبا من غير المقول أن تصدق أنني أحبا  
الحب لا يكون بهذه السرعة ، بهذه السهولة . سأكون كادياً ، لو كنت  
لما أحبك جاداً .. كنا نرح ونحن على ضفة الدانوب المصادفة  
المعجبة نطفي طراصها . لكن الحب فوق الطرامة . أحسب أنها  
مثلي ، فهي مع برودة عابرة ولدتها المصادفة لا أكثر .

كانت قد استأذنته ودخلت لغرفتها ، فلما عادت كانت تحمل  
قاموساً ، من الفرنسية الى المجرية . وقالت وهي تصحك :

- فرسوسيكى بيهيز (الفرنسية صعبة) ..

وقال مجازياً

- ايكن (نعم) ..

سأول القاموس بها ، القاموس الذي تنعم به كلبات فرنسية ،  
وراح يذله ، شامراً بالسعادة لأنه يستطيع بمساعدة هذا القاموس ،

ان يتفهم معها . وأشارت الى رجالات على مائدة صغيرة:

- كومانك؟

أجاب

مسو (سد)

كانت الليل، بالنسبة إليه، قد اوشك على نهايته أحس يتعب وعرف عن المشروب القوي. اقترح التبيد وي ظنه ألا يشرب سوى قدح واحد، ريثما تأذن له أن ينام، او يصرف عندما يطلع الصبح لكن الليل، بالنسبة اليها، كان قد بدأ الآن خلال العمل، وقبل المساء لا تشرب إلا قليلاً. ترعى التربة والرعي الا في حالات نادرة، ولكن حين تعود الى البيت، وحدها او برفقة صديق، او تكون في سهرة خاصة، فإنها تشرب حتى تشتهي تتحرر من التزاماتها عندئذ تخرج من جديتها، تعطى نفسها بكرم للتمتع

أحصرت رجاجة بيبي «توكاي» كان قد عرف ان هذا الجود بيد في امر، أحصرت كذلك مصاحاً للرجاجة ورجسه أن يصحبا، فيا كانت تحصر صحباً من «اللامي» «الجرية المشهورة أيضاً» حلت الى جانيه وشربت بحبه. شربت جرعة كبيرة.. لم يمت ومضت. وسع الباب يخلق من الداخل. فلكته الحيرة. صغر عن نصير سدوكها. لقد آس، بما رآه في الملهى، انها غبابة صرمة، لكنه، ها عاوده الشك نال في نفسه «كيف اتصرف؟ اعتبر نفسي صحباً؟ صديقاً؟ شقيقاً؟ ريوماً؟ ماذا أفهم لقاء هذا كله؟ هل علي أن أدع بمود؟ يكون من اللواني يأخذون بموداً؟ يكون فوق هذا المسوى؟ مائة هي، كل ما في تصرفها يدل على اعتداد بالنفس، بالعين، بالرهو الداخلي، وفي حال كهده، قد أرتكب حماقة بعرض نفوذ عيها؟ هدية نسو لكسي لأجل اي شيء يهدي الأنفصل أن

أقربيت.. ما دام الموقف يتحدد في النهاية، والمود، في حال معاطيها، تدفع في النهاية إن لدي وقتاً للتفكير وللنصرف بشكل سليم لا يجرح . أنا لا أريد ان أجرحها . هي لا تعرف من أنا حتى الآن لم تسأل حتى عندما كنا في الملهى، وكان انبتر يهرجم بيبي هذه الناحية لم قولها اهتماماً.. رأت نفودي فقط حين أخرجت النفوذ لأدفع نى بذكره الدخول، وأني أحمل مبلغاً كبيراً، عرّف هذا؟ «صبرتي» ريوماً دسماً، ولكن ماذا لو كان هذا ظناً؟ إن بعض النظر (ثم معها بكى، وحي لو أرمسها طرفة البقاء وأرمسها الموقف في الملهى، فأنا لست بالثاب بعد كل شيء. لست ذلك الفنى الذي تعرباً قنوته . لست صاحب للمكانة الذي تستهويها مكانه ثم لست قنناً ولا تعرف أية تفاصيل عن وجودي في بودابست ومن المرجح ان تصبري سائناً هذا هو السبب السباح يشكون إعراف.. وخاصة إذا كانت لديهم وفرة من النفوذ.. أنا لست إلا سائناً يا كرم، يا بي.. أيا المشرود، أنت سائح في بلاد السباح الجميلة هذه.. قنن . اشرب قليلاً لحامل على نفسك.. لا تدع النصب يسيطر عليك، لا تدعه يسجنك في أجنالك كن لطيفاً، كن مودباً.. حادراً أن تتصرف كمجرى مع امرأة غبابة .

عادت اليه وقد أرادت بعض «سكياها» قدّر أب تخلصت من «بيروكة» الشعر الشنار، منطت شعرها الحقيقي وردته الى اللواء. ربطته بشرط يصحبي ربطة «دبل حصان».. ارتدت «روب دي شامير» جلاً، أحمت بحاسها تحت المظف البقي، جلست الى جانيه وهي تبتسم بشرية نجياً جديداً. كانت ظهري الى التراب، كانت تمعة هي الأخرى، كان السهر الطويل الدائم قد أعطاها طاماً محمداً الإرهاق والنشق، وفش في العاموس عن

بعض الكلمات، وأشار إليها فاهتست.. كانت العبارة تقول

- متى سامي؟

وبالطريقة ذاتها اجابته

- هارآ

- اي ما بعد الظهر ؟

- بعد الظهر للمرف (وأشارت الى بيانو في طرف الصالون)

والعشاء .. فترة ترمى، وحفظ للأعيان الجديدة

سألته

- وانت .. متى تمام؟

- ليلاً طبعاً، ولكن في وقت متأخر .

- هل اصحبك بودايت؟

- كثيراً

- متى أنت فيها؟

- متى اسرع ؟

- لديك أصدقاء؟

- بعض الأصدقاء

- بينهم صديقة ولا شك

- ليس تماماً .. تعرفت القيلة الى فتاة جامعية.

- تحبها؟

- ليس بده الرعه . ليس من اللقاء الاول؟

- ولماذا احمرتها صغيره؟

- أنا لم أخبرها .. تعرف إليها في منهي دإم كي .

امتصت . أشارت إشارة رخص . قالت

- هذا معنى سيء

- لا أدري.. كل ما في الأمر أنني رأيتها وحيدة، وتعرفت إليها.

- احذر .

- لماذا؟

- علي هذا المعنى تتردد عاهرات.

فألتها وشربت.. جازاها في الشرب. فكر: «تكون بيروشكا عاهرة؟» شعر بألم.. بحية أمل.. استمر في محاوره معه قالت

- هل أمرك لأها صغيرة؟

- ما أظن..

- في مثل سنك يجب أن الرجال الصغيرات..

راى عليه ظن من كدو.. التذكير بالسلم لم يرق له. هو كهل لا شك كهل في الاربعين، لكنه لا يحب من الفسات الصغيرات أخذ الفاموس منها وبحث عن الكلمات. قال

- والنساء، حين يتقدمن في السن يحسن الفتيان الصغار..

هرت رأسها نحيباً

- انت مخطيء .

اصطح كرم ابسامة واجاب.

- وما

شربت كأسها، سكبت ما تبقى في الزجاجه.. ولما فرغها منها اسكب بيده وشئت به الى غرفة نومها . كانت قد كسب المطامع عن السرير أرحت السائر مركب مصاحاً صغيراً، حمر مشلاً أحضرت زجاجة «توكاي» أخرى وقدحين نظمين أعدت، في غرضها، وليمة للجنس . وقال كرم في نفسه «هذا ما كنت

أتوقعه أنا لست إلا يونياً في نظرها.. حساً لمص يا بني في  
اللمسة.. تدون « الطعام » المجري تدونه من « طبخ » سيده يده  
الأناقة المترفة، والى جهم بكل الحسابات الأخرى،

مرحت اعطيت عنها فبدت فارعة ناعمة الصدر، رخيمه  
الساعدين، وصدرها الأبيض، وقوامها كله تحت « الثلجة »  
الشامه، بطيها لأن رشاها، بضارة إثارة غير التي كانت في  
وجهها استلمت على السرير جلس هو على حافته يكامل ثيابه  
صباً مدحني شرب، هذه المرة مدحه كاملاً لقد استنارته نادته  
بكل مكاس اللذة فيها صدرها، ساعداها، صعداها، صباها اللسان  
اعلمنا فهم الندى تشربه من كل سائتة صمط على أعصابه كي  
يسمى هادئاً قال في نفسه « علي أن أخرج عاجلاً من هذا الامتحان »  
ثم تذكر ثوب الباريان فيرايس « لا تكن غريباً » - وقال في  
نفسه : « الى الجميع بصيحتك يا فيرايس - أنا لن أكون سويدياً  
بارداً منقطعاً من الإنسان على الكحول - أنصرف، الليلة، ومن  
قانوني الأفضل ألا أكون عيباً - لكن ماذا فعل إذا كان العيب  
كاللمسة في دمي ؟ .. »

« بعد يدها وقبها قبل ردها قبل ساعداها فصصكت وقالت  
محدرة

كرم !

وقال

- ابرجكا

وتعانقا ، قبها ، هذه المرة في صبا . قبلة طويلة ، صيفة ،  
وكنب ، بيد مرجمية ، من صدرها ، لكنها بهتت عن الصمط على  
يديها كانت حريصة على صمواتها

شرباً أبعداً .. انتهت الرجاجة . بصحت قطعة « البفتيك »  
النهية . كانت ابرجكا قد بلغت مرحلة السكر ، وتجاوزت ، في  
اندفاعها ، مرحلة القفل ، جئت .. عيناها تراءى فيها نثار لمعان  
كالومص ... وكان كرم يرتعش وهو يشم عطرها بعد ذلك لم يدر  
كيف تخلف من ثيابه ، وحين قرر إلى السرير واحتواها ، اعطه  
نفسها بسخاء .

في الصباح بعض واقتل .. ظلت هي مستلقية . قامت يوماً  
قصيراً واستيقظت حين كان يماذر سريرها . ابتسمت . كانت عقدة  
« ديل الحصان » قد انحلت ، واضلش شعرها ، وكان جسدها  
المشوق ، الأبيض ، على نوشية وردية ، ممدداً على طوله ، وكان  
المطاء مرهوعاً فاحس عليها وقتل سرته فصصكت وقد دغدغتها  
شماه ، قالت  
- كرم !

واشارت إشارة مؤداها : يكفي ..

وجاءت اللحظة المحيرة بالسب لكرم ، ماذا يفعل ؟ ماذا يترك  
ها ؟ كيف يصرف ؟ جلس وأشعل سكاره فكّر امس في  
التصكير نظر إليها رآها مراقيه كانت ترصد حركاته من طرف  
خفي . هرع إلى الصلاة احصر الفاموس بحث فيه عن بعض  
الكلمات . حرصاً عليها

- ماذا يوجب علي ؟

اخذت الفاموس وانتمت كلمة

- لن تدفع

مد يده إلى جيبه ، أخرج نقوداً وصمها على الكومودينة قرب  
السرير .. نظر إليها وهو يح بالخرج . كان وجهها مرعباً

فمرت من السرير عارية استكت بالعود وتقرنت بها طلبت أيضاً، اعطها طلبت مرة أخرى. ناولها ما معه. طلبت للمرة الثالثة أخرج ما بقي، وهي تقود بحرية جميعها كلها في حمتها، بمت لم يبق شئ اقرب منه رقت كلها نسمعه كان اسرع فأمسك بيدها احتضنها أخذ العود وأعادها لي جيبه. عني امامها، صاماً كفه على الطريقة السوديه قال

- شاموش (أحب)

فكها.. فكها.. داعيت رأسه. قالت

- لوبلو (أحبك)..

عاد الى تقيلها.. قالت

- أدريس.. (العوان)..

كتب لها عنوانه كما حفظه (بشور اوتسا، ١٩، الطابق

الرابع، السكنى ١٠)

قالت

- كوسيم جيبى (شكراً جزيلاً)

قال

- مي أراك ؟

- عندما ترصد..

- سرعوس (وداعاً)

- فيسوت لا تاشرا (الى اللقاء)

كان الوقت صبح.. وكانت الحركة صاخبة في الشوارع. سار بجانب بيته. دخل الباب خجلاً وأنه النوبة ابست، عرفت انه لم يبق في منزله لم تغل شيئاً لا دخل لها في هذا مهمتها أن تحول بين النساء والمراهب.. كرم يهود وليس معه خريب. أسرع الى

عرفته. أعلق الباب وانطرح على السرير كان بحاجة شديدة إلى النوم. قررو الا يفتح الباب لأحد، وظل نائماً الى العصر

تناوب على غيبته وجهان غرضا نفسها بقوة وجه يروشكا ووجه ايرجكا. كان في حالة صفاء ذهني بعد اليوم الطويل. وفي هذا الامساج الصعوي حلا له أن يرتب مشاعره، متنوعاً ما وقع له أمس. مستقلاً بأفكاره بين المرأتين اللتين جمعت بهما انصدفه وحدهما أول لمطبخ خرج به من حلال اسمراس وقائع ما جرى، أن الروح الحرة منحة بحضارة عريقة، تنعكس في تصرف الناس، من يابه الزهر التي تحرس سيدة البيت على ابتيها، وهي تسوق حصارها، او تنري أيا عرس لسيها، الى التهذيب الربيع في حالي الاستقبال والوداع، الى مخاطبة المرأة التي يبدأها الرجل بلونه «أمك، ماذا كانت سيدة متقدمة في السن قال لها «أقبل يديك» ان الزهرة، الاسماء، التحية الجملة، الكلمة الحلوة، الترمع أشباه يمكن ملاحظتها في وقت قصير، كما يمكن ملاحظة أناقة الناس، المستوى الجيد لحائهم، نظافة الشوارع، خلوها من المتسولين والمهاجرين والنصوص، هذه الظواهر الملاممة للمجتمعات الأخرى، في النساء واطالبا وعرسا وكل البلاد العربية التي رارها

قال في نفسه: «التطبيق الاشتراكي، هاء، مخبر، قد تكون لغة نواص، لكن الأشياء الإيجابية تطالع الراثر دوراً (أصاف) ياها من بلاد جبلة.. الجزء هذه، تصح أن تكون واجهة للبلاد الاشتراكية للره فيها ينشر بإسمايته، ربما كانت، في هذه الراوية او تلك، في هذا المعنى او ذاك، في «ام كي»، فنيات في سلوكهم ريبه، لكن المرأة الحرة تحترم نفسها جيداً يروشكا كانت في معنى «ام كي»، لكن سلوكها خلا من الابتدال ايرجكا مصبة في معنى،

بكها، حين عرضت عليها بقوداً عصبت بلع بها النصب أنها كادت تصمغي.. ها لا خط بين الحب والدعارة. تحب المرأة فارس الجنس مع من تحبه. وهذا حقاً لكن الجسد غير معروف للبح، وإذا كان هاك استاء، هو تثبت للقاعدة ليس إلا.

هم وهذه الأفكار الهيجة قلأه اطمئناً كان سعيداً الى حد أنه دندم بأعية وهو بعد لمسه فنجائاً من التهمة كان المطبخ مرتباً. حرصت يوروشكا، بعد الغشاء على ترتيبه، هذه علامة اخرى جيدة فرشته بتهوته مع سيكارة. اصغى الى شيء من الموسيقى، انتهى باب الحمام معوضاً وهو يمشي، استشر راحة وحياً لوحده لكن الباب لم يلبث ان طرق بقوة ليس برس الحمام وفتح. كان هذا ضياء التركي.. صاح مد أن رأه..

- أين أنت يا صديقي؟.. متى عدت الى البيت؟

- ولكني في البيت..

- كيف جاء حسن وطرق الباب. طرقة أنا أيضاً. قال حسن إنه هتف اليك عدة مرات ولم ترد (إنه ظنك عليك يخشى ان تكون ضمت ليلاً، عندما تركك في ساحة متأخرة.

- وهذا ما حدث فعلاً ولكن نجس أولاً. ما رأيك بكأس من الفودكا؟

- أكون شاكرأ نمل هذا السعال اللعين يتوغل الربو يكاد يقتلي يا كرم.

- وأنت تجهد نفسك في الكتابة.. اسرح قليلاً

شرباً قدحين كاملين من الفودكا دفعة واحدة. قال ضياء:

- أنت لا تعرف مبلغ سروري بوجودك في هذا الضياء.. اننا لا أجيد المجرية لم أستطع تعلمها وأنت تتكلم التركية. أنت أخي

أصاف بعد وقفة قصيرة

- هل هذا لأساً مهاجرون، أم لأن فكرة واحدة نجمت؟  
سكب كرم قدحين جديدين، واستأذن في أن يرتدي ثيابه.. لكن طرقتاً تعالى على الباب، ظمأ فتمعه صاح حسن:

- السلام على أمة العرب، واللمة عليك يا صديقي..

قال كرم

- ادخل.. صباه صدي.. جاء قلقاً مثلك

قال حسن:

- أين كنت أيها اللعون؟

- كنت في البيت.. ظلمت نائماً حتى العصر.. سمعت الطرق على الباب، ورأس الحائط لكنني كنت نائماً وقد عيني اليوم

قال ضياء:

- كرم سبنا.. نحن لا نجد وجهاً يهشم لنا.. وهو مد وصوله، ينام خارج البيت.

انضم حسن الى الصديقين في شرب الفودكا، وبعد ان ارتدى كرم ثيابه قص عليها حكاية ضياعه، وأعمل منها الجزء المنطق بارجكا. رغم انه سر في احد الملاهي، وعاد صباحاً باكراً الى البيت

أبدى ضياء، بأبوة، بطشة قلبه، أسفه لما وقع وأتبعه بده النصيحة

- اسمع يا كرم. في هذا المنصب.. وفي إقطاعك الواسع، تستطيع ان تسهر الى الصباح وان تمرى كثيراً من الساء لكن هذا ليس جيداً بالنسبة لك عليك أن تكسب لاسس لك ممشي.. قاطعه حسن:

- المجر، أيا الملعون، غير الصبي.. ها ظفريات كثيرة..

وقال كرم

- أهمهم عدد جيداً لم تسهكي كل البدان الأوروبية التي  
عشت منها ور تسهكي المجر أيضاً في الصين وجدت المجمع  
مبدأ لم أستطع أن أكتب.. أما ها سأعمل.. هذا ما اخترعته .

قال صبا

- للبرية أخلاقها.. غداً تعرف.. تعاشر الآخرين: الجيران،  
الزملاء، الطلاب، وتجد نفسك أمام طريقين: أن ترداد نفسك  
بنفسك، وعمل من أجلها أو تفرق في التواضع، والملاذات..  
وتساعا!

قلها واقترح نجياً على شرف النصال.. ثم سأل فجأة

- أنعرف، يا كرم، من كان يسكن هذا البيت يوماً؟

- من؟ مني آخر مثلاً..؟

- نعم.. مني مثلاً. اخترت للمي مهنة شاقة إنه ناظم

حكمت!

هتب كرم:

- ناظم حكمت سكن بيتي هذا؟

- وفيه كسب قصيدته «أرض المهر».. ففكر بهذا.. كن ومأ

لناظم يا بيتي

- ٨ -

كانوا ثلاثة في الحديقة-

أدامو الإيطالي ومعه ابنته الرضيعة، في سرير بلاستيكي  
صغير، يحمل ويحمل باليد وكيرينو اليوناني، المهاجر منذ الثورة  
اليونانية، عصب الحرب العانية الساسة، والذي عاش طويلاً في  
الإتحاد السوفييتي، واستقل منه إلى المجر، للعمل في الإذاعة

ومحمد حميش، العراقي الذي فرّ بعد الانقلاب عن عبد الكريم  
قاسم، ودرس في المجر، ثم تزوج محمية، وما يزال يدرس، ولا أحد  
يعرف متى يخرج..

أما على الشرفة المظلة على الحديقة، فقد جلس ميلسون،  
الماركسي الإنكليزي الذي التحد من الشرقة مملاً، فهو يسم بالميء  
صفاً، وبالنفس شاكاً، ويمرأ الأدب الماركسي بمير انقطاع  
ويحمل أستاذاً في الجامعة..

هؤلاء الثلاثة لقنوا كرم، في الأيام التالية لوصوله كانوا دلاً  
في الحديقة، وفي الشرفة، كأن كل عملهم محصور فيها، أو كأن لا  
عمل لهم، فهم يعيشون بأسرخاء، ويصمون بحاله من اللامبالاة تجاه  
ديبايم



كان أدامو الإيطالي، في حرصه على نقل القطعة الملونة، الكثير، ما يوضع على الدلاجات، من مكان إلى آخر، ويقل طمعه شيئاً لذلك، يبدو نموذجاً لم فرغ من المصوم، ولم يبق له من شغل سوى هذه الحركة الرسة التي يراوفاً، قائماً بها مقام الأم التي كانت أجدر بهذه الرعاية المعرطة لقطعة رصبة لا تتجاوز الأشهر من عمرها كما يدل سريرها.

وكان غنشل القائمة، قصيرها، قليل شعر الرأس، مرحاً، لديه سيارة فيات، وروحة، وكلب، ودراجة سائل لفريضة، ويعمل في القسم الإيطالي من الإرداعة هو مدرّس في الأصل، من إحدى المدن الإيطالية الجنوبية، وليس لديه ما يعمل في الجهر، سوى الأعضاء ببارته، وابنته، وكلبه الصغير، ذي الشعر الطويل، والغامق المديبة، التي لا تكاد ترتفع عن الأرض.

أما كبريانو اليوناني فهو مولع بالموسيقى، وكرة الصرب، والذهب في شهر محرم من كل عام إلى بحيرة «البلاتون» للاستجمام، والراحة، وتبرهن جسمه بنموس، ومراحمه بعض اليونانيين الذين يروون بودابست ويبدل العملة لهم، كحرمه من نشاطه في السوق السوداء

حيث كان صاحب تجارة أوسع. إنه يعمل في التهريب، نجد لديه الدخان، الويسكي، الثياب السائبة الداخلية، وكل الأشياء التي يسطح، بطرق شيطانية، أن يهربها من النسا إلى الجهر، ولها مشتركون في كل أهراف العاصمة، وله عملاء خاصون، ويتاجر بالأيكون الأثرية، يهربها إلى فيينا، ولا أحد يعرف الأسلوب الذي توصل به إلى السكن في البناية، لكنه حد سكن قرر ألا يخرج، وألا يعادر بودابست، ولا يعود إلى العراق، ولديه دائماً مشكلة من

التداحات وأفلام الجهر، هذاها لبعض ذوي النمود، في الجامعة وغيرها.

يلسبون وحده لا يتاجر، ولا يهرب، وإن كان يصرف نقوده في السوق السوداء اهتمامه الوحيد هو المطالعة يقرأ الماركسيه وهو يمشي، يحرص دائماً على نظافته، على أخلاقها، ولا يهم أبداً، كيف أن الجريين، بالتصون مع الإتحاد السوفياتي، قصود على الثورة المصادرة في الجهر يعتبر هذا تدخلاً فظاً، ولا يهم كيف يتاوم الفلسطينيون «دولة» إسرائيل التي يبني، في رأيها، أن يتغاضوا معها، وإن يكفوا عن نكران وجودها، أو عدم الاعتراف بها

ولأن ليلسون لا يعمل إلا ساعات في الأسبوع، من وقت الباقي ينصبه في تدوين ملاحظات على هوامش الكتب التي يقرأها، وفي الدفاتر التي يسطها أمامه، وحرمة الأفلام التي لا يعرف سراحاً غيرها كان حد أن يطور الماركسية بعد تفسيره وهو فوق الخلاف الصيني - السوفياتي، إنه ضد الجمود العقائدي، بمقدار ما هو ضد النعربية، وحنه أن يتوصل إلى نظرية ثالثة، نظرية ثلاث أوروبا

هذه المعلومات نقدها صباه التركي إلى كرم على دفعت كان يشرّب الفودكا معه، ويسمل، ويحشق من الربو، ومن التهر لأنه يعيش بعيداً عن تركيا. يقول

- هناك يا كرم، في الأرض التي ولدنا عليها، يسمى أن تكون المناصل الحصى يسح في بحر، خارج هذا البحر يكون كالسكة المنفاة في الشمس على رمال الشاطئ، تنش، تنسخ، وتشر رائحة كريمة لا غير.. لديها هاء في الجهر، في رومانيا، في

بلعاري، في البنداب الاشتراكية كلها، أتراك كانوا يوماً ماضين  
أنا أصم - حدث أديس ضلوا ماضين، يتحركون شوقاً إلى العودة،  
رلى مواصلة التكفاح، لكن هؤلاء قلة.. الأكثرية صاروا مرتزقة  
استمرأوا الميئس في مجتمعات اشتراكية جاهرة، لم يدموا سطرًا في  
بناها إسم طميطون يدرسون كل أنواع الرذائل يتروجون في  
الإتحاد السوفياتي، وبعد فترة يهربون إلى بلعاري فسروجون أيضاً،  
وإذا نسلوا إلى رومانيا ضلوا التي. نصح يتعاطون جميع  
الموتد من التهريب والعمى في السوق السوداء إلى القوادة  
يصرون، مع الأيام، فوادى أيضاً، هتم الراحة، السر، وجع  
الما نوبقوا في تركيا لظفوا شرفاء، ماضين لو سحوا لعلوا  
الصمود مثل ناظم حكمت.. المناي صعبة. والشرفاء وحدهم  
يسمون فيها.

هذا المساء، بعد أن انصرف حسن الإيراني، وهو يلحن كرم  
تحبياً، بقي ضياء جالاً طلب من كرم موسيقى تركية كان يحب  
أغنية «كينو كرم»، «بت الرفف» وبعد أن شرب أعاض في  
الحديث

اسمع يا كرم

- لي ولدان، ابن مراهق، وقتاة صبية، قريباً صبا في العرية. في  
بلعاري ورومانيا، ثم هنا الفتاة تدرس في الجامعة دخلت معها  
حابتوا تدبره امرأة عجوز. هذه فرحت عندما كلستها ابنتي  
بالمجرية - رغبت في أن تعرف من أين هي، ومادا تعمل في المجر  
وأشياء أخرى من هذا القبيل، لماذا كان موتها ابنتي؟ انتهرتها  
حين عادرنا الدكان سألتها لماذا كست فظة مع المحور؟ قالت لأنها  
ثلاثة قلت لابنتي اسمي! هذه امرأة مجرية. إنها حتى في هذه

السن، فعمل، تدفع صرائب، تسهم في بناء المجر، ومن الصرائب  
التي تدفعها تتعلم أنت.. تأكلين أيضاً. تأكلن المحور  
أفضل منك، أفضل من كل أمثالك من الطلاب الأجانب الموجودين  
هنا، الذين يمارسون شعوراً بالامتياز على المجرين، يشتهرونهم بعنه  
أدب، كما فعل هذا مودج لسوك الطلاب الأجانب، سواء كانوا  
عرباً، أو أمريكيين أو أسويين. وحدهم الطلاب الماسيون،  
هؤلاء الماضين، يتصرفون بطريقة أخرى، يدرسون، يجتهدون،  
يمشون على نارا، بسطر يخرجهم، للعودة إلى مبيسم ولاشتراك  
في الحرب الدائرة هناك

قال كرم

- ولكن هذا غريب يا عم ضياء.. مؤسف أن يكون ذلك  
كذلك.

- هذا هو الواقع أنت كنت في الصين عشت مع الأجانب  
الذين يعملون معاً قل لي، بصراحة، أما كان فيهم شيء مماثل؟  
هتز علي أن أقول نعم كان معظمهم من المرتزقة، خاصة بعد  
الحلاف بين الصين والإتحاد السوفياتي عرب، هناك، إيطاليا  
يدعى انجيلو، كان متعصباً للصين كان يحاول أن يهاجر في  
النحف، ودات ماء سهرنا معاً، وبعد أن شرب عدة كؤوس، قال  
لي «اسمع يا كرم أنت لست هنا إلا لجمع ثروة صغيرة ثم تبت  
وسيارة حين شب الحلاف انحرت إلى الصين كنت أربح في  
المهي إلى هنا سمعت بالنحف الصينية أردت أن أربح قليلاً  
هذا هو كل شيء...»

أمثال هذا الانتهاري كثيرون، متحدهم هنا أيضاً، رغم أنه لا  
تحف مجرية تذكر

- في بدء الخلاف.. حين وقف كاسترو ضد خروتشوف، أرخى كثير من المترفة، وخاصة من بلدان أمريكا اللاتينية، دقوسهم، اقتداء بكاسترو. لكن خروتشوف أريج، وبسبب الخلاف السيط، ووقف كاسترو ضد الصين، فهل تعرف ما فعل أصحابا بلحاهم؟ حلقوها سرّياً، ترلماً نصيبين. ودات يوم عهد اجتماع في بكين، لشكس مرفة تذهب وتقاتل مع المييتناميين. الأجانب الموجودون سجنو أساءهم جميعاً تطوعوا. وبعد انقصاص الاجتماع، ذهب كل واحد على انفراد وطلب شطب اسمه، بدرائع كاذبة.. الانهارية، هي الوجه الآخر للانهزامية. المبرق لا يمكن أن يكون ماصلاً في الصين، بعد الخلاف، لم يبق سوى المترفة، وقلة من الشراء، انتظرت حتى انتهت عقود عملها..

- من أجل ذلك، قال ضياء، أعمل برلم مرعي.. أكتب نصصاً قصيرة، أرسلها إلى تركيا وأشرها باسم متأخرة..

أهـ

- وأب يا كرم عليك أن تكتب أيضاً، إذا كنت لا تريد أن تكون مثل الآخرين، الذين يتمسكون في المربة..

وبعد بوبة صعال، وكأس فودكا، بضي ضياء ومضى.. كان صغوراً، طويلاً، متهدل الكمين، يدوي كورقة خصره في لمح النسي، يدوب كنسمة في صفاء. قال كرم في نفسه، وقد جلس وحيداً، كل ما قاله ضياء صحيح.. للمربة اخلاقتها.. ها، في هذه البلاد، يتصرمون وكأنهم أصحاب البيت الطالب يدرس مجاًماً يأخذ مرتباً له بيت، وقسيمة طعام، ولباس.. كل شيء موهور له، يسمى أنه يعيش من جهد سواء.. يتسكّر لهذا المروء. بعد ذلك يتم حتى

البلد الذي درس فيه ضياء قال كل رسائل الحبس إلى الوطن، والنطق به، تنلقأها، في القسم للتركي، من القبال الأتراك، والطلاب الأتراك الذين يعيشون في الغرب. هؤلاء يمايون، يعمرون ما الاستلر، ما النظم، ما أجرة البيت وثر الطعم وسط الجامعة. هذا يطبق على العرب أيضاً. وهذه البلد الصمير، هذه الدولة الحرة، تحمل، وعلى بعض اليد التي تصنع المروء مما هناك، في تركيا، في سورية، في مصر، في العراق، في السودان، وفي اسبابا أيضاً، يمايون، يماضلون، يواجهون الأعداء.. يعيشون أمل الإشتراكية، يكتبونه على قلوبهم، يحولونه إلى أهال.. وها، في هذه الحديقة، في هذه البناية، يقرأ يسون الأدبيات الإشتراكية وهو يشس. واعدو الإيطالي يقضي وقته في تركيز المظلة فوق سرير اسمه. ويطل من مكان إلى آخر، وكبريدو يسبح الموسيقى ويلعب التنس، وحيش يتاجر في السوق السوداء. وأنا؟ أصبح منهم عدأ؟ وهذا المنصب؟ وليلة أس في المنس؟ واللقاء، قبل ذلك، بيروشكا؟ إلام يتودى هذا السلوك؟ ضياء كان يسمي بكلامه.. ذكرني باظم حكمت. قال هذا بيته ها، في هذه المرفة، سكن وعمل. وصباء، المريض بالربو، يعمل، وحس الإبراني يصح قاموساً، يذكر تبرير والدمعة في عينه. وأنا؟ ودشون؟ إيه يا دشفي الحبيبة. أحتاج من يدركني بك؟ من يحمل إلي حصة تراب كم عمل البولوبيون مع شومان؟ لا. لن يكون ذلك. لن يكون ذلك..

عمل، ذلك للساء. حتى ساعة متأخرة. كتب نصلاً في رواية. تتحدث عن المربة. شر أنه يكفر عن ليلة أسى لكسه، في المقابل، كان واقعاً من أن شيئاً لن يبدله هذه النعب ليست

للتجارة قد يسمها إذا احج ناظم قال « أردت شراء باقة  
بسمج لحبتي، وكان الرقاق جياغاً، فأكلت بتمها خيراً » هو  
أيضاً إذا جاع، ردا احج لآخرين، الطيبون، مسعد أن يبع  
أيا قطعة، وحتى أن يادها برعيف فكنه، بانتظار ذلك، يرى أن  
مقبانه هذه أشياء ثقافية إنه ليس كهديج، ليس كأجلو.. لم  
يمكر بالندرة، ذكر بالثمامة. ولا خير عليه أن يعيش في جو  
ثقافي بل من الضروري أن يعيش في جو ثقافي أن يشرب، يرتص،  
يتسلى.. ويعمل فهذا ضروري.. ديمتروف قال « تسكوا أيها الرماق،  
بالطريق طويلاً، أراد اهلوا، وعيشوا لا تخلصوا على أعصابكم،  
لا تدعوها تتوتر إلى درجة الانقضاء أب لى أجس على أعصابي،  
ولكن لى أجس على مؤخرتي، لاسيالياً، من أديرها، كنور، لآلام  
شعبي، ووطني، والبشرية المعذبة

في اليوم التالي ذهب إلى الجامعة فألقى درسه. خرج على  
الإذاعة وأعطاهما برنامجه الأدبي، وتذكر، حوالي الظهر، أن لديه  
موعداً في شارع الجمهورية، أسرع إلى محطة المترو، عند الباحة  
برئيسية للشارع، وهناك كان ألبوش بانتظاره. تصافحا، تكلما  
العربية التي ينتقها ألبوش كان قد درسها في موسكو، وعاد فصيح  
معبداً في كلية الآداب، وكان يدرس، في قسم اللغة العربية،  
إحدى روايات كرم

جلب في مقهى على الرصيف كان ألبوش طويلاً، أسمر، أسود  
الشعر، نحاله من الشرق كان ذكياً، مجتهداً، وكان حريصاً على  
التعرف إلى كرم منذ سمع بوصوله، قال  
« من خلال روايتك، حسبك عملاقاً، وقوراً، ونسخة من  
أدباء متمجدين عندنا

سأل كرم:

- وكيف وجدتني؟

- على غير ما تصوّرت. أنت ما تزال شاباً

- ليس قاماً، لكنني لى أشيخ بسهولة.. لى تتمدى ؟

- في مقهى هماريا.. هناك مسجد عجائز كنيزين، ساء

ورجالاً، يشرأ يمشون على ذكريات الماضي

سلوكاً طريفاً قصيراً أحصى بها إلى شارع بسبي، صعداً شمالاً،

وعلى البار، في منتصف الشارع، كان مقهى ومطعم هماريا،

المحيط بكل استعراطيه، وبكل الشكليات التقليدية للتصريح،

والمونوكل على العين الواحدة، وبظلمات يدوية مكبرة، مذهبة

المبعض، تصمها امرأة أو رجل، على الميسين، حين يراد ابعام

النظر في وجه مقابل

قال كرم مارساً:

- هذا منتخب المستعائنات أم مقهى؟

لم يهم ألبوش كلمة مستعائنات، شرحها له كرم فأغرق في

الصحك، قال

- هذه جئت حية، لم تدفن بعد.. ولكن لا خطر منها

- كيف؟

- بعد الانقضاء على الثورة المصادرة، عام ١٩٥٦، فقدت

أصلها كل ما بقي لها الكلام. ها بسعدون السلطة الإشرافية

علناً، يهتمونها أيضاً السلطة تعرف ذلك، نكسها لا تبالي، ما دام

المداء مقتصرأ على الكلام وحده..

- وإذا تحول إلى ضل؟

- ما أعظم هذه الدناب فقدت أساسها . لا تستطيع العيش في  
الوقت الحاضر . ثم لا أحد يسمح لها .

- لماذا ؟

- لأن القضاء على الثورة الممادة ، راعته قضاء على الأخطاء  
التي استلمها المرحومون عليها

- تمتد ان كل شيء ، الآن ، على ما يرام ؟

- ليس على ما يرام تماماً .. لكس في الطريق الصحيح .. بعد  
الصرية لاحقة التي وجهها لرجعية ، بدأ الإصلاح بدأ جديراً  
هذه المرة .

- لكن الرجعية ، وهذه غادج صها في هذا التقي ، ما زالت  
موجودة

- وسيتبقى موجودة إلى زمن طويل .. لكن القوة للملكية ،  
والمملكة للشعب ، أي الدولة ، وهذا هو الأساس .. حين تكون  
للرجعية قوة الممادية ، تطلب التعبير عن نفسها سياسياً .. لقد  
جرّدناها من هذا السلاح الآن

- أنت في الحرب ؟

- أنا في الشبيبة .. والذي من قدماء الحربيين ، عامل معجم .

- حضرت الثورة الممادة ؟

- اشتركت في مقاومتها ..

- كانت الحركة صارية ؟

- بأشد ما تتصور .. لقد قبح الفاشيست للثلاث من المناضلين .

ويمضي هاتين ، رأيتهم يلقون صاعلة من الطابق السادس كانوا  
شرحين كأبلغ ما نكون الشراة وكات القوى الخارجية ، القوى

للعادية ، أميركية وعربية ، قد روّدهم بالسلاح والمال كانوا  
يريدون القضاء على النظام ، وإعادة الجبر عشرات الأعوام إلى  
وراء .

شربا لبيوش كأسه وسأل

- ألا أصبحرك بحدثي الجاف هذا ؟

- أبداً .. أنت تتكلم وأنا أنظر إلى هذه الوجوه الانتبكية .  
أنساء ! بيها من اشترك في الثورة الممادة ؟

- من غير شك .. إذا لم يكن مباشرة فبالتمريض .. انظر هذه  
التماربات البيضاء ، المخرمة ، في الأيدي ، انزعها تَر دماً على  
الأصابع لو انصروا لأهدونا ليس لديهم راحة . ويرهم كل ما  
يمال في العرب ، ما امت تراهم يعيشون إسا أرحم منهم على كل  
حال ..

- ومن أين يعيشون ؟

- من بعايا ممتلكاتهم .. ومن روائب تقاعدية ..

أصاف ، في انعطافه مفاجئة

- اللسة على هذا الحديث الملل .. كفى ما نكلنا على هؤلاء  
الأوعاد لذي اقتراح .. رأيتك في أمسه صغيرة ، يحصرها بعض  
الأدباء والمنتمين ، وطلاب اللمة العربية ، وتلقى فيها أشمار مترجة  
إلى اللمة المجرية ، ونمي أنت ، كلمة صغيرة ، ترجمها مباشرة ؟

- أنا ؟ صاح كرم .. لا أعرف كيف أنصرف حيال جمهور لا  
أعرفه بعد

- أنت لا أنصرف بشيء . لن تتكل على كل حال . تلقي كلمة  
ونحيب على الأسئلة .. هذا كل شيء . موافق ؟

- لا أدري. لا تضمني في موقف حرج  
- لا حرج في الأمر.. ستكون مسروراً دعني أرتب كل

شيء

انقار. كان في ذلك كسب للثقافة العربية، وللبلاد العربية،  
وفيه، بالنسبة بكرم، اتصال باعابة الاجتماعه والثقافه في المهر  
وحين استشار ضياء في الموضوع شجعه قال له أكتب كلمه صغيره،  
فيها تحية للمهر وفيها لغة من الأدب العربي الحديث اسم  
بنفسه ناظم (ها موجودة عندي، وسمرجها، ويرى كيف  
خاطب ناظم أرض المهر..

أقيمت لأسبوع على مدرج صغير في كلية الآداب حصرها جمع  
من المثقفين والطلاب المجهزين حصرها، كذلك، طلاب عرب،  
وأمازيغ، وآسيويون، ومن أميركا اللاتينية، وحصرها ضياء  
وحسن، والموسيقى اللبدي مصر جميل، عارفه المود الرائع، الذي  
كان يواصل دراسة الموسيقى في المهر.

كانت فرحة ضياء كبيرة ليس أصل ما لديه شرب كأساً من  
المودك وأوصى بكرم بشرب قدح مماثل قال «هذا بعيدك  
بشجعتك أكثر. يحطك طبيعياً.. أنت، يا بني، متدخل الحياة  
المهرية من الباب الواسع بعد هذه الأسبوع اقرأ لي ما كنت  
مرأء بالعربية أولاً أريد أن أسبع إيمانك ثم ترجمه لي لاجم  
البلاغة أريد معرفة الأفكار ولكن أسبح لي، قبل أن تبدأ،  
بكأس أخرى من هذه المودكا اللبدي أريد أن أخلص من سحالي  
خلال الأسبوع..»

قرأ بكرم كلمته القصيرة وترجمها. كان ضياء يهتت ويرر رأسه،

وعندما ختم بكرم الكلمة بمقرات من عصيدة ناظم حكمت تقول  
الأرض كالإنسان/ وكالأعالي قاساً/ تصاعف من جبال المهرية/  
وتصاعف هذا الجبال أرض المهر أيضاً «هس وقيلك» «كوزال»  
«كوزال» كان ينم.. جميل.. وتابع بكرم: «المود لا يشبع من  
إيمانك/ وخبالك/ وميمتك، وحريتك/ وشاعريتك/ وحرك/ يا  
أرض المهر» فصاح ضياء:

- أنت أكرمتي.. أحست بهذا الاستهاد.. ناظم عظيم، عظيم  
يا بكرم.. حل في الدنيا أشعر منه؟  
قال بكرم.

- ناظم كبير يا ضياء، ليس بشعره فقط، بل بهضائه العبيد  
أيضاً إني أحبه، أحبه بأكثر مما تصور لا بد أن نقيم أسبوع  
كهذه للأدب التركي الحديث أيضاً، وهذاك تتكلم، وتشد شعر  
ناظم بالتركية.

- هذا ما لا أستطيع هذا الزهر الرهيب

- حساً يقرأ حسن شعر ناظم

- يمكن يمكن تماماً هذا ما يجب هذا ما يسمى مصالاً في  
المره

كانت فقرات الحلقة تتألف من حرف مقطوعة على البيانو،  
وحرف على المود لنصر جميل، وقراءة أشعار عربية مترجمة إلى  
المهرية، وكلمة بكرم في الختام، وكانت القاعة مردحة، وعلى المنصة  
مرحمة وود، والعلم السوري، والعلم المهرية، واليوش، هرب  
الحلقة، يرتدي بدلة صبيحة أبيض، وربطة عنق على شكل مرادفة،  
وبعد الحرف على السابو، عرف مصر جميل مقطوعات صغيرة على

العود، وتعدمت فتانان جريان، قلبان «تيويين» رصاصيين  
 ويبد كل منها مصفف أبهى، عليه شريطة حراء، ويدخله  
 القصائد المترجة، وقد كانتا من معهد التمثيل واخصاصها الإلقاء  
 كانت أول قصيدة يمتحن بها وكان الالتئام حلاً... كان حادثاً،  
 رياضياً، تعطيه بيرة الصوت ومضاً خاصاً، فقال كرم في نفسه: «يا لآلي  
 الطبيب! لو كان يحم أن فتاة مجربة، على هذا الجبال، وهذه الروعة  
 في الإلقاء، تقدم شعره مبرجاً رى الحرية، لكان عمر لدهره بعض ما  
 يدناه»

جاء دور كرم... ولعب وألقى كلمته... صمق لها الطلاب العرب،  
 صمق لها ضياء وحسن، وصمق المجريون عند الترجمة، وجاء دور  
 الأسئلة، فابالت عليه، وفوجيء سؤال غير متوقع:

- هل نظمت الشعر يوماً؟

نظر إلى صاحبه السؤال مدهوشاً كانت هذه بيروشكا وكانت  
 تقف رشقة، مهيبة، بشعرها السبل، ذي الطبقة على صفحة الحد  
 وأجاب كرم

- لم يسبق لي أن نظمت الشعر ولكن من بعض في المهر، لا  
 بد له أن ينظمه قد أمل ذلك يوماً وسأهديك القصيدة  
 الأولى.. هذا وعد مني

قالها في رعاية غير خافية، فصمخ الجمهور، وانتهى الحفل.  
 وبعدهم بعضهم لمصاحبه، وثقة من عاصمه، لكن بيروشكا شبكت  
 ذراعها بذراعه وقالت بالعربية

- الليلة لن أعود إلى كليتي باكراً، وقد لا أعود أبداً..

وقال كرم:

- لك، يا صغيرتي، ما تشائين.. ولكن حذار، قد لا أكون  
 لطيفاً كما في المرة السابقة  
 وقالت بيروشكا:

- أنا لا أريدك أن تكون لطيفاً كن عسفاً يصدر ما تستطيع  
 هذا يطيب لي جداً.

يعدم له المعرفة والنصح، بأعساره طالباً قديماً في البحر، ويبدو على  
علاقة وثيقة بجورج، ويصر جيل، الموسيقى وعارف العود،  
ويعرف ألبوش معرفة تامة قال

- أقترح، ما دما قد اتفقنا، أن نقيم حفلة صغيرة، على شرف  
كاتبنا وصديقنا كرم

لاحظ كرم أن كل طالب عربي له صديقة تقريباً وأنه أحصر  
هذه الصديقة إلى الأسبوع وكان الكلام الذي يقال بالعربية، يترجم  
فوراً لحولاء الصديقات، وقد أظهرن حاسة واضحة لفكرة السيرة،  
ولم تتحلف من ذلك ببروشكا، ودون أن يدعوا مجالاً للسكتة،  
طُرحت فكرة الحفلة كأها من المسلمات، وقُبلت بالإجماع، ولم يبق  
إلا تحديد الزمان والمكان

يجب اقترح أن تكون الحفلة في مطعم عارض هادي قال -  
يريدنا حفلة عربية حفلة سورية، نسمع فيها العود والسماء  
العربي

قال جورج

- على أن تكون صيفاً، تتوزع فيها الحميمية

قال هيج

- غداً السبت إنه وقتها تماماً

قال كرم المثاق إلى جلة من هذا النوع، بعد طول خباب من  
الوطن، وبعد أن حُرِم من أمته في الصين

- أنا موافق... وسأكون سعيداً بسماع عرفت موسيقارنا مصر.

دمدم هذا شاكرأ، مبتسماً عن خرق بين أسنانه، من وراء شفتين

- ٩ -

تخلّق الطلاب العرب، بعد الأسبوع، حول كرم، يطرونه  
بالأسئلة كان ما زال واقفاً في القاعة، قرب المدخل، ومنه ألبوش،  
ويصر حيس، وبروشكا، وبعض الجريين، وكان اليوم جمعة، وقد  
تقدم منه شاب ربعة، على عبيه نظدرتان طبيبان مدحتان، وله  
شعبة إحدى مدن الشمال السورية، صرّف معه باسم جورج، وقال  
الطلاب إنه رئيس رابطة الطلاب السوريين، وهم مع أنه كان  
بمراً وحاد أسس، وأنه يسكن الباء معه، في بسرور اوتسا، في  
الطابق الأرضي، وقد فرح مد علم أن كرم جاء للعمل في  
بودابست، وأنها يسكنان نهاية واحدة.

ارتاح كرم لتعرف إلى جورج وجده عادناً منطياً، جذراً  
بأن يكون رئيساً لرابطة الطلاب، ومنه، أو بواسطته، تعرف إلى  
الطلاب الآخرين، وبينهم اثنين أظهرنا مودة حارة، هما هادي،  
وهيج، الأول كان نصيراً، له صنع خصف مبكر، وفي عبه نص  
طبيعي، والساي طوي، صامر، بارر المكين، يطلب عليه المرح،  
وهم من جورج أنها صديقات، وتقريران مع جداً

قال هادي، وكان يدرس مهندساً وله طاقة على تقديم المونة  
للآخرين، ويرعب، دون أن يباله أحد، أن يهتبه من يراه، وأن



منشئ، وبظارات سوداء - لكنه اشترط، أن يكون العدد قليلاً،  
وأن يحسن الحاضرون الإصغاء.

واضح للجميع، يبدو أن هذا الشرط كان معروفاً لديهم وكانوا  
شبهدي الحماس، وعلى استعداد للاستجابة التامة.

عندئذ اقترح هادي

- لنكن الحملة في بيت صديقتنا جورج

يكن كرم قال:

- برأي ذلك - لكن ما رأيكم، ما دمت وحيداً، وما دام بيتي  
جاهراً، أن تكون صدي.. بتم الحملة للنعارة.

هادي حسم الموقف فوراً

- نعماً - هدا، في التامة، بدأ - أتركوا تنظيم الحملة في  
وكذلك عدد الذي محضروب، وأساءهم - انضموا من خبرتي في هذه  
لأموار

م يحارص أحد - كان يجب يبدو تاماً لهادي، ويؤيداً لكل  
اقتراح يصدر عنه، وقال جورج إنه يكون سروراً بالمشاركة،  
ويعتبر ذلك واجباً، ما دام قد تأخر في زهارة الأستاذ كرم للسلام  
على هذه فرصة حملة تدشين ومباركة غير أنه اشترط لا أحد  
يأتي بأكثر من صديقتي - لا يريد اختلافاً في التوازن ولم يضم كرم  
هذا التحدير، لكن هادي قال

- لا بد من صديقة للأستاذ كرم

قال كرم

- شكرًا - الصديقه لا تأتي بوصية

لكن الحوش قال

- ولكن الأستاذ كرم له صديقة.. ألا تزونها إلى جانيه؟

قالا وتكلم مع يروشكا بالخرية - سأها

- تعرض كرم ؟

قلت يروشكا باسمه

- نعم.. نحن صديقان مد وصول كرم إلى بودابست .

وقال بييج :

-السألة هلولة إادن

تفرغوا بعد ذلك هي كرم ويروشكا والبوش، كانوا سعداء  
لنجاح الأمية - أصبر البوش هذا النجاح بمنته شخصياً، كرم كان  
سروراً بكل شيء - عاتقه صباه وحسن حبب الأمية وقال حسن

- لا بأس - أمة العرب محير - ولكن لاتسرس، أيها الملمون،  
تأثير أمة العرس، هذه الأدبيات، وقال صباه مقاطعاً:

- محكم - كلام كرم كان جيداً، وكان جيداً استشهاده بماظم.  
محكم - براهو كرم

وقال كرم في نفسه: «يا للطفية! ضياء بمثابة أم.. كل ما  
أعمله حسن و - محكم - بالنسة إليه - أيعقل أن يخفي هذا النمدار؟  
هذه هي العاطفة النمولية - عاطفة حب الطيبين، من أي بلد،  
وأي جنس كانوا.. وفي لحية مظلمة قال لها

- غداً مساء - لا تأخرأ..

وقال صباه

- سألني ولكني سأكون وحيداً أنا لا صديقة لي سأكتفي  
بالمعاصر - صرصر شأ من الموسيقى التركية - اللوسفي التركية  
أصل للموسيقى العربية - إنها للموسيقى الشرقية الأصلية

وفال حسن

- البسة، يا صاه، هل أمة الأتراك.. الفرس..

وقاطعه كرم

- سمع موسيقى غربية ألبساً.. كذا تريد يا حسن.. يا

صديقي الطيب ولعلها أن تكون موسيقى تيريرية..

هل أنت مسرور؟

قال صاه

- عكم

وابصرف

تاون الثلاثة كرم وبيروشكا والبوش العشاء في مطعم برلين،  
كان الدب كبيراً وجيلاً وسوناً على باب المطعم وكان الجو رائقاً،  
الفرقة الموسيقية رائحة، والطعام فاخراً، وكذلك البيرة، ورفضت  
بيروشكا مع البوش أولاً، ثم مع كرم بدت أليفة، ودودة، كأنها  
تعرف كرم منذ أهوام، وكأنه يحنها وحدها، وكأن كلمة الحب،  
التي لم يسمع بها أي منها، كانت مقالة، بينها، وسدلة، سد  
أجبال لكن كرم كان ينهم يريده أن يهجر بيروشكا طعمته  
المدنية، المدللة لا أكثر، وكان، في ذاته، يمحسها صافة ما  
بها من تعاون في العمر، وشك، في أعمقه، بأنه قادر على  
مبادلها عاطفه صادقة، عسيفة، كأن شعوراً مبهماً، تاماً، ما زال  
يبحث به من الداخل؛ لحظة حبك الكبير، الجسود، لم تجم بعد..

بعد العشاء استأذن ألبوش وانصرف. وبعد بالحضور في الليلة

المتقنة شد على يدي كرم بقوة

قال له

- أنت صديقي.. بل أكثر لحر، كما يقال، نجسها فكرة  
واحدة، وموتها حب البسة العربية أنا لا أستطيع أن أتصور كم في  
الشعر العربي من موسيقى وك في السجع القرآني من شعر.. بصدي  
وجودك في البحر وسكون أصدقاء دائن، وسأعطيك دروساً في  
المجربة.. لا تنم من هذه الناحية.. متناح اللغة امرأة، بيروشكا  
ستملك المجربة بسرعة.. لن يمضي شهر إلا وتصبح قادراً على  
التناحم بلسا-

قال كرم صاحكاً

- لا تتعامل كثيراً عن هذه الناحية.. خس سوات في الصين،  
ولم أحفظ سوى اسمي لده والحر في موضوع اللغات أنا عبي  
غني أكثر مما تتصور..

قال البوش:

- كان لك، في بكين، صديقة صينية؟

- لا.. مثل هذه الصداقة، هك، غير ممكنة

- إذن هذا هو السبب في أنك لم تحفظ في الصينية سوى كلمتين  
كما تقول المرأة يا صديقي هي المعلم الأول والأخير، صديقي

وقال لبيروشكا بالمجربة

- لا تتكلمي سمع كرم بالفرنسية، عليه أن يتكلم المجربة  
ساعديه في ذلك. كوني مجربة متعمدة في هذا المجال

على امتداد شارع ليجن، وبعد صعوداً إلى الشمال في شارع  
الجمهورية، صار كرم وبيروشكا واليد باليد. كاب يكر، هل يمتل  
هذا.. أنا في الأربعين، وهي في العشرين أو أقل، ماذا تقول  
الباس؟ يبدو أن البسة تكافئي.. بعد حرمان الأيام في الصين،

تفتح الجنة لي أبوابها في بودابست تفتحها واسعة على  
مصرعها. تجدد شبلي بشكل لمن.. هذا ما يسمونه حياة. يجبل  
إلي أبي أود من جديد.

بعض البيت في الساعة الحادية عشرة رفعت يروشكا.  
وبإصرار، أن تعود إلى كتبها، قالت له: «إذا كنت ترعى، هام  
كل ما في عرفة لن أحرص على عليك ولن أصدقك» وقال  
كرم: «ليس هذا ي يروشكا لا تعصبي خطأ إنما أنت طالمة  
لا تكوني هينة أنا أخاف على مستملك أخاف على وصحتك  
وأنت تكسرين الجامعة ماذا يقول الشؤون إذا تميت بيلاً؟  
«أجاب: «ليقل ما يريد. لست مهتمة ثم إني أتعجب أحبناً  
النظم الجامعي، ها، ليس صارماً إلى الحد الذي تصور نحن لا  
نؤدي خدمت العسكرية الاضطرار الذي تصوره غير مطلوب  
عدنا. لدينا الحرية اللامعة.»

جلسا في العرفة الداخلية، أحباء نوراً خافتاً طويلاً، أشعل  
شمعة، مع رجاحة ويسكي أراج النارة من الباعة المظلة على  
الحديقة. انصرفت موسيقى ناعمة، حاملة من السجلة.. وقال  
بيروشكا

- لك عدي هدية..

- أترى ذلك ضرورياً؟ أنت تنفق كثيراً يا كرم..

- في حبل حريري الصغيرة كل شيء يوزن.. ثم هذه عادتي.  
عندما أهدى أبيع بعض الأشياء من هذا النصف. أنا لست ممياً  
بالثراء، ولي أكون ثرياً ما أريده هو أن أصبح كاتباً جيداً، كاتباً  
معتزلاً به.

- لقد كنت رائعا اليوم

- ليس تماماً.. أعرف نفسي.. قد تكون الترجمة الجبرية هي  
الرائعة.. أنا كاتب لم يصل بعد.

- متحل. كن واثقاً من نفسك.

- أنا واثق من نفسي.. أعرف أنني ماضل، ولكن ليس قبل أن  
أعود إلى وطني.

بعض وأحضر صندوقين صبيين مليئين بالخلي والجوهرات  
انفتق خافاً جيلاً فقال له «عني الخسر» وقدمه لها.. قال لها:  
«عندي ثياب صبية أيضاً عدي مجموعة كبيرة من اللوحات  
ما هو معروف هنا ليس إلا بعض ما أملك من تحف.. لقد جمعتها  
خلال خمس سنوات أهدت عليها كل دخلي وأأسعيد بذلك

طلب أن يربط الثياب السائية الصبية ارتدت ثوباً عليه  
رسوم جبله ألبها فوقه مغطاً حريراً مشعلاً باليد، مطراً  
بالوان راحية، عمل أسطير صبية أتاها بظله صبيته صبيته من  
الحرير وعليها رسوم سح ها أن ترقى بما تشاء من قلائد وأدور  
وأخرائط وخواتم.. وحين ضللت ذلك، قال لها

- أنت الآن أميرتي.. أنت أميرة صبية.. تعالي إلى المرأة

أسكني المظلة على هذا النحو..

عندما رأته تقف في المرأة الجدارية الطويلة، هتعت من  
أعياها

- يا يسوع الكم هو رائع هذا كله.. أرجوك أرجوك يا كرم.

دعي قليلاً بيداً للباس، وهذه الجواهرات، دعني أنصّر نفسي  
امرأة من ألف ليلة وليلة.. أميرة شرقية كما في الحكايات

- انني هكذا ما شئت.. ولولا أن هذه من أشياء النصف،  
لوهبتك إياها كلها، أو بعضها على الأقل  
عندئذ، وبحركة مسرحية، وكما يفعل امرأة الحكايات الشرقية  
حاولت أن تركع، كأنها تمنعت تحضيه سائبة تاريخية من الرق  
وقالت له

- ماذا تريد مني؟

- لا شيء

- أسألك أن تعبرني بحرية كما في ألف ليلة ويلة، أليس كذلك؟

- أنت أميرة..

- وأنت؟

- أنا كرم سقط

- أنت شهيد

- لكنني لم أقتلك في الصباح أسألك بغير حكايات

يكفي أن تكوني عذبة.

- سقط؟

- في الوقت الحاضر نعم أنت لا تريدني كادياً

تعمدت إخفاء حبيبك في البدء ثم تحدثت عن بك هذا  
الرائع، ولا هي هذه الأشياء التمسمة التي لديك أردت أن تصنع  
مجداً، وبحسب اعرف أنك محبت ثم كنت كرمياً، وكنت  
مرعوباً، وكنت تدرك هذه الحقيقة، مد الليلة الأولى التي دخلت  
فيها بك، عبيدي، يدي، شعري، وجهي، جسدي كله أسطوى على  
رغبة إليك، وهرمت ذلك، وتجاهلته، وحلني، بطريقة جديدة  
ولكن حارمة، أن أعود تلك اللبنة التي كُتبت، فأطمعك وعدت

جعلني أرداد رغبة قبك، وأرداد جيلاً بك نعمدت أن تكون  
غامضاً، غريباً، وأن تلعب في لعبة ذكّة، وبكسها، اسبح لي، غير  
شريحة، لأنها تهدف إلى إغائي إني، بعد كل شيء، لب موصاً  
أن طالبي طالبه أدب، وأنت أدب، وكان الله مبساً طبعياً،  
لكبك بميلك بمك بالعموم، أردت أن يظهر بأبك بست  
أدب، أو لا تبالي بأن يعرف كدك هل هذا بوصح؟ أشك إني  
عزير، لكنني محبوب بكاء واليوم، في الجامعة، سمعت  
بالأمسية وجل إن أدبياً عربياً سكتها ولم أعرف من هو،  
لكنني إحساناً مبساً دعني إلى حضورها، ولم أكن محظنة  
بمفتد، بعد تلك اللبنة، ألا تأتي إلى الكلبة وسألني، مع أنني  
أعطيتك عوالي اسطرت أهاماً، كنت أريد، ككل فتاة، ككل  
امرأة، أن تأتي أنت، لكنك، في لعبة الاعتداد، أردت أن أتي  
أن وحدد أنت حصرت أمتك، كنت سعيدة، كنت فرحة كطرفة  
أدعف وعانك، وقتت إلى جانبك، فرحت نفسي عليك، طليت  
مك أن أتي إلى بيك قلت دعوك إلى السماء، وبعداً جئنا  
إلى هنا، وما نحن لشرب، وما أنت تصنع لي مناجات جديدة،  
بعرص هذه الثياب، وهذه الحللي، وهذه التحف علي، وبعداً  
تصبرني بلطف مادي، بمرّة كبيرة، جعلني، من شرط الحب  
والسعادة، أركع وأنت تحس عن كرمك، في حركة أردت منها  
إظهار عاطفي أكثر من إبداء خصوصي ماذا تريد بعد؟ أر  
تشع رهواً ومرحيه؟ يقول لي «يا أميري» وتمايلي كجاريه  
هل هذا سلوك لائق؟ ألا براه سلوكاً يلحق برجل شرقي، واعدني  
على الكلمة، رجل قادر على الزواج من عدة نساء، وقادر، إذا كان  
يريد تقليد النحار الذي حدثنا عنهم ألف ليلة وليلة، أن يشري

ث. من اخواري لكن اسمع . أنا في أكون جارية، ولا ووجه  
رابعه، ولا فتاة يبيع نفسها . بني أرضي.. خذ لويدأت تخلع الحلي  
وتلقها أرضاً) حد هذه، لأتبع . ألتها لسواي، أغربها من  
نشت . بكسي أنا، بيروشكا، ألتني كل هذه المعربات على الأرض،  
وسأذهب ولا أعود

- أنا أريدك صادقاً د نأ

- إذن صدقي أنني لا أريد منك شيئاً.. أرجوك، اسمحي لي  
أن أشرح نفسي . لست راهداً فيك.. لو كنت امرأة أخرى، أي  
امرأة، كنت أريد منك ما يريده الرجل من المرأة، ولكن أنت  
نظري لى أحدهك . أنا أعرك، أعرك مرة كبيرة، من أجل  
ذلك أصومك . أرمع أداي عنك، ولعلك أن تقول ما سب هذا  
الموقف ؟ بهرتي ولا يجتي، بهرتي ولا يهدي . كيف يكون هذا ؟  
أجيبك لأنني أعرك أحدهك . لا أريد أن يكون في موقعي  
استعلان لتعلمك بي، على مرض أنه كذلك . أهمشي . لست مدلاً  
ولا أريد أن أكونه..

- وهل هناك ندالة في أن تحبي ؟

- هناك ندالة في أن أحدهك . أنا أعرك ولا أحبك . فقه  
فرق، بها يكن بسيطاً، فهو قائم بيسا .  
- ولكنك تتصرف وكأنك تحبي..

وقب ومشي إلى النافذة.. هل يحق له أن يصدح عاطفة هذه  
الفتاة ؟ يتصرف معها وكأنه يحبها . هذا حقيقي، يتصرف بلماقه،  
بوذ، بمرة، هو تصرف فيه لون من الحب، لكنه لون لا أكثر.  
أما الحب، الكامل بكل قوته، كل صفه، كل اندفاعته، خارج

دائرة الفلزل، خارج برودة العقل، هو الحب الحقيقي، ومثل هذا  
الحب غير موجود، ولا يستطيعه . ولم يستطعه يوماً حتى الآن . إن  
فه شيئاً شاداً في هذا، لكنه الواقع . إنه لا يحبها ذلك الحب الذي  
يلك عليه منه، والدليل على ذلك أنها تستطيع أن تعاديه، ولن يجد  
دافعاً لأن يركع أمامها، لأن يسكن على صدرها، لأن يقول لها لا  
تعاديني . وتطيع أن تعارقه بهائياً، ون يشعر بأنه سيموت، أو  
يجز، إنه هي صطت ذلك . سلوكه، نحوها، ما زال يحكمه العقل.  
ونلك هي المشكلة.

يا بيروشكا اقال لها، بوذي أن أحبك . أن أبادلك مشاعر أكثر  
صفاً وحرارة، لكسي عاجز . ثم هناك شيء لعله السبب . وأنت  
نعمين . لشرب كأساً . يا أميري التي خرجت إلي من كتاب  
الف ليلة وليلة هذا المساء..

شربت بنهية كبيرة . كانت قد وضعت وزاحت تدور في العرفة،  
هذا الاشياء عليها . استشعرت إهانة بالغة، تعرض قلبها لهرص  
تعرض جسدها فأس، أي رجل هذا! وما هو السبب الذي يحول  
بيته وهي أن يحبها وأن يضاحمها.. قالت

- أنا لا أحبك يا كرم . مد خطلة لقائنا تتعمد أن تكون  
لنراً . هل هذه طريقة في القنيس لجيدها ؟ أصمى إليها دوماً  
مقاطعة . وظل صامساً بمكر، وهي ترتدي ثياباً اسمداداً  
للدهاب.. وحيي قالت له .

- أنا ذاهبة

لم يحرك في مقدمه . لم يمس لوداعها . ظل جالساً قدها  
بعبارة واحدة

- أغلق الباب وراءك عندما تخرجين.

عبدك استدارت إليه تقدمت. وصمت قبالتها. حدثت فيه مصعب، بسمعة، قالت

- أنت لست حبيراً. لا تحاول أن تظهر أنك لا تحسن، لا تبالي، لا تتأثر بكل ما فعلت.. قلت في إنك لا تريد أن تكون بدلاً، ولكن هذا التصرف له اسم واحد تذاك

وقف، كان يرتش لمطر تأثيره. كان يشعر أنه غير مفهوم، وأنه مظلوم لديك، وأنه من يستطيع، بأية لغة يكلم، بأي شعور يبدى، أن يجعل أسأله معهومة ومقبولة منها، ومن حمها، لأنه كذلك، أن تنهيه بالمعصوم، وبالاتسراج، وبمحاولة إيهاده، وبمحراب لمة دكاء حديده معها. وفي اللحظة التي عتف فيها بالعروج، اعترضها. سد الطريق عليها، قدّم لها حده وقال

- اصمعي: أستمع.. أفعلي هذا.. أرجوك أن تفعلينه، إذا كان بينك وبينك، ويعطيك أكثر هدوءاً وأشد قدرة على الإصغاء لا سوف أكون

- وماذا لديك لنموه بعد؟

- كلمات بسيطة

- لنحدثني أكثر، أو تنهي أكثر

- لا هذا ولا ذلك.. بيروشكا يا صديقي.. هل بدأت نورتك؟ أمامك هذا البيت، حطمي كل ما فيه.. كله بيون، إذا كان من شأنه أن يبيدك إلى السكينة ولو قليلاً.. عاني هذه الحفيدة.. اجلسي.. أرجوك، لتأخذ كائناً أخرى ولتحدث.. سأقول لك كلمات قليلة. وبعدها تصرقي كما يحلو لك.. تأولنه

حمية اليد. هدأت قليلاً. كانت، في ذاتها، على استعداد للهدوء، للرصوخ، كانت، في هذه اللحظة، صعيقة جداً، برعم السمار الذي تشق على وجهها أرادت أن تكون قوية، لكنها تكثف عن صحت نانج عن حب وعن شيء آخر اسمه براءة، طمونة، عدم تجرية كافية في التعامل مع الرجال..

تناولت الكأس وحولت إمرأها كلها في جوفها، أمسك يده «لا يفعل! قال، سكرين، لا أرهدك سكري، ما زال لديها كلام يمالك، ولم يسه ما يسا فقط اسمعي، وصديقي كما وعدت» شرب كأسه هو الآخر وقال

- أصعل أن أخبرك على أن أحدهك أو أكذب عليك أن لا أستطيع أن أحبك لسيبي أوطها. وهو الأهم، أنني عاجز عن الحب عاجز عن الحب الذي هو معجزة، أو كبير منها الحب الذي يجعلني أسيراً، محبواً، وقادراً على التصرف بطيئ كامل وتايها هو طارق العريبي انظري أنت مثل ابنتي مثل ابنتي لو كنت متزوجاً، وبعد هذا، تريدني أن أدفن شعوراً بحدبي، هو شعور من يدرك أن التكافؤ، من هذه الماحبة، معدوم يسا.. هل هذا واضح؟ ولكن لشرب جرعة أخرى أولاً

قالت بيروشكا وقد اصبروت في بكاء مضاعف

- أحبك ولكني لا أصدقك.. لا أرهد أن أصدقك.. أنت تحبني كما أحبك لكنك تتمرر ثم ما سألة العمر هذه؟ اسها أنا أحبك أحبك لأنك تكبرني كما تقول متى كان طارق العمر حائلاً بين قلبي؟ وعلى غرض أنك لا تحبني، وأنت تتمررني صط أنا أوافق على هذه المرة ما دامت صادقة

- في هذه الحال أنا لك بكل ما تطيقين .

- قبلي إذن

قبلي في غدا .. انتصري ، بشغني حارسين دسماً كان على  
وجهها لكنها صاحبت

- قبلي في غدا

وعمل صحتها أي صدره وقال لها لا تبكي - لا تبكي يا  
عزيرتي الصغيرة الرائعة

قالت

- ولن نستخدم أي بوصية أبوية لعبة كما فعلت في المرة السابقة ؟

- لن أفعل .

- وسام عماً ؟

- من غير شك ..

- وستكون لطيفاً ..

قال وهو يتذكر البارمان فرانسي

- لن أكون مجرباً ملموناً على كل حال

- ١٠ -

في الصباح ذهب كرم إلى الجامعة فالتقى درسه في الحصص  
المعززة ، كان طلابه ، اليوم ، أكثر انجذاباً إليه . حاولوا أن  
يحذثوا عن الأسبوع الأدبي ، طيب أحدهم أن تكون كلمة كرم في  
الأسبوع مآذتهم الدراسية لهذا اليوم . أغروه بالخروج من الدرس  
للمرور للكلام على الأدب ، من خلال ما سمعوه منه أمس وهم ذلك  
بحرم يعرف شيطنة الطلاب ودرستهم في أن يمشوا مع مدرستهم لعبة  
تدح ، مجزومة بها إلى الكلام على حياته الخاصة ، على شعره أو قصته  
أو لوحه ، إذا كان شاعراً أو قاصداً ، أو رساماً أو صاحب اللعبة يهر  
ردع يسيء إلى مواطن هؤلاء الشباب ، ولكن يميز تصاهل في ما  
يعطى بالدرس الممر كانت تلك عادته ، فهو في الجامعة مربباً ، وهو  
أمام برنامج عليه أن يمتد به ويحرمه . ثم إن الوقت المخصص للعبة  
العربية قصير . لا يتجاوز عشر ساعات في الأسبوع كله .

عاصر الجامعة في الحادية عشرة والفريق لم تكن لديه سيارة ، كان  
يحب السير ، ولا حاجة لتبديل وسائل النقل ، مشى حتى محطة  
المترو ، ومن هناك ، في آخر شارع الجمهورية تعرباً ، ركب متعباً  
إلى بيته ، يتابعه شعوران - رهبة في المراحة ، في النوم بعد السير  
الطويل ، ورهبة في أن يصلي إلى شيء من الموسيقى المأذنة وأن

يستمر، كعادته، وقائع الأسى، ويرتقب أشاءه النفسية،  
 اختلطة في ذاته، يرغم أنه لم يرتكب حاجة تجعله يندم على أنها  
 تصرف، الشيء الوحيد كان خوفه أن يخدع نفسه. وكان هذا  
 الخداع واقعاً كان يعرف أنه دون متحفه لا شيء، وأنه، في  
 العصر، كان يريد يبروشكا جسدياً، وأنه توسل إلى ذلك بنوع من  
 دهاء، تحت ستار طيبة مفرطة. ويرغم أن كلمته استقبلت بترجب  
 وحاجة من قبل الحاضرين، إلا أنها، في الحقيقة، كانت حاجة بعض  
 الشيء، وتصر إلى شواهد، وتوثيق، ومروءة، كانت غير مشوية،  
 بل بيته، وبو أدها في دمشق لكثمت عن صحاله ثقافته، عن جهله  
 بالمعطيات المستعده في عالم الأدب، خاصة الحديث منه، عن عمر  
 السبع البشفي فيها، وعن الضرورة إلى الإطلاع، ومما يشه البيئته،  
 والبشر في أجواء الوطن، أجواء مائه، التي وحدها تسكل  
 مقومات أدب حقيقي، أدب يلجى بضموح كاتب يحمل قضية

هذه المخاطر التي آلت به وهو يكتب، ثم وهو يلقي ما كتب  
 في الأمسية، لارمه بعد العودة إلى البيت أهدأ، وإذا كان، بعمل  
 البوسكي، وتأثير يبروشكا، قد يحج في أن يصحبها جانباً، بختربا في  
 اللاشعور، فإنه م بها، وما قد استدعاها اليوم، في محاسنة مع  
 النفس، ومصارحة داخلية كاشفة بتطلتها كي يظل في الطريق  
 السوي، ولا يهتدر إلى مغرقات العربة وأحلاقها كاس، في يملأ  
 يواجه حبال الوطن، صارماً، أو مسرراً أن يكون كذلك. هذا  
 الواجب، في المسمى المعروف، يتحدد بالقدرة على العمل، صس  
 الحيز المناج، وأحسن الأدبي الذي يراوله، وهو كسايه الرواية،  
 صحيح أنه ليس بوضوحاً، ولا بوضوحاً، ولا متبذد الإحساس، لكنه  
 قد يصر، بدفع من خلعه كمان، بصرفاً منه بعض الخروج على

الألوف كان هذا من حقه لم يكن يشعر بأنها تنكبت لتصير من  
 جرائه لا بد له من صوب مشير في العن، وهذا يسمي الروح  
 المردية، روح اللهو والسهر والاسماع، لكنه ضد الإغراق في  
 ذلك. هذا ما فعله في أوروبا، وفي الصين، وسيفعله في البحر الحب  
 السهر، الرقص، اللهو، لكن مع هذا كله، أو قبله كله، العمل، ليس  
 العمل التوظيفي، مصدر الرزق، بل عمل الإبداع، أن يصر  
 روايته، التي هي في الأصل، جزء من واقعه، باعتبارها تنحدث عن  
 كاتب يعاني عذاب العزلة وقد لاحظ، في الأمسية، أن عرف بصر  
 جميل، كان رائعاً، لكنه لا ياسب مع دراسته الموسيقي في البحر،  
 لم يكن قد وضع أية قطعة موسيحية، منها السككة الشرقية، فيها  
 صورة الوطن، وبعض الحياة الشعبية، فما سبب هذا؟

أجل من الباعدة، كان أدامو الإيطالي في العديفة كانت  
 هناك أيضاً المظلة، وسرير المظلة راقبه قليلاً، كان أدامو يهرأ،  
 يصر بسكائل، يهتز مكان المظلة، وكان المظلة أم نلسون  
 الذي يهرأ الماركية، ويحب في عطفها الطيفة، فهو يهتأ  
 ظلال شجرة واردة، ويكتب، من حين لآخر، بعض الملاحظات،  
 لإعداد كتابه المنشطر عن النقاء والاستقلالية، والخصائص  
 الأوروبية، بوس عدم مقابلة الحب بالحب، وأشبأ أخرى، من  
 بسا القصية المجرية، وكيف لم تفهم استقلاله أمرى ناجي، وعن  
 الخطأ في التدخل، من قبل دولة أخرى، مؤكداً أن الثورة البعده،  
 ومقاومتها، شأنان داخشان تماماً

قال كرم في نفسه وهو يراقبها « هذه تنبهه الناس ثم بعد بديهم،  
 في قصبة النصال، ما يملونه الماية بالطمولة جيد الطمونة  
 جيلة، وما يوفرون لها كل منطبات الحصاد، والسو، والنشئة



الجيدة، لكن الأمان، في هذه البلاد، يملكون في الحاجم والممانع  
وخمسون سفير عيشة الأسار هذا الإطفي الذي مظنة الملونة.  
هي حدود ديانة ابرقته. ومن يتأني لسون، أن بهم أن الناعلين  
لأوئل، كانوا يهرؤن «الركه في انعاثر، على أصواء التتموع،  
ويريدون الأكمان، لأنهم يشعرون أنهم شهداء أحباء. إن المر  
بوتون، على أعواد اللثاق، ولقدس يدورون في السجون، ييب  
صوحايم من المدالة، وهذه المصحة المجرية التي ألماها جماعة  
أمري ناجي، من الطابق السادس، هؤلاء جماً لا يدخلون في  
حساب ماركيتة النظيفة»

بعد الظهر ذهب كرم إلى صديقه فرانتس.. وقد رآه هذا  
صاح  
- ها.. أيها الصديق.. كيف الحال؟ كيف الصديقات.. هل  
كنت فحرجاً معهم؟

- إلى حد ما. المرأة، يا فرانتس.. في كل مكان، لحبة بعض  
المص.. أنا لم أكن عيباً، لم أكن فحرجاً. حصلت بصيحتك،  
لكسي م أكن لطيفاً جداً..  
صاح فرانتس وهو يهزّ قدحاً لكرم

- إلى البالوعة بكل اللطف. أنا لا أحب اللطام جداً..  
هؤلاء يشكروك جداً. ومطوبك لطفاً بدل البحنيش أولاد  
عاهرة لا أكثر

- هذه نصيحة مفيدة يا صديقي.. لن أحب اللطام جداً بعد  
اليوم، لكن فديّ كمية منهم هذا الماء.. سأقيم سهرة في بيبي.  
- أنت؟ وهذه السرعة؟ جند، ومن سيحضر حملتك؟

- بعض الأصدقاء من الطلاب العرب، ومنهم صديقانهم،  
وموسيقار عربي، يدرس في المجر.. سيعرفنا لنا أشياء شريفة  
- وودت لو كنت موجوداً.. لكن عملي، في الأصل، ليلاً.  
وبالنسبة بذكر تلك العناية التي لعت بك لعبة صغيرة البيت  
الخاص؟ رأيتها أمس. قالت إنها ستوروك مع خطيبها  
ما اسمها؟ لمدسه

هكذا يتادوها روربكاً للنحب. ناد، لا ندعوها؟ لذي رهم  
صاح

- لا أستطيع البلبه ربما في المستقبل في سهرة ممثلة  
- هل تسوي أن تُكثر من السهرات في بيك في هذه الحان  
صاحنا فأحد رمانسا

- اطمن.. لن أتعامل مع رمانساك أو غيرهم  
- قال فرانتس:

- يا صديقي الطيب، فمشتك صد اللقاء الأول. أنت تريد.  
قاطبه

- لا أريد شيئاً، جنك لأمر آخر  
- ما هو؟

- ساعدي في معرفتك الأشياء التي تتطلبها المظلة.. أرجوك..  
- اسمع.. سأرسل معك أحد الضياع إلى هذا المجرن القريب  
إنه دوبر مارك. تستطيع أن تنتهي ما تريد. أنت من تقدم  
لصوبوك الويسكي والخبز والسرادو. أليس كذلك؟ هذه أشياء  
عالية.. للسهرات الخاصة. مع صديقة مثلاً في سهرة اللثة عند  
صدوقاً من البيرة، بعض رجالات النيد، بعض الكومالك. ثم

البحوم الباردة - سأكتب هذه الأشياء في ورقه ، وسعابك الغني  
في شرائها ، وفي إيصالها ببرة إلى البيت

« يا صديقي الطيب ، قال له ، هذه خدمة تستحق عليها مرفه  
أنا بن أكون طبعاً منك ، أنت لا تحب اللطع ، ولأ أكون عجزياً ،  
عبر أن ليلة سائي ، ليلة رائحة مهر ساء ، في بيتي ، ومعهد إلى  
الصباح . أنت وجل أرمي . لكن هذه الكلمة تدخل في باب  
اللطع ، أليس كذلك ؟ .. قال فرائس : يكفي ما سمعت من  
لطعمك .. سيرة طيبة ، جرب ألا تشرب كثيراً ، ستكون ، آخر  
السل ، بحاجة إلى وصيك . ودي قواك أنت نعم ، دي اللطع »

المراء البوابة ، في بيته ، كانت تكره اللطع أيضاً كان كرم  
يترجم لطفه إلى عدايا ، من أجل ذلك أسأمر ، دون الساكن ،  
بوذا . بها معرف ، بحكم صنها ، أن ترحم خبرها إلى خدمات ، أن  
تبدل لطفاً صديقاً بطبع عمل . وقد قام روجي ، المترب معها على  
الباء ، بقتل طاولتين ، ودرية من الكرامسي ، وأخرى من الصحون  
والأدوات إلى شقة كرم ، هذه الأشياء ، التي تُروى بها السني . لكون  
الباء مطروشا ، وأشيء بصدق ، قالت لكرم « أنت وحيد ، إذن يحس  
لك قدح وصحن وملقعة وشوكة .. الأدوات على هذه أمراء  
العائلة . لكسك ، أنت ، مستطيع أن مطلب ما تريد . أقم ما تشاء  
من السهرات ، لكن دون أن تطلق راحة جيرانك ، انتبه ، لا أريد  
شكاوى إلى الإدارة »

وقال حس ، عندما جاء مبكرة في المساء

- أيها اللعون . من أين لك هذه الأشياء كلها ؟ أنت لا تقام مع  
البوابة المحور أليس كذلك ؟

- ولماذا لا أقام ؟ الفعير يأكل « خيراً باباً »

- أنت تأكل خيراً « طارحاً » .. أعرف كل شيء .. أمة العرب  
في سائل طيبة

وخالت بيروشكا حتى دخلت البيت

- يوريش ماريو .. (يا يسوع ابن مريم) كيف دبرت كل هذا ؟ كم  
أصبت من النقود ، يا حبيبي المحزون ..  
أما صباء التركي فقد قال ، بعد أن عاين الترتيبات :  
- محكم

ولم يرد على ذلك لكنه ، بعد قليل ، وافر حوبة من السعال ،  
طلب قدحاً مسبقاً من المودكا ، فقال حس :

- وأمة الكرسي ، تريد قدحاً أيضاً .. أنت ، أيها اللعون ،  
تفصل الويسكي .. أنت ولد شيطان ..

بعد ذلك تعاون بييج وبيروشكا على صنع بعض التوابل  
والمصلات كان بييج يصنع خرافته بيروشكا في مساعدته ويقفون  
لكرم بالمربية

- إذا لم تسلم بيروشكا هذه صنع بعض لأشياء ، فسكون أول  
من ألمية من الباعده - ماذا بمدك هذه الاسم التي تكسب الشعر  
كما نقول ؟ بعضنا شعراء في بلادنا ؟

اسهره هادي

- أنت تعمل وتسكت .. بيروشكا قطعة من المتعصب

وقال بييج وهو يصنع مكشراً من أسنان طويلا

- وقطعة من السرير أيضاً ..

فقال كرم جاداً

- أرجوكم، ولا كلمة سيئة بحق يبروشكا.. هذه صديقتي..

قال بييج

- عن مدحها أنا لا أعرف طريقة أخرى لمديح العشيّات

قال هادي

- لا يريد هجاء ولا مدحاً. يبروشكا تتصرف كأنها سيّدة

البيت.. وهي كذلك بتوصية من كرم. وفي هذه الحال أفضل ما يصنع هو أن تملق نفسك

قال كرم

- دعوا يبروشكا وشأنها.. لنسرع في إبحار القبلات..

أصرخوا ما استطاعوا، وعندما فرغوا من الترتيبات، انصرفوا لارتداء الثياب اللائقة، وإحصار الصديقات، ولم يبق سوى يبروشكا التي ظنت تدخل والمخرج، بين العري والمطبخ، دون أن تعمل شيئاً.. كانت ترتدي ثوباً يكتنف عن صدرها، والجري لأبيض، الرئع، بين يديها، وشعرها المنار، الذي أسلته، لأنها تعرف أن كرم يريد مبعلاً، وأغنية من الشهجة، غير مذاقة، تنداح في الجو، والقصر المجور، من الناعمة، يصحك في لحيته العنيفة، ورضى يصر الصدرى، بحس، ولكنه لا يترجم، وقبلات سهوة ويبروشكا تعون

- كرم، ماذا أفعل أيضاً؟

قال كرم

- لا شيء.. يكفي ما فعلت! أنت سيّدة بيت هائلة.. يمكنك

ساع الموسيقى ريثما استحمّ قاديبي؟

في الثامنة بدأ الأصدقاء يواحدون، كان كل منهم يصطحب

صديقه.. يبروشكا كانت تحسن فتح الباب، والترحيب

- فتك (تتصل).. تقول وهي تبسم، وتفتح الطريق

للغاديين

لكنها، ما بدا من نظراتها، لم تكن مرقاةة لغير النساء، لم تكن مرقاةة أكثر لإعجاب الممرط بالبيت والنحف وبمصبة يامنت هادي، في المطبخ، عن هذه النسكينة العنيفة، كان هادي عاوراً. جيداً صوّراً أفلح في إقاعها أن الجميع أصدقاء، ولا خطر على النحف، إذا ما تجاوزت فتاة ما، التعلبات، ولست إحدى النحف مع ذلك سحبت يبروشكا كرم إلى زاوية وقالت له

- هل أنت مرقاةة لهذه المجموعة من النطق ؟

- وما علامتي؟.. لكل فتاة صديقتها.. هذه هي طبيعة السمرات أرجو أن كوي طبة السهرة لا يبدأ بعد دمي حاسيتك الممرطة .

أخيراً جاء نصر ومنعه عوده. كان حسن وضياء قد جاءا وحيدس لم تكن، لأي سببها، صديقة وم يكن سبباً، في رأيها، [حصار روجنبا.. وقال حسن

- اللعة عليك يا ابن العرب أنت.. من أين أحصرت كل هؤلاء

الناس؟ متى تمرّمت بهم؟ ويبروشكا، هذه؟

وقال صياء

- محكم. كرم أهد لنا سهرة رائعة.. وأنت، يا حسن، يابني

لا تكن غارسياً جلفاً. اللبة على الأعلى.

في التاسعة بدأت السهرة.. بدأت بوسيقى ناعمة، وبعض الأغاني العربية لمرور وبعض الكؤوس كانت هذه فترة تحمية،

ثم أطفئت الأنوار.. وأبقيت مصابيح ملوثة.. وصاح جورج

- أهشو هاد خيتو رومانسيك؟

بصر بصر جبل على عوده صمتا وكان ألوش يشرح، بصوت  
خفيض، لصديقه شيئاً عن هذه الآلة الموسيقية الشرفية، التي تشبه  
البيانو.. عماد بصر جين يقر على عوده احتجاجاً، وصاح عادي.

- صمت يا جماعة

وصمت الجميع

بدأ العزف حافياً، يكاد لا يسمع، كان مستأً، هرموياً، يندرج  
صموداً، بأدس محزنة، ثم انحطف إلى مقام العباء، فالهويد،  
ودخل منطقة النغمات، وسطر على الجو لم يعد أحد يكلم، لم  
يعد قادراً أن يكلم كان العود ملكاً، كان ملك الطرب حمصة،  
نكر بصر، بحكم درسه، مرج شيئاً من الموسيقى الغربية في العزف  
الشرقي وصاح طالب عربي، من المدهوشين

- الله أكبر!

ولما شرعته الميوز، أفضل فيه.. الإعجاب في القلب.. لا كلام  
صلاة. العود يصلي.. ويبروشكا تلتصق بكرم. تداعب يده.. وهو،  
باليد الأخرى، يداعب شعرها، يتخلل حريره بأصابعه، ويشرب  
لأصاً السود التي تصعد في الصبح، مستذكراً صديقه عيدي،  
وكلنته: «هكذا مثلاً..» وورل هيج، بكل قاته الصلابة، وسجد  
أمام بصر، وزاح ببر رأسه طرباً

دامت الوصلة الأولى قراءة نصف الساعة، ولما توقف العود،  
انطقت الأصوات بهتة واحدة:

- برافو

أشعلت الأصواء، وتعالى رنين الكؤوس، في أعقاب لا تنتهي،  
كل مع صديقه ثم مع الجميع

وقالت فتاة

- رومانسيكوش! اطفئوا الأنوار..

أطفئت الأنوار من جديد، وأعلن بصر.. وهو يهيه إلى  
الصمت

- الآن، عجم عثوان، لأجل صديقنا حسن.

صعدوا..

- برافو!

وراح العود، من مقام العجم، بسلطان، وحسن يصح يديه على  
رأسه ويعول، برغم التصديرات:

- يا يا يا يا يا

وعلق ضياء، بملكته التركية

- مُحكم. اساد. مُحكم

واسمى عجم عثوان، تصديق، برافو. رنين الكؤوس.. لمحات  
بين الأصدقاء، وأعلن بصر:

توونكتاه.. ثم تركي.

صحب ضياء جده.. ملأ قدحه جيداً.. وعلى نقرات عود  
حمون، في تقنيات شرقية، راح ضياء، كصاحبه حسن، ببر رأسه  
طرباً، مترجماً شابه، وهو يصيح:

- أمان جام، أمان جام (آه روجي، آه يا روجي)

وانسلط سير إلى أغنية بحرية شهيرة بحوية «اراسيب»

(عبود حيله) وشرع المسيح كورساً جامعياً، يمتون للمبون المصيلة

وجورج يصيح

- ايشو هاد خبؤ.. نصر.. أنت ملك العود .

وصديقه تصق . ثم نهت، ورفعت.. كانت طويلة، محبلة،  
ورفعتها الإبراهيم، مع الدم، وزيغ الصمق، حنت جواً  
حالياً جونا

رن، في هذا الجو اللاهب، جرس الباب. أسرعت بيروشكا، ثم  
حدثت تقول

- بورتاش (البوابة).

خرج كرم سراً.. استدعى هادي للترجة. حسب أن فة  
احتجاجاً من الجيران، لكن البوابة قالت

- ابرجكا المصبة، ابرجكا المصانة. في لدخل، نأل منك

ركض كرم للاستقبال، كانت مفاجأة. دوى الصمق في  
الداخل. رجع هادي وأعلى من غدوم ابرجكا. أصحوا لها مكاناً  
في الصدر. دهشوا للمفاجأة.. حسبوا أن كرم قد قطعها،  
واستندموا إلى لحظة الدهر كطرية. وحين دخلت، بهاها.  
بأبتها وبرصاتها وقموا جيباً.. صمقوا.. وصمت يدها على نفسها،  
سحت قبلتها للصمق، أما كرم فقد أدبرت له خدها.. قبلها  
وأعلى

- صديقي ابرجكا..

صمق الحاصرون من جديد.. وقف نصر، الذي يقدر موهبتها  
فقبل يدها محبباً.. صاحت الأصوات

- رومانتيكوش!! أظنوا الأصواء.

أطفت، لكنها، حين أصبحت ثانية، كانت بيروشكا قد  
اضمت. ظمها كرم في لطبخ، في التواليت، في المار المدرجي،  
بحث في كل مكان لم يجدها، بل يسأل البوابة عنها، فقالت له  
- خرجت. خرجت وهي تيكى.. ماذا جرى؟ لماذا  
وعتتها..؟

عاد كرم وهادي إلى الداخل صامتين. مظاهر كرم بالسرور،  
راح يثرّب سمهم بسفر أن تعود بيروشكا، لكن بيروشكا لم تعد

لم تحمل الصدمة. وم تنأ أن سمع أي إصاح حوون يرجكا  
استغقت.. فرّت من الحركة قبل أن تبدأ. كانت عصفوراً انتص  
عليه باثق من ساء عالية جداً..

ولم يعرف كرم كيف يتصرف.. انحطت عليه الأمور.. يهرن  
لدهاب بيروشكا؟ لمرارها؟ أم يرحم محي. ابرجكا؟ الزهرة  
المجانة أذهنه، ولم يجد من دواء سوى الكأس. وحين صب  
ابرجكا، صبح الحاصرون، صمقوا طويلاً، اردادوا جونا، وتل  
صباء

- براغوا محكم

لكن كرم كان قد دخل مطعمه الصمت باثباً، ولم تحمل كفه من  
الكأس

شعرت ابرجكا أنها جاءت في غير وقتها، هذه السهرة، هؤلاء  
 حضور، نصر جيل وعوده، تلك الفتاة التي هربت، خروج كرم  
 زهرها، ثم عودته غائياً كل هذا لم يصب نصرت وكأنها لم تلحظ  
 شيئاً عشت أغنية واحدة أصدرت أنها سونغتك. ولهذا لم نعدم  
 الليلة لقرب في برنامج على مكسج الذي تعمل فيه.

كان حضورها المثير، المحاورة التي استقبلت بها، انحاء نصر  
 جيل ها، احبابه والتصديق لأصبتها، كل ذلك كان قسماً بأن  
 يرددها، بل إن حرب بيروشكا وحده، وما بقي من وطأة سلطتها،  
 ومن انتصارها في هذا العمر، على فتاة صغيرة وجيدة، كان حديثاً  
 بأن يجمعها سميدة حاية السادة، وفي الواقع لم تكن بعضها السادة  
 كان مرورها على بيت كرم هدفه ردّ الرهانة، واضطجابه إلى  
 انلهم، لكسها، مد ألت نصفا في جو كهذا، وسلمها للوسى  
 الشرقية، في تقبلت ومقامات نصر جيل، وبهجتها هذه الحسية  
 من خاضعين، نهلت في الانصراف، ثم فررت البقاء، مشاقه إلى  
 أن يمضى لها، بعد أن أصبحت أعواماً من عمرها وهي معي للأخرى  
 هذا، على الأقل، «جال في خاطرها، لكسها، في الانصراف، كانت  
 تواصل عمدة السطو على الآخر، في الإحسان الذي يبعث شوة

مأها هي المرأة، قادره أن تصادر رجلاً، وأن تحضمه، وأن تسحق  
 امرأة أخرى، وتجعلها تستسلم من المقابلة الأولى

هي، في البدء، لم تكن تريد الاستئثار بكرم بالعكس، أرادته  
 وسيلة متعة عابرة، في ليلة مسورة بالشوق، تقول له بعدها  
 «ادعني» كما يقول أي رجل لأية امرأة، بعد ليلة كهذه  
 «ادعني»... الآن اخلف الموقف، اختلعت النظرة، الهدى، صار  
 حاجبها أن نكتشف من هو أن تعرف، وهو بين هؤلاء الكرم من  
 مدعوية، كبت ادعى أنه صل طريق البيت، وكيف يملك متعماً  
 كهذا، وما علاقته بالمتاة التي هربت، وهل لمب بها لعبة دكية، في  
 وقت كانت تظن أنها هي، صاحبة هذه اللعبة، وأن انصدلة  
 وحدها، وصحته في طريقها، تلك اللعبة لقد حسبت أنها تصبح  
 معروفة، تصبح له هجة، وتساق مع حادث طريق إلى مداه  
 الأقصى لكسها، اللعبة، كانت أمام واعين، هذا اجزأه، غير  
 المتوقع، العريب، المترف، وهذا التمتع، بين أن تملب أو تُسب،  
 بين أن تواصل دورها، في اللهو بإسار سادج، وبين أن تصبح هي  
 اللعبة لرجل داعية بأكثر مما كانت تتصور..

الآن، كما فكرت، تبدأ مرحلة أخرى، قد لا نسميها كثيراً،  
 وقد نكون قصيرة جداً، لكسها، في كل حال، نصفا أمام تجربة  
 جديدة، دفعا للتعدي إلى أن تقضي بها إلى النهاية..

لهذا، عندما انقضت السهرة، تهرجت في الخروج طلعت فجأة  
 من الموهبة طاعت، ريثما أعده لها كرم، أرجاء السب، كان النور  
 كاملاً الآن، انتهى الجو الرومانسيكي عانيت كل شيء بدوه لم  
 تدهشها النعم عاظمها اكتشفت أنها خدعت كان يؤلها أن  
 تُخدع هذا لا يخرج كبرياءها صط، بل يجمعها تشك في دكانها

ومراسمتها أيضاً، هي التي حيرت أصدافاً من الرجال. إن هذا البيت، هذا المنصب، هذه الشهرة، أدله دامة على أن كرم يقف في بودايست ويعرف كثيرين بها.

أما كرم فقد تدكر جيداً أنه أعطاها عنوانه على هذا العنوان جدار البيت، حدثت لسأكر أن ما قاله صحيح، وأن له بيتاً، وأنه لم يمارد بودايست. بعد ذلك السنة التي أمضاها معها، وقد توقع كل شيء، إلا أن ناي هي، وأن بعد الحو مع بيروشكا إمساداً غير قابل للإصلاح، وهذا كان منتهى، وكان يرغب أن تدعه وتصرف. إلا أنها بقيت في حساب يحتاج إلى تصفية.

فبحث النافذة أطلت على الحديقة انتعشت من طراوة الليل. لكن في الداخل كانت تعاني رجاءاً مدمم الرضى ولا امرح عينيها، وهما بشرى القهوة، ومجلس حول المائدة الصميرة التي سحبتها قرب الدخنة، أن يسمعا شيئاً من الموسيقى، رقصت مصاب على الحائط، طيب الملهي أخبرت الكبير أب موعظه، ولن تقدم فقرتها السنة كرم لم يهتم شيئاً هم بدوره إلى جورج، بأله عما إذا كان هادي ما يزال عنده. التمس منه أن يرسله إليه، جاء هادي، أدركت أنه طيب للفرجة العاموس الذي استعانا به. في تلك الليلة، عبر موجود، كرم تلقى بعض الدروس بالهرية، على يد الوش، لكنه لا يستطيع أن يشرح نفسه. ولا أن يتبادل حواراً معها.

سألها عما ترغب من شراب، فتح لها البار الصغير، طلبت كأساً من الحن، مع عصير البسون. شرب هادي شيئاً، هو اختار الويسكي، تتمش قليلاً حاول أن يصفي بعض المرح على الجو أن يجمل الجلسة الصميرة خبيثة. فكسها، هي، تحفكت عبر قليل.

بالهرية مع هادي شرح لها هذا الموقف كان محسناً، كان من كرم كاتب، وقد اشترك في أمسية أدبية، وأنهم اقترحوا، بعد الأمسية، أن يهرؤا الليلة عنده، وهذا ما صار.

- وتلك العناية؟ سألت.

- طالبة في كلية الآداب. وكانت من حمور الأمسية. ذهبت على هذا الأساس.

- أنزلت نصية على أي أساس ذهبت.. ما يعني لماذا أصبحت؟ سأله.

سأله. قال كرم:

- لست أدري.. فعلها شربت أكثر مما تحتمل.

قالت ابرجكا

- لم أفتح.. ما هي العلاقة بينكما؟ أهى صديقتك؟

- نعم. قال بعمر تردد.

- وأنا؟

- صديقة أيضاً.

- صديقتان في وقت واحد؟

أصابت

- أعبدك.. الرجال، هنكم، تكون لهم أكثر من روجة.

حكيت بالصديقات.

قال كرم

- انصبي يا عزيزتي ابرجكا. ليس كل الرجال، عدنا،

يكون لهم أكثر من روجة.. أما أنا فليس لي حتى روجة واحدة.

معنى هذا أنني غير مرتبط، وليس عدي الترام تجاه أي امرأة أقصد بالالتزام هنا الحب. أنا لا أحب يروشكا، ولا غيرها.. غير قادر على ذلك، ولا أريد أن أخدع أيًا فتاة أو امرأة. الحب انعاصف، اندفع كموج، لم أعرفه بعد. أشعر بحبي إلى امرأة، لا أدري متى أنفصيه، ولا أني في الصبي يمسدون أن جيتة سكي القمر. ربما كنت أعشق جيتة القمر.. ما هذا ذلك لي أصدقاء وصديقات. أنت واحدة من الصديقات. وكنت أنوي رهابتك. بكر بعض المشاعر والرغبة في تعلم شيء من اللغة المجرية، جعلني أنرت.

قالت اميرجكا

- هل مرض أن ما قلته كان صحيحاً، أي رغم بين صديقتك أحمل أنا؟

- أنت فائقة.. صداقتك من نوع خاص.. لم أسي لا أوزع أرتاماً على أصدقائي

- وهذا المتعب؟ يميل إلي أنه شبكة صيد جيدة

- لم أصطد به ولا سكة حتى الآن.. أنا صياد قاتل..

- أنت ماهر في الكلام.. هل هذا لأنك كاتب؟

- من قال ذلك؟

- أنا أجاب هادي. سأنتهي ببعض المعلومات منك..

قال كرم

- وماذا يعني حتى لو كنت كاتباً؟

- كيف؟ هتفت. يا إلهي! أن يكون المرء كاتباً.. هذا شيء

كبير.. ليست الحال كذلك عندكم؟

لم يجب على السؤال ماذا يقول لها؟

قال هادي

- لسبب مح تعارفاً أنا أيضاً رأيت كرم أصلاً لأول مرة

- ألم تسمع به قبل ذلك؟ أعني أليس مشهوراً عندكم؟

- سمعت. كنت أظن أن أراه، وما هو الخطأ.. من كان يقدر

أب سنمي في البحر؟

- - يوهي لو حدثني عن نفسه أكثر بما فعل. لماذا أخفي عني

حقيقته تلك الليلة؟ هل هذا طبع أم دهاء؟

- ليس طبعاً. أحب أن أثرت أحياناً.. التحدث عن نفسي يعير

مخبط، ولا حرج، ودون أن يهائي أحد. لكن ماذا كان يجب أن

أقول لك. أنا كاتب؟ عدي متعب؟

- تركت ذلك لتضع لي مفاجأة.. هذا من الدهاء أيضاً..

قال كرم

- أنا لست داهية في الواقع، ولا أصلح لهذا الدور.. سأكون

صريحاً فأقول إن لي طاعة عاطفية كمعني أكثر من امرأة عني هذا

الأساس، وبطرس طلب كاتبة، أرغب في أن تكون في أكثر من

صديقة. أقول صديقة لا حبيبة، أنا إنسان محروم من الحب بطله

الباء، والمداخلة، عدي، هي أنني لا أهتم لرد لا تريد امرأة أن

يكون للرجل أكثر من صديقة

قالت اميرجكا

- وهل تريد للرجل، هل تريد أم، أن يكون لصديقتك أكثر

من رجل؟

قال كرم



- هذا لا يعني كثيراً . أنا لم أسأل أيها امرأة عن صداقاتها .

- هذا ناتج من مهم حصاري ألم لامبالاة؟؟

- لا أدري

- بل أنت تدري . هذا ناتج عن لامبالاة، وهذه ناعمة عن

انعدام الحب، وانعدام الحب يولد انعدام العبرة، أنت فقير ومعذب من الداخل

قال كرم:

- هذا صحيح جداً

- ومما أن اصبرني الآن، لا يولد أي أمل في نفسك..

- أنت شيء آخر .

- أنت لا تقول الحقيقة

- إني سيء الخط، لأمي غير مفهوم، أو غير قادر أن أشرح

بشيء أنت شيء آخر.. منذ هذه اللحظة أنت شيء آخر.. أنت

صديقة يا مهربتي ابرجكا اكوني صديقة طنة ولا أطلب أكثر

- وبإسم الصداقة تريدني امرأتك في بعض الليالي؟

- ليس هذا أنت أكبر أستطيع أن أسع من قضاء انما لنة

معك، ومع ذلك أبقي صديقك.

- على أي أساس؟

- لا أعرف.. أليس في الحياة أشياء غير معروفة الأسباب..؟

لنشر، يا مهربتي، كأس صداقتنا، وهذا قول نابع من القلب

شربت ابرجكا تمكنت ملاطعانه، قتلته على يديها، وظلّت

ينسجم وتمكّر لد كان، بالنسبة إليها، رجلاً عامماً، لكنه صادق

في قوله ونصرفه.. تتركه ونعني؟ نقل صداقته على ما فيها من  
غواية؟ نأخذ نقطب أطواره على أنها أطوار كاتب ؟

قال كرم

- لنقلنا كان صداقة غريبة هي الضرورة نفسها إني أهم

طوبوك، مشاعرك، قطعك حتى لو قُت، بكسي، حيال كل ذلك،

لا أستطيع شيئاً لم أجن بعد أبا عاقل، مصيبي أبي عاقل،

العقل بجانب الحب، يقتله .

قالت ابرجكا:

- يا صديقي المسكين.. أنا أشفق على حالك.. وبإسم هذه

الشفقة أنسى كل شيء عنك، وكل ما قلته من كلمات وأستأذن في

أن أنصرف

قال كرم

- ليس قبل أن أقدم لك تذكراً، وأن أرافقك إلى بيتك لدي

خاتم نبي يا ابرجكا، بادر جداً، هل تمليه، وتصفيه في أصبعك،

من صديق مر يوماً في حياتك؟

نظرت في ساعتها، كانت الثانية بعد منتصف الليل، قال كرم

أحس أنه تأخر:

- إني أستأذن.. يجب أن أعود أنت تتكلم كساحر أو

شيطان أروع في رمص عديتك، وأرعب في قبولك كندكار

لماذا هذا القدر من الشهوانية في عبيك؟ ها.. هات عاتقك

وبأنصرف.. لا أريد، الليلة أيضاً، أن أساق مع نداء لا أعرف

مصدره .

أعطاه الخاتم.. غبكته، نهضت، قال لها:

تقاطع الطرق، قرب الساعة العنسامية، افترقوا.. ذهب هادي باتجاه نادي الصحفيين، وذهب كرم وإبرجكا في سيارتها باتجاه «بيضا اوتسا»، وكانت عجيات مصوليات في السماء الصعبة تنظم - وعنت إبرجكا، بصوت غميص، أغنية «، وتودعت وبات

- كرم - لوبلو إبرجكا؟.. (تحب إبرجكا)

- داي (نعم)

- خراشو (جيد) .

نابط الاطلاق.. جولة أخرى على الدائوب.. هذه عديتها، هوانتها، قبل أن تستلم كسحة إلهية، إلى الرجل الذي يحاره - وفي البيت تبتأ الشرب - شرب بييد نوكتي قرر لا يقترب منها إلا حين تفهوه، لكنه، عندما غابت هاربة، دافئة، راصبه، اغتم إلى درجة الانعطاف.. مع ذلك ظل يكرر باخبة المديدة، الملتة، الصاخبة التي عليه أن يجها، فها لو ظل موهلاً طريق البحر والشرب وإقامة السهرات في بيته. قال في نفسه «قرباً أصحت إلى جانب ادامو وبيلسون وكيربو - أسير ليلاً وأيام ياراً، أفع بين إبرجكا وبيروشكا أصبح طرماً في مائة بين امرأين - أقتصر ما تبقى من قوتي لأرسي هذه وبك أؤجر نفسي مناس كلت حدة، ينتع الشيطان عني وأصير داعراً، أعود في حانة حياة قنرة، جسية بحنة، خالية من أي معنى.

وخبأة نادته إبرجكا - دايادا تمكر؟ ماذا تنتظر؟ هل أنت تنب اليوم؟

كان عليه أن يتست أنه ليس تمأ، ولا يمكن أن يتنب لكنه، في صورة إبليس، تبدت عيانه المصمتان بالثهوة وهو ينظر إلى

- سأرافتك

- هل ترى ذلك ضرورياً؟

- إذا لم يكن ثمة مانع لديك

- وئي مانع هذا؟ أكون مسرورة.. ولكن ماذا يقول صديقك؟

قال هادي

- بر أقول شيئاً تعصلا

أصاف مارحاً

- أأبب إلا ترجأاً محلاً - اسمي دوري، وسأكرم العمت

ضحكت وقالت

- تستطيع أن تقول إن إبرجكا حطفت صديقك الكاتب بعد

منصف البس.

- لن تكون بيروشكا سعيدة بهذا الخبر

- ولا أصدقائي.. وهذا أفضل.. حين أريد شيئاً لا أبالي..

يستطيع المصبون أن يصموا رؤوسهم في ماء متلج..

- وماذا يقول النقاد المصبون؟

- لا أدري، ولا أبالي.. غيابة وكاتب. ا هذا خبر جيد - لم تبق

إلا الصورة .

- في المرة المقبلة نحصر كاميرا..

- أحصر منها صعباً حترأً بحب نشر الأخبار الغريبة المثيرة

- هل هذا محب؟

- ليس لك، ولا لكرم.. للآخرى.. قال كرم إنه موافقي.. أنا

أقول إنه سيصمي بكه مي هكذا أكون أنا! خرجوا، وبعد

جسدها الأبيض، الرخص، الممدود، المنظر . وبخلاف ما كانت تتوقع، لم يقرر إلى السرير.. فتح وجاجة نوكاي أخرى، وقف وأشعل سيكارة، راح ينظر إليها وعياه نوران شامعاً حارماً

بعد أن نامت أيرجكا، ظل هو صهّداً. الدم يقرص قلبه. هذا السرير الذي يدم عليه، كم نام عليه رجال قبله، أيرجكا، بعد كل شيء، مائة، ربما كانت يظنها بأفكاره الشنة هذه. إنها محرمه، ولها قسما، وعواظها، وممارسة الحب، عند الإعجاب رجل ما، لا بشكل ماحداً أحلاماً عنده. هي لا يبيع نفسها، حزن معها في ليله صانقة ليس يجده إلى المال، وحتى لو كانت كذلك فإنها ترفع العرق بين أن يمارس الإنسان الجنس لأجل الحب، وبين أن يمارسه لأجل المال، كبير جداً في أوروبا هكذا هي الأشياء صعبة أكثر، في الشرق يخطون هذا يدك، كل حب مجموع، كل ممارسة مرموقة، العناية والعاهرة سواء. الشرب يحدد في الخوصي العمل ما شئت في البر. إذ استطعت الاستمرار ببيت شريفاً يعاقب اجنلي المجتمع هناك صدق، لكنه يظل مجسماً ولا يستطيع التزم أن يسلخ من جسده.. التخليق قائم، وتجاوزه، بالتصيات وحدها، متحيل، التطور يبدأ بالقاعدة الأخلاق مرتنة موقية. إذا لم تتغير الحياة من القاعدة، يتحيل تغييرها من القصة، وهذا التغيير يتطلب جهوداً، تصحيات، تصلاً متواصلاً، وهذه العربة جرم من النصال، أو هي ميبه، نكمتك، يا كرم، امهيت إلى «بصال» «ماتس» محصور في المراض. اللصة عليك.

تسأل من السرير برمن حل ثامه وخرج إلى الصالون هناك ارتداها بدوه، دون إثارة أي تأمة كان العجر يوثك على الطلوع، ومن جهة الشرق، تلوثت السماء بتوشحات حمراء. أعلق الباب دون

صحة دون صوت أثر العزل على الدرج، ظلم صار في الشارع، نهّد بارتجاج أبعثه هواء الصباح البارد، ثم أن يصي إلى ساحة الأبطال، ومنها إلى العابه، أو إلى المسح القريب لكنه، حين بلغ «بستور لوتسا» وجد نفسه يتجه إلى البيت، ويهتد أدار المتاح في الباب الخارجي، ولم يأخذ المصح ارتقى الدرج عبادراً، وأول ما صله، حين دخل بيته، أنه فتح صبيور اناء في المنصير ويخلع ثامه وعرق في الماء الدامي. ولا كان النوم أحداً، وليس لديه أي عمل، فقد أسدل الستائر. سداً حتى فتحة الرسائل في الباب، وقرر أن ينام.. وأن ينسى

تجاه ما يقرأ هنا ما كان يدمعه إلى التدخين، إلى السكر، وكثيراً ما فوّض عن قراءة رساله مؤله، وهرع إلى مقهى الإداغة يذعن، يترجى، يعكر يوطه تركيا، باسطسوته، بالدين، كما قال ناعلم، يعملون ٢٤ ساعة في الـ ٢٤ ساعة وعلى جلودهم الصمراء، يلوح السل والأصفرار

- ١٢ -

هذا الشقاء، من جرّاء الغربة، والرسائل، والبرص، كان يده هذا، لذلك كان، في السهرات، وحول مائدة الطعام، يعض بعض ما ينعيه على ولديه، لكن ابنته الصبية، الراهنة، التي عاشت في الغربة، ولم تعرف تاريخ تركيا ولا يوسف، كاس تقول لأنها سبّره - ماددا، والذي وأست، لا تتوصلان عن رواية كل هذه المصص النائمة عينا؟

بدول الأم

- لأب قصص الوطن

- وما دينا نحن حتى نسمّ حياتنا بها؟

- كي نعرفنا، أخوك وأست، في أيّ شقاء يعيش شعبنا

- عرفنا.. يكفي ما عرفنا، وماذا بعد، ماذا نستطيع؟

- نستطيع، حين نذكر ذلك، أن نحسن بالأم تركيا، وطبنا

الحرير..

لكن الشائب كانا برقصان الإصحاء، وكان هذا الرقص يريد في شقاء الرالدين، وقد قالت سميحة بكرم وهو يشرب القهوة، جانب لصق ضياء، متألاً لحاله.

- أيساء الذي يعيش في رواء الحياة هنا، يقذب شمسه، أمام إضطار مؤلفه من الرعدة والرتبي.. أقول له:

كان حياء يعض يعض بغير انقطاع وهو ينجّ دخان سيكارته، جسده الطويل أشبه بالمبكل المظني، بهر وهو يعض، عشاء تحفظن تحت وطأة اسماعيل رموي، وروحته، سميحة، ذاب المرة الخلوة، تُعدّ به العشاء في المطبخ كانت أمص مدبقة في السم التركي، حلوة صوتها، ربه، الفتنة المبوب عبه، واللجة الاسطولية، تصعي عليه سعراً حاصاً كان عيناها، بسبب أنواع من الأمراض، أبررها الربو، يذني منها روجها صماء، ان تقوم بعمل إجابي، هو عمل روجها الذي لا يستطيع أن يجلس وراء امكروم لكن صماء، الكاسب، صاحب الأسنوب الجميل، كان يقرأ آلاي الرسائل، ويردّ عليها معظم هذه الرسائل من المبال الأتراك، انشردن، في كل أنحاء أوروبا، وخاصة في الدنيا الغربة وفرنسا، وكانت أعمالهم من تلك التي يترقّع الأوروبيون عن مراولتها، مثل التنظيمات، ومثل الصلوات، والخدمة في المادق والمطاعم.

رسائل هؤلاء المبال، إلى السم التركي في إداعة يودابته، كاس طمعة بالسكوى من حياتهم النائمة قصص عن شائنهم لا تسهي، وكل واحدة تصلح لمسرحية هوائية، وكان ضياء، برعم نصائح روجبه سميحة، لا يستطيع أن يكون لاسالاً، أو حادياً،

اسمع يا سنان، نحن، في صغرنا، كنا لا نعرف الزبدة - وكنا  
بمعدل أم، كي نلخص قتلًا من المراتي إذا وجد - كان الخبر  
الأسمر، البابس، عداءنا اليومي - ونصير هذا الواقع السيء،  
بصل رجالنا الأبرار - لو حقوا، سجدوا، أعدموا - وأنت ها، لا  
تعرف شيئاً عنهم، عن الذين يدورون في جنوبنا - ولا تقرأ حتى  
شعر باظم، أو قصص والدك - أنت تظلم شعرك، وتجلس في  
خديعة، في الغيبة، تعرف على البتار - كيف ستعرف تاريخنا  
إذن..؟ أنتعرفه، يا كرم، ماذا أجابني؟ قال.

- لا أريد أن أعرف شيئاً ولدت في الجبر - ها سأعش، ن  
أعود إلى تركيا، في أي يوم.

- تعيش في مهنج بهاء حودك؟

- ولماذا لا؟

- ونسئ الوطن.. نسئ الأناضول؟

- اذكره أنت - أنا ل أصدع رأسي بهذا - انظري ماذا عمل  
التفكير باليدي.

- والدك رجل شريف، ماضل - والدك تركي حقيقي..

- لا أحد يهتبه على ذلك.. يعيش في الجبر، حساً، لينتج  
بالحياة المرحبة المتوغرة له.

قال ضياء

- يا صديقي كرم، زرت أسس صديقتنا حسن.. تعرف أن  
زوجته ضياء، وأن ولده يتكلمان النصب، ويحملان الحرية في  
المدرسة. لكن حسن يختصص ساعتين كل يوم، كي يطمحها  
العارسية - له الأباء كما يقول - (به يذكر ويرر ويكي) - بهاء

تري، متعزّو من حكم لئنا يوماً؟ يتوقف نهر الدماء الذي يفوس  
فيه شعباً؟ وإلى متى يبقى مشرّمين، في المناقي؟.. حسن إبراهيمي  
أصيل، لا يريد لولديه أن يعيشا في المربة.. أن يتسلّدا، ويستمديا  
الحياة المفعّة ها -

قال ذلك ويده على خدّه - دخان سيكارتته التي تحترق وحده كان  
شرعاً - كان يسج، في حنقاته الرمادية المتصاعدة، شكلاً حديوياً  
للألم.. كان شيء ما، يرى ولا يعرف، كالحج، مفعج، يهرب مع  
الدخان، مسخوفاً من شفتين مصومتين، متصليين بالقلب مباشرة  
كاننا سدادين لقناة الرقة المربة، المائلة بوهي، وسواد كثيف  
يحميها - وكان ضياء، في اتكائه على الطاولة، وسيكارتته التي علاها  
الرماد، وعيه الماعزتين في أبعاد الأناضول، لوحة مجسدة للنقاء  
الإنساني، المحبط في توفه إلى خلاص البشرية - وروجه سبيحة،  
يرف على جمالي الخريفي، ظل (سهم، ونصها ابرمصة، المرفقة بين  
الحزن لأجل الوطن، والحزن على الروح العليل، سطى من نظراتها  
صرخة احتجاج خرساء، لا في صمتها على المربة، ولا قسوة الظروف  
عظ، بل على الولد الذي جرّدها سيّات النفس من ببل السور  
الذي كان عداءها، كان سدها، وكان قوام حنانها التي ترعص أن  
تشرق في المربة، ونكمت من الصال في سبل ما هو أصل.

«ضياء، أيتها الأب المجوز الطيب، وبها سبيحة، يا دمية  
كماح لا تلوح له بهاء، تسهم وسدائق، نحن إحموة - كلا رخوا، لا  
تصننا جامعة فكر فقط، ولا يوجد بيضا أما لحمل صلباتنا، عبر  
هذا العالم المذب، بل كذلك ونوعنا في أن دسنا هذه، التي لا  
تتبت، تحت أقدامنا سوى الشوك، متعرف أن تطع لنا زهراً

أهلاً ولا بد أن يبقى من يمين ما بعد الحركة، كي يأس  
تعبه الأبيض في عروته وودة خراء =

أنت سبيحة ثلاث كؤوس، شربوا - ثقة ما حال بعد - هناك  
مرح أيضاً لمرح تملأ - سنعلم أولادنا، على طريقتهم الخاصة،  
وسمهمون، وسدكرونا، على الأهل - لقد عملوا ما استطعوا =

قال ضياء

- إذا لم بعد ولدي إلى ترك مت وفي علي حيرة - لا أريد  
أن يتدبر مع العرب كوجه جاهرة دسه - عليهم أن يدروا كم هي  
البناء صافية، والنجوم مشقة، في لباني الصيف هناك..

مكر كرم - وهذا كلام يحضي شخصاً لا أولاد عدي لكن  
أيا، إذا ما بقيت بعيداً من الوطن، إذا ما استمرأت هذا المش  
الهيء ماذا يصير بحدي؟ يرى أسطيب المبني وأبني؟ أحيا عاك،  
مرثراً، متقاً، في ترف للتحف، وأحصان النساء؟..

كانت صورة الوجدان هذه، إثر تنبيه كهذا، ولو لم يكن هو  
المصود به، تنب له تيكيت صبور موجداً لكنه لاحظ - أن هذه  
الصورة، وهي كل ما بقي ليدكره بأسه، كانت تشفع، كتمثال في  
منحف، فلا يكر بالواجب إلا أنباءها، وبشكل يتأخر تأخره  
تدرجياً

نظر إلى أن هذه الصورة، لم تمت مطلوبة إلا للتبرير، لبعول،  
في منه وأنا لسب كالأخرى - إني أذكر بالوطن - وبعد ذلك  
يسى - والمصعب بالأمر، أن مثل هذا التمكير، في التأسست  
الطريقة، كان سلوكاً للأخرى أيضاً كانوا يقولون - اللمة على  
العربة - ثم يستمرّون، وبأشكال من الممارسة لا سطوي على أي

شعور بوطأة العرب، أو بالرعة الصادقة في وضع حد لها، والمودة  
إلى البلاد - ثمة أعداد كثيرة - كل واحد له عذره - يخبره إذا لم  
يكن موجوداً هو أيضاً سيكون له عذره عند اللزوم، وحتى  
بروج، نو بروج، من بيروشكا أو غيرها، يصبح عذره شريعاً إنه  
مرغم على العيش، حيث زوجته وأولاده -

وقد أصي به الخواطر إلى صديقه جورج الذي رآه، ذلك  
الليلة، فقال هذا

- أنت على حق، ولكن إلى متى يستمر مثل هذا الشعور؟  
أصافه: وبالنسبة، كانت السهرة جميلة أمس.. كانت سهرة  
عربية في قلب يودايت  
قال كرم:

- نصر عارف رائع.. صد كم من الأهوام يدرس الموسيقى في  
المر ؟

- يدرس الموسيقى؟ إنه سجل لدراسة الموسيقى، لكنه لا  
يدرسها - دراسة الموسيقى تحتاج إلى جهد، إلى تفرغ على التفرغ،  
إلى الجلوس ساعات أمام البيانو

- وماذا يفعل إذن؟

- كما يفعل الآخرون.. يمشي في المجر.. ألا يحكي هذا؟ إنه  
على كل حال، يشهد قليلاً من الجو الموسيقي.. أما الآخرون..

- لا يدرسون؟ قل لي.. كيف هي أحوال الطلاب هنا؟ أنت  
رئيس الرابطة

- العالم الثالث جعل من البلاد الاشتراكية مزرعة دراسية،  
كان الله في عون هذه البلاد

- أراك تشكو.. ألا تسير الأمور الدراسية على ما ينبغي..؟  
كانا يجلسان على جانبي طاولة مستطلة. تذكرت كرم أن يجلس  
بهدوء على جورج، المريض بالربو، كيلا يزعجه الدخان. فتح  
النامدة وقال لصديقه. «اعذري، لا أستطيع التوقف عن  
الندخين». قال جورج: «لا بأس، ما دامت النافذة مفتوحة»  
نكهة، بعد تميل، أخرج النافذة وبعث هواءها في وجهه. كان مغلاً  
في الكلام. شعره أسود، على عصبه نظارتان مدحرجتان، وفي جسمه  
رشاقة، وله رقبة قصيرة كأن رأسه قد ركب على كسفيه مباشرة.  
كان يتبدى في صورة خارجية هادئة، قادرة على التفهم، والتأني.  
وعند الشكوى عبر أن هذا يلوح على وجهه، وصلى أخيره كرم أنه  
كان هذا ضياء، كان مبهماً.

- هل تقوم بتعويضات من أحوال اليوم. لماذا تستعمل وجع  
الرأس؟.. اصبر.. «سبائكك بالأخبار من لم فروه».. حافظ على  
شوة الأس.  
قال كرم:

- شوة الأس راحت معه. لمج المجارة وقت، ولتصرفها  
وقت.. أريد أن أعرف..

- بولا خوي عليك من تلوث السمكة بملت لك عائر محمد حيش  
تدلاً هذا أستاذ في فون تيسير القمية، وضمان في تعلق الآخرين  
كيف يبيدون من كل شيء..

- أريد أن أراه، وأجابه. لا تخف على سحني.. لدي  
أسئلة، أسئلة كثيرة يا جورج. كنت في الصبي، مررت بوسكو  
قال لي بروشكا أشياء، لكك أنت، رئيس الرابطة، تعرف أكثر

من الجميع.. موثّر على تعب التجربة. قل لي، ألت قلناً، وقد  
تكون مزعجاً، من بعض التمرغفات؟

- مزعج؟ نعم. ولكن ماذا يعني هذا؟ أيا كنت وحننا  
ناضت، كان عليك أن تعالي، أن تتحلى.

- ولكك مريض!

- ضياء مريض أكثر مني..

- أنا أشتقي عليك مبعاً.

- رقه ها إذن.. أكثر من المحلات..

- أفرح؟

الحى جورج على الطاولة وقال بصوت صيقى الجرس:

- اسعد كرم! لا تحاول معرفة كل شيء في أسبوع، أو شهر. لا  
شيء يتعلم مثل التجربة. جرب بمصك أنت الآن في المجر. يبيع  
وهادي من أصدائك. سألني إليك الطلاب أبعاً، وفي المشمل  
تعرف على الجميع.. ستكتشف الأشياء بمصك..

- بدأت أكتشف.. ناقضني تطل على المدينة.. رأيت ادمو  
الإيطالي ومطلنه، ولسون وكبه الماركه الي يقرأها وهو يعم  
في الطل، وفي الشتاء يقرأها، كي أهدر، وهو يتنفس، ثم يخلص،  
كما قال لي ضياء، حول الماء النظري. كذلك تمررت إلى كيرمو  
الوناني، الذي يذبح ما يأخذه من قطع نادر، كيجره من مرتبه، ثم  
بصرف الدولارات في السوق السوداء، ويديه سيارة، ويعمل لشراء  
بيت، والموصول على الجسبة المجرية، والبطاء في المجر نهائياً  
- تعرف إلى محمد حيش أيضاً.. هذا نموذج للاخريين.

- قلت لك سأفعل، لكنني، منذ الآن، أعرف.. إنه يعمل في التهريب، ويشتمل في السوق السوداء..

- وله امرأة في الاتحاد السوفياتي، وقتلها امرأة في بلغاريا، وتزوج الآن امرأة ويته غرون، من الروال الثاني، إلى أحدث أنواع المجلات وهو لن يعود إلى العراق، وكثير من الطلاب، من كل البلاد العربية، ومن البلاد الأمريكية، يهربون، يتأخرون، يترجون، ويتدبرون بألف عذر كي لا يعودوا لبلدانهم..

- ولماذا لا تطردهم الجبر؟

- أسألك

- ونكسي أسألك أنت كي صبوراً على لم يحس أحد على هذا الشأن لا أسمع سوى الشكوى، ثم ماذا؟ تطردهم الجبر تجعلهم عبدة للآخرين!

- وسأنا تفعل بزوجاتهم وأولادهم إذا طردتهم؟ ثم لانس ضرورة المحافظة على العلاقات مع بلدان العالم الثالث، ومراعاة مشاعر الأحزاب الشيوعية

- لا أدل في عودتهم إذن إهم يتخفون هنا يحصلون الحياة في البلاد الاشتراكية.

- لا.. إهم يتخفون.. يطمنون ورجلهم أن تنتمها أيتها.. يشكون لا يملكون من الشكوى والسبب بسيط ليس لديهم سيارات مثلاً، أو لم يحصلوا على بيوت أنيقة، واسعة، برعم أرملة الكى

قال كرم

- يا للصورة البشعة! هل هذا معقول؟

جورج وانكأ على حافة النافذة فتح منه كبعض الأسلاك حين تخرج إلى الشطح. كان يفضله الهواء.. عجب كمية منه استراح قليلاً. فقلت لي كرم وقال

- ليس من عادتي أن أسك مرشاة وأطلي جدار الحذاء بالأسود. لو كنت رساماً ما استعملت الأسود إلا نادراً. لماذا إذن، تريدني أن ألتجأ إلى هذا اللون، في رسم صورة قائمة جداً؟ منذ بدأت الحديث وأنت مذهش، تكرر كلمة معقول بمررتوقف هل تستعجب الأشياء؟ نعم، يا عزيزي، ما سمعت معقول قائماً الطلاب المنعكفون، الذين حصلوا علامات عالية في البكالوريا، لا يأبون للدراسة في البلاد الاشتراكية يحصلون الدول العربية، أميركا، اسبانيا على الأقل أم الذين حصلوا على البكالوريا بعلامات سيئة، وبمساعدة، هؤلاء وحدهم الذين يأبون للدراسة هنا. لماذا يريدون؟ الطب، الهندسة، الألكترونيات، هندسة البترول وطبعاً برسيون، وعندئذ يحصلون على فروع أخرى، نظرية، لأنهم لا يريدون ترك الدراسة الجامعية، مع الراتب، والمتسلة.. لديها طالب اسمه شاكر.. والده عامل.. استطاع، بمساعدة ما، أن يرسله إلى الجبر قصي ستن في الطب وسقط، قصي سمين في الهندسة وسقط، كان قد تزوج في هذه الأثناء ولا يريد العودة إلى سورية. عندئذ طلب أن يدرس مكنتبات.. وقص على ذلك

- ولكن ما لا أحمده هو التالي كيف تزوج فتاة بحرية خريجة جامعة، طالباً خائباً كهذا..؟

- هو لا يقول إنه خائب.. يقول إنه طالب طب، طالب هندسة، ووالده أمير، أو ثري كبير، وأن له في الوطن، سيارته



الخاصة، وأرضه، وبيته، والفتاة بسنن، يكون جيلاً فتفتت به،  
يعربها بالهدايا، بالوعود، بخدعها، أو تكون مستعدة للاعتداع،  
لدرّاج بأي شكل.

- كمب هذا؟ يأتي الطالب فقيراً، ويطلب سحرة على هذا  
لأساس، وهذا يصرف كيورجوارتي، راعياً أن والده وزير أو

مدير

- سمع هذه القصة ومن طالب من بيئة شبيهة في حلب إلى  
بودابست، كان متدنياً، وكان والده، قبله، تقديمياً أيضاً، وقد  
وصل المدر وهو يخدم معه على أنه رقيب ثم ترقى إلى الطالب،  
قالوا له إذا ثابت على هذا امسك، فلما تجد من تكثرت بك  
ماداً يعني أن يكون أبوك معلماً، أو ماحلاً، أو رقيباً؟ قل إنه  
صاحب منزل عسرة مررة وإليك وريته، وبنتكم شبه بالنصر،  
ولكن فيلا رهيبة أيضاً لقد رقص في البدء ثم فعل كعبه  
أصابته العدوى وجد معه يدرس مجادياً، بأحد مرتباً، بأحد  
تعميم ألبسة وكتباً لم يمد تحت رجلي الفخر سي أصله خدع  
إحدى الفتيات وتزوجها، وحين عاد، ومنه زوجته وولده، واضطر  
إلى السكنى مع والديه، في عرفت، ضيق، اكتشفت النساء  
الحقيقة، لكن بعد فوات الأوان.. ماذا تفعل صديقه؟ الافتراق  
من الزوج سهل، ممكن في كل وقت، لكن الولد، وهي أم؟ مكرّ في  
وصفها واحكم بملك؟

- في هذه الحال، من الأساس أن يدرس طلاباً في العرب  
- هذا مبدئياً صحيح رجعي عربي قال إذا أراد الإنسان أن  
يعبر أفكاره، به أو بنته، فليطلبها للدراسة في البلدان

الإشراكية.. هناك يجدون كل شيء جاهزاً، يسون أصلهم،  
يدلون أفكارهم.. أما في العرب، حيث يشتر الطالب حوالة أهله  
كل شهر، ويهرب من البيت بسبب التأخر في دفع الإيجار، وبأكل،  
إذا أكل، لحمة قاصه كالنفس، فإنه يظل تحت مطرقة الحاجة، يكر  
بالظلم والمذل

وقب كرم دون إرادة. اسمزّه ما يسمع حسب أن جورج  
يبلغ هل يمدب مع الطالب ولديك يمد عليهم؟ إنه يمتري .  
يصيح به: أنت تقري.. أنت تصع نظارات سوداء.. وترسم  
بالأسود بأكثر مما تقري؟ اقترّب منه.. اقترّب أكثر، قاله له  
مبملاً

- هذا خيف! خيف جداً يا جورج! سمعت هذه الشكوى، قبل  
الهي، إليك، من ضياء التركي لكنها لم تكن هذه البرادة أنت  
مريض. حركك ينعكس على مشاعرك، ضياء..  
ناطحة

- ضياء صديق مادري وكذلك حسن، وعصبي.. وهناك،  
للإنصاف، ماصون، من كل الأجاس، وطلاب أدكباء مجتهدون،  
مريضون المهم ألا يحوطوا طويلاً في الماء، إذ اسفر في بركة مدة  
طويلة، يمد.

- أنت تصحبهم بالمودة إذن، أليس كذلك؟

- بالدراسة، والمودة، وبأسرع ما يمكن لكن تصدق أحياناً،  
انتهازيين مفرمين طالب، من إحدى الدول العربية، كان دكياً،  
مجهداً، تقديمياً، وقد جاء للدراسة على هذا الأساس، وظل كذلك  
حتى خرج طبيباً، ثم سعى لسحة اختصاص حصل عليها وعندما

اختص وتخرج انقلب.. صار يشم المجر.. يتدجج اميركا.. حاوره،  
في الختام، قال لي حرمنا: «الآن سأعود إلى بلدي نظام الحكم فيه  
ضد المجر، ضد الشرق، مع العرب، وأنا بعد هذه الليالي التي  
قصصها في الدرسة بوي حدة مطبقة لا اريد أن أعرض نفسي للإحراج،  
أو لسجن بعد هذا العمر، وهذا لا يخصني، ينبغي أن تكون  
يدي سبابة، وبيب، وثروة وكذلك روجة جيلة.. من أجل ذلك  
لا بد من تعديل جندي أنا أيدل جلندي، وكل شيء ما تريد.. لا  
خلاف فكرياً لدي، بل مصلحة، هذه هي الغاية (أي رجل  
صريح)»

- وماذا فعل بعد رجوعه..؟

- صار من رلم السلطة ينتم السد الذي علقه وأطعمه قطع  
صه بهكن المواطن لإساية إنه يكوئ الرضى، يملخ  
جلودهم، يجري جراحة غير ضرورية، لأجل المال.  
- يا له من بدل؟

- لأبدال كثيرين متى الكثيرين منهم ها، وكثيرين بعد  
مودتك أو نحسي في الملباتين؟ لماذا لمست على أن أنكلم على  
كل هذه الأمور السيئة؟

- ولكن هل يمثل أن يمتن المرء اليد التي أحست قلبه؟

- يقطعها أيضاً وما اذبح؟ إذا كان شتم البلدان التي درس  
فيها، فهل له أن يدخل الجامعة، أو الوظيفة، ويلحق بالطب  
البروجوارية، ويأمن كل ليلة في حصر زوجته، ظاهراً لا يعمل؟  
لماذا لا يهتم؟ لماذا لا ينام فيرغم أنه عن خلاف فكري أكثر  
الذي تظاهروا بالخلاف الفكري كانوا انتهازيين، كانوا منافقين  
وصوليين لا أكثر.

ساد الصمت بين النحاورين. جلس جورج وكأنه تمب من  
الوقوف معروف هذه هي الكلمة معروف سنوك المرتدين  
جورج لا يعرف صط، ينلم. قال كرم في نفسه: «أنا الذي سبب  
في أنه.. إذا أصابته نوبة ويو أكون مسؤولاً». راح يذهب ويحيى  
في المرحه دون أن يكلم النصف على كل شيء. صار كل شيء، دا  
صلة بالعرب متحفه، سنوكه، وهو نفسه الأوتد يسرون خلافاتهم  
الكادسة جورقه هؤلاء العراة، الرناة، الذين يبيعون أنفسهم  
وشهادتهم لأجل وظيفة. أه.. ألا يعرفون هذا؟ التمت إلى جورج  
مصبأ، سأل

- يعرف الجريون هذه الأحداث؟

- قد لا يعرفونها كلها.. لكنهم يعرفون الكثير، ها وفي كل  
البلدان الأخرى لكن هذا لا يحول بينهم وبين أداء واجبهم تجاه  
البلدان المقيمة، المتخلفة، الدمية كما سببها تحدثت مع أستاذ  
عربي، هو عبد بكبة العلوم الاقتصادية ثمرف ماذا قال؟  
«سبح» نحن لا نعاون على اعتاق الطالب مبدت هذه مسألة  
شخصية، هو حر بما.. ما يمتنا هو مساعدة البلدان النامية،  
الكلام، وحده، لا يفيد. لأجل استملاء هذه البلدان عن كواد  
عربية، رأسليه، مشيخة، لا يد أن يكون لها كو درها الوطنية  
لا تستطيع أن تمول تلك استمرى عن غير في الزراعة بأنك من دولة  
إسمارية، قبل أن تنشئ له غيراً من وطنه نفسه.. إذا أقمت  
معلاً للأمتة، تستطيع الاستملاء عن استيراد الأمتة الأجنبية..  
هذا يطبق أيضاً على المهندسين والأطباء والإدريين وجميع  
النسبين إيسا مرتني كواد للبلدان النامية، ولا يمتنا، بعد ذلك، أن  
ينموننا.. المهم أن يستموا من الآخرين. هذا هو الطريق لبقاء

لاقتصاد الوطني، للتخطيط، للتنمية، ومبداها.. إنما لا يمر  
أدب لثلاثاء، حتى إذا صدرت من طلاب نخرجوا من جامعاتنا .

قال كرم

- ولكنه عقوق !

- وهناك وفاء أيضاً . الأوصياء موجودون.. الخطر، كل  
الخطر، من الإقامة الطويلة.. تذكر حكاية لواء الراكدة.. إنه  
يشكل مسمماً لا محالة . ولكني سمعت من الكلام ما رأيك  
برجاجة بيرو مبردة؟

- لا أرفض.. بل أطلبها بإلحاح.. تصدع رأسي عما سمعت..

أحضر جورج رجاجة البيرو. كان مرتاحاً لأنه قال ما يريد،  
ومسألماً لأنه قال بكل بشاعته . قال في نفسه «الصانح موجهة إلى  
الكتاب العربي أيضاً، ولكن بطريقة أخرى . النصف جميل، رائع،  
لكن هناك « هو أروع الكتابة . أن يكتب عن الوطن ولأجله،  
لأجل الشعب والأمة.. ثم يدرك أهمية ذلك؟ »

شرباً محبباً أحبباً، شيء ما محبب في جورج جعله قريباً من قلب  
كرم . كان يدرس المبرياء . لكنه، والأنباء، كان مريضاً بالقلب  
أيضاً . وقد أجرى جراحة . لكنه يحتاج إلى الهدوء، الراحة،  
البعد عن الازدحام . وهذا هو في موقف لا يحسد عليه.. رئاسة  
الرئاسة تلتهم وقته وصحته.. لكنه لا يتراجع.. يقوم بواجبه..  
إضافة إلى عمل الترجمة الذي يقوم به في الإذاعة.

سأل جورج صباة

- ماذا تكتب لنا من جديد؟

- رواية عن العربة .

حدثه عن « هيدجي » الهجري، للفنون بالنصف، وكيف يحرم  
منه وعائلته ليمسها . روى له قصة الأسباني الذي مات في الصين،  
ولم تأخذ زوجته سوى رهرة من ماله، سحلتها معها إلى الوطن،  
أخبره عن المرتقة التي أطالوا دقوسهم وحملوها في الصين . أكد له  
أن حياته، هناك، كانت هائلة، لكنه يتطلع صوب الوطن، يريد  
الاقتراب منه والعودة إليه في أول فرصة

بواب الهندية، تطاوله، قفرع، شمل الذكريات، شمل مهرة  
الأسس، وزيارة الأصدقاء الهجريين لمتحف، وإعجاب روريكا به  
إلى حد الجنون

صاح جورج، وهو يسمح رجاجة بيرو أخرى

- أيشو هاد غاي.. هل جئت لتمش الهريات؟

تسعد كرم، قال بيرو أمي

- ليس يودّي أن أفق أحداً.. ما تغيرت طبعاً للمدات.. أنا

بحكم للنمي، هل أن أصل..

وإذا كان هذا لشعب اللحن حياً في اشعالي، فإني مستعد  
لإعادته إلى الصاديق، إلى بيعة أو ثلاثة.

قال جورج

- ليس إلى هذه الدرجة . أن تتسنى قبلاً، ونحن ندرس أو

معمل، هذا جند . ما أطبك نسمع جديداً مني . أم تعرف أشد

كثيرة . لك خبرة طويلة بالحياة، وهذا يظهر في رواياتك

- الخبرة وحدها لا تكفي.. أن غارما، نقد منها في عملنا،

عددت مقسم خدمة ما

- ما قرعده منك أن تكتب . هذا واجبك الأول . ولن

تستطيع ذلك إذا اعزلت الناس.. عن لبا وهاداً.. لا تشع بدسب  
لأبك نيل قسلاً ثم أنت معطوط.. وايرجكا هذه - ويروشكا  
التي هربت

- لاحظت هروبها؟

- طبعاً؟

- أنا لم أهتم تصرفها . ايرجكا ليست سوى ضيفة كائن  
الصبر .

- هذا ما يمكن أن تقوله لي . أن تقسمي به.. لكن يروشكا  
تمكر على نحو آخر.. إياي تحبك .

- وكيف هربت بهذه السرعة؟

- من نظراتها إليك، جلستها إلى جانبك ثم كرمك كاتباً،  
ولديك هذا اللتحف.. وهذه الأرمجة  
فما كرم

- هذا جائز، بل هو واقع.. تحدثنا به.. سأنتهي هنا إذا كنت  
أحبها.. لم أشتأ أن أكذب..

- وماذا قلت لها؟

- صارتها بما في نفسي.. أولاً أنا لا أحبها.. أمي لا أحبها  
ذلك الحب النصف، الذي يروض الإنسان، ويملك عليه معه ثم هناك  
فارق العمر.. شمسها فشرق، وشمسني إلى غيابه.. فكرت بهذا يا  
صديقي.. الربيع والخريف لا يلتقيان

- واقسمت هي بهذه الخعج؟

- طبعاً لا عرست عليها، بعد ذلك، صداقتي انمسا على أن  
يكون صديقي

- وايرجكا؟

- هذه لها قصة.

روى كرم، وهو يشرب بيرته المشوجة، كيف التقى ايرجكا،  
معص مصادفة.. وكيف ذهب معها إلى اللبس الذي تسمى فيه، ثم  
إلى بيتها، وكيف جاءت ليلة أمس لمجرد زيارة عابرة، ووجدت  
بعضها، فجأة، في سيرة مريبة حلوة، وكانت سيدة، كما أظن، لأن  
يروشكا لم تصدق أمانيها .

- هي كانت ذلك؟

- ايرجكا لا تقول هذه الأشياء الخاصة، بلأمة المبرمة، كما  
يحبك إلي، فأوس ساداتها وحرباً في داتها لكنني أدرك كل  
شيء فيها كان ينادي بانصارها.. وثقة رهوها، استعجت بها رأب  
من تحف عدي . لم تصرخ «جوييري» انصتت بالسي وألت  
غفرتا.. فالت إياها متوكة

- وبعد؟

- ذهبنا مطوف في النوارخ.. لم إلى بسما .

- ويروشكا؟

- لا خير لديّ منها.. كان يجب أن أمال، لكنني أجهل رقم  
هاتفها.. أجهل كل شيء، سوى أنها في كلية الآداب..

قال جورج

- يروشكا تحبك كما يبدو، لم تحصل رؤية ايرجكا.. المبرمة  
بشتها . عرفت أنها غير قادرة على الماسة ألفت سلاحها بعير  
قال

- تحب أن قتالاً يشب بين امرأتين لأجل عجور.. مثلي؟

قال جورج

- هذا سؤال تعرف أنت جوابه.. لكك تبحث عن نوكد  
أب يا عزيزي لب محورا أكبر من بيروشكا هذا صحيح، وحي  
أكبر من ايرجكا هذا واقع، لكك لت محورا بيروشكا  
لجك . ايرجكا تقوم بممارسة منك . لكاتب، ها، شيء عظيم  
المدن يتمتع بالحب والعبادة والمال أيمه . ماذا تحب ايرجكا  
منك؟ يريج

- لكها لا تريد شيئا.. رفضت النقود عندما عرضها عليها..  
كادت تصمعي..

- وهل عرضت عليها نقوداً؟

- في اللبلة الأولى..

- ارنكيت حافة.. ايرجكا ليست بحاجة إلى نقود، ولا إلى  
محبين . ولو حصرت الأسس الأدبية برأيها تلصق بك . وبعد  
رهارتك، ورؤية لتحب، ومعرفه لك كاتب، سظل على صلة بك،  
وقد سرّب خبراً صلباً عن علاقتها بك . هذا يرضيها، يريد في  
شهرها أيضاً أخطاء في عرض العود الهدية كاتب أعمل أن  
ترسل لها باقة زهر إلى البيت، إلى اللهي.. أن تقدم تحية مما  
لديك.. هذا أوقع.. المرأة المحرمة حساسة جداً..

- فعلت شيئاً من ذلك.

- أحسنت، ولكن قل لي، ماذا ستفعل بيروشكا؟

- ما بها بيروشكا؟

- هذه لجك حقيقة . احرص عليها . أسأل عنها

- أين؟ في الكلمة؟

- تعرف لكها؟

- أوصليها للآ . لكسي، صدقي، غني في الجرافيا، من  
عبدني في الحب

- سأل الطلاب أين تقع كلية الآداب.

- أكون شاكراً لو قطعت

شربا ما يسعى في الرجاجة وأمرني عند كرم إلى بيته وما  
كاد يستقر حتى قرع الباب.. كانت هذه البوابة، وكان في يدها  
مكتب أبيض، دمه إليه وقال

- بيروشكا!

صاح فرحاً:

- بيروشكا!

- ايكن . (مهم)

- كوبس سيجي (شكراً جريلاً)

اهتمت البوابة اهتماماً ذات معنى..

ومضت دون أن تقول شيئاً آخر

عن النجم الذي علمه بعيداً، في القبة السجانية، المنورية، الساعية،  
المصانة في لثة صيف على الدايوب

كانت الرسالة بالجزيرة مؤلف منات الخط الأنثوي هذه، كيف  
البلبل إلى قك رمورها؟ كتبت نصها بلعها، وجدتها أكثر  
مطوعة في البوح، في الجوى، في الشكوى، في أن برسم نصها  
دموعاً على المصحات.

- ١٣ -

فعلًا كانت الرسالة من يروشكا..

من أوصف؟ متى أوصفها؟ هل جاءت نصها، وصفتها في ناعمة  
البوابة ومضت؟ ما أرادت أن تراها، أن تقول لها شيئاً؟ أن يحملها  
تري، في حرة الوجه، خفة الريح في أن تهرق نصاً، وتلمب معه؟  
في أن نصها، هي التي دخلت انبسي، إلى جاسه مرهوه، في حالة  
السكر، كرسية حمر طوحت بها، نصها نص رعاء، المزارع  
جلف، لا يحمل من الأرض شقائق النعمان، سارة ربيع قادم؟

م يسأل البوابة شيئاً لو كانت يروشكا بعدها، في عزمها، في  
المدخل، أمام لمبي، بعده إليها، لحيته من يده لصالحها كانت  
تعرف ذلك التي مرصد حركة الدس، في دهيم وإيهيم، ومن وقع  
الخطي، على بلاط المدخل، ومن الصلحكة، على باب المصد، ومن  
ماتق التيس، سر الحكاية بينهم، وماذا في الخلوب من أشباه  
نصها الساع، كالنعم، وما تخفي المصدر

دخل البيت، لمضته أنشلت الضوء، يده قرأت الرسالة قبل  
عسيه من داخل الملف، وهو يتنحه، انطلقت ميجاتا: «حبوا  
عليك بس حو ملك» انطلقت في نعمة آبنه، كس يوصي وهو  
يسعد، بعد هوى مير من المودة، تحطم، خاب أمل، ترميح، انمصل

ومع الرسالة كانت قصيدة، حاولت، بقدر ما لبثت اللغة، أن  
ترجها إلى العرسية، لكنها نقتت معردات صط الحزن، وقع  
الخطي على رصيف الشارع، وحشة الليل، وحشة النفس، يها،  
وانت، انت انت.. لماذا؟ بأي حق؟ وتلك المرأة، ودعاً.

ارتدى سترته بحركة مجالية، لا واجبة، ترك الضوء مشتعلًا،  
النافذة مفتوحة، الصمت الثنائيل، وصدي العتابا، فر إليها،  
هربت منه. هرب إليها. كان صوابها على ظهر المنكف، لم يتوقف  
عند البوابة لموصفها ما عرج على جورج ليستطه الكليات  
المرية. أثار إلى أول مكسي، ألقي نصه داخل السارة، دفع إليه  
بالصوان أنشلت سيكارة. قد تكون أوجلت الرسالة وعادت إذا  
لم يحدها فيمظرها. إذا مات خارج الكلية سيترك لها كلمة «ولم  
الخطي على رصيف الشارع، والحزن أثر، خيط طويين كفي في  
الاسطورة، كي يتندي به، وهو، الآن، يجسه، يصح إصبعه،  
كطبيب شرعي، في الجرح العائر الجرح الذي يديه، في مصادفة  
عربة، أحدثه.. والدم يرعب، ولم يكن جراراً، ولا كان يوماً  
دايح عصور أو عقود.

أوقف السارة على باب الكلمة. لم يصرها إذا كانت

سيخطئها ثم بأنها على صحن عددي ليردتها وراءه لا هو بالحق ،  
ولا لايس « فبقى » . العمر والجو ، كلاهما لا يصفان .. السيارة  
وحدها ، لو رآها ، ستكون أرجوحتها ، في انصاف للعقل ..  
وستتلاقى العيون ، ويكون صوت ، تقطعه ابتسامة ..

جاءت بيروشكا ، بعد دقائق .. سكرة ، جرعة ، تصدق ، ولا  
تصدق ، وما أن رآته حتى صاحت

- كرم !

- بيروشكا !

- لماذا جئت ؟ ..

- ودا هربت ؟

- ها .

- إلى أين ؟

- لا أدري

- أنت لا تردي ..

- من قال هذا ؟

- وإبرجكا ؟

- يا صديقي ، يا صيني ، يا صومني العريضة !

كان ، حتى في كلمات التحوى هذه مكرراً من ديب أكثر مما هو  
حبيب ، هي تعرف هذا ، تعرفه ولم تمتد لتدفع عنها صه . صديق  
صدوق هذه هي الكلمة ، غيرها ، لعبة وهم فوق ذلك ، إبرجكا  
التي جاءت بقدر واعت أن يكون صديقها لا حياً قديم ما هو  
أقل ، هل أمل أن يتبدل ، أن يصبح ، يوماً ، لها وحدها ، ثم ، في  
مواجهة الحقيقة ، كانت ضيقة حاله ، تحه ، تحه ولو لم يحسها

الصداقة ، حتى تكون مجتمعا ، نوع من الحب ، وعلى هذا النوع  
وطدت النص ، لكنه ، حتى في هذا ، يحس فيه للأخرى ، التي لا  
يريد ، ولا تستطيع ، أن تدخل معها في ماسة . هربا ، في التعبير  
الذي أعطته له ، وهي تطلب على شوك سريرها ليلة أسس ، كان  
نصحية لا عجزاً فكرت ، في لحظة تنام ، أن تكون راضية دون  
دير . تحه ، لكها ، في المقابل ، لا تطلب أن يحسها ، ستظل كذلك ،  
لكها ل تمل صداقه الأخرى ، مها كان ، لا يبدد ألب الآن ، في  
سوية الارتماع على صحن العفوق ، تعطي نفسها مدداً صوبياً ،  
وتشدد ، في الراحة التي تسمى إليها ، اليأس المريح ، لكنه جاء  
طلبها اسطره في الباب ، المقاومة ، هارت مريض هي ، والطبيب  
في قلب .. حبة السكر في جيبه ، في كفه ، وكأني الماء جاعرة ،  
السمان ، والقب ، والعصب المتعب ، كل ذلك يسطب الرحمة ! لها  
نحت رحمتها ، ومقابل مجبته نسي .. وقد نسيت ، الحب يسي ،  
يسامح ، يصيح ، وهي حبة ، عاشته ، والإله الذي تتجده ، قادر أن  
يحملها قرباناً للديح .. يا إبراهيم .. توقف عن دبح ولدك إليك  
بالكيش ، إله المدينة .

مال لها

- ها .

ولم تقل « لا »

ثم تكن تستطيع .. سوية هي ، سوية الإرادة .. خدي ..  
وأخذها .. أمسكها من يدها ، وخرجها من الباب ، خرجا من الدير  
الراعية غادرت الدير . تصرف يا إبراهيم بولدك كما تشاء  
خطفتها السيارة . « إلى أين ؟ » « حيث تشاء » مصت ، مصت ،  
مصت قناديل المدينة أصبحت .. تلوّنت الواجحات .. الأرض

متحنت بالبور عطر بلة صمعه شويه ما بهلتي الأرض صلتي،  
 ترمع صلاها إلى الأعالي بيروشكا النصفت بكرم وصحت رأسها  
 على كسفه شعرها بدل سرقته الريح، نظير صلتها إليه  
 القطة الألفه اسكاب أعطت نصها للظلمة هاك شعري -  
 الأصابع في الشعر انشامه حبة.. ومأذا يقال، في موقف كهذا؟  
 هو لا يدري هي لا تكلم صحت والبارء ندرج، صمعه جمل  
 كيلبرت بعت القطة نصها الخدي الأجر القلمه الخانيه  
 توقفت برجلا ما رأيك في سماع موسيقى البكان؟  
 جاب

- تحب لموسيقى المجرية؟

- أحب المجر

- أنت لست مجرياً

- لا.. ولكن «أنت مجرياً جداً»

- إذا صرت مجرية أصبح صبيحة؟

- إذا هربا من المدينة نصبح صبيحة..

- إلى أين؟

- نرى لأمن البعد؟ إلى هناك

- ليس في الأفق سوى الممطر الدامي..

- نصبح عماماً دامياً

- أنت لا تصحك علي

- أبداً

- بودي لو أتحول إلى عمامة عمامة مطر، مطر، مطر  
 وردا يذذها الريح؟ عدتة نصبح دراب مائه في الموق

وأن سقط الدرات المائيه امسه الي في جوف؟ ألا تعود إلى  
 الدايوب؟ انظر ما أحل الدايوب ماؤه الساب جوره  
 المعمه، سمه الهريره تحب الدايوب يا كرم؟

- كثيراً جداً أحب بودا وبست، وكفشرت والبارلكا

- وأنا؟

- وأنت أنت صديقي الأثير أنت عزيزي الصعيبة

- وماذا بعد؟

- وماذا، بريدي؟

- هل أكون حبيبك؟

- لندخل إلى القلعة لدينا وقت طويل جداً بكلام

- لكسي سبعة بالوموف ه، فوق كيلبرت ومن تحسا

المدينه، بقطعا الدايوب، كمدية ررقاء دع الليل يهبط أكثر،

يلقي علينا ثوبه الرمادي، يحجبنا عن الأنظار، يذهب وحده.

وحدها هكذا.. إلى الأبد..

هكر كرم «هل تعلم بيروشكا وهي واسعه؟ أوقظها أم أدها

بسرسل في أميه مسجيه، خدعه، كالكدية النيهاه؟ أمن لها

إن هذا التوحد الأيدي، الذي تحمل به، لن يكون أبداً وأن

المصادفة الي حمسا، هي نصها، ذات يوم سترقنا؟ أعطيتها

كلاماً بلا حث، أم حثاً بلا كلام أن لا أسطح ما زال العنل

بمحكي لم أسر بعد قد يحدث ذلك يوماً، لكسي الآن، وأنا

أقف على أعلى قمة في كيلبرت، أكاذ أمد يدي إلى النجم، لن أجعل

النجم يلقي لي أكذب لماذا بريدي أن أكذب؟ لماذا لا تكتمني

بالصدافه؟



قال لما

- بيروشكا تشكبي في صداقي؟

- بدأ

- لماذا لا تكسبي يا

لأنا لا تكون بين رجل وامرأة، ويدوم

- كيف؟

- لا أدري، الصداقة بين الرجل والمرأة كدبة شبيبة..

- لم أفهم.

- أنت تفهم جيداً.. ليس ثنائي، أنا طالبة الاداب، أن تعلم  
كاتباً ملك أقول لك الصداقة بين الرجل والمرأة كدبة شبيبة  
قصيرة العمر تصدم منصبح حباً يصبح بهراً، كالدانوب الذي  
يسيل متجهاً إلى أمام.. أو تراجع.. وعندك يكون المراهق لا  
شيء ثابت هذا ما تعساء في المدرسة وأنت تعرفه جيداً  
هذا يدخل الفلحة من الثمن أن يسعدني الإنسان حب الآخر  
هذا لا يصير أنت لا تحبي أنت لا تستطيع أن تحسي وكذلك  
لا تحب بارجكا تحسي يوماً طيباً معاً ثم يحسي الموت  
الطبيب اسهت الدورة فكل شيء دورة، للصبر، للصبر،  
للسداقة، هذا ما يقوله أحد شعرائنا.. دورة صداقتنا تنهي  
أيضاً لا بأس من أيكبي سداً كمي ما بكيت ليلة أمس  
نسرع إلى الفلحة، أريد أن أشرب، أن أسكر، أن أحب من  
الوعي

نمذبه في السلام التجريه، في الدخاير الصيفة، النار، دخلت  
مطمئناً مصداً بالسوء السيرة لم تبدأ الوصي لم تعرف. لكن

الشرب ممكن.. حباً.. هي شرب.. وفي آخر الليل تذهب معه  
إلى البيت - معمول له خدي.. لا تخشى أن تحمل معه - تريد أن  
يحدث ذلك.. لكن لما كرم صبر.. كرم تحفته يوماً من أبيه الذي  
مر بيودا سروراً عابراً

انتقي طاولة في زاوية. عند نهاية قوس حجري الأتراك مروا  
من هنا أيضاً، بنوا هذه الفلحة، حكموا البحر قريين كاملين. ثم  
عصيت بهم وأخرج. كل شيء يحسب.. الرمن هبل.. هذه الليبة  
أيضاً تسيل لا عارفين، على بحيرة، فني وعوف الرمن، الرمن سحر  
مع سال الدورة كما قالت بيروشكا، سيكمل عندك ثبتي  
الدكرات صناع أو أطيافاً.. لعل بيروشكا طيف. لعله هو  
الطيف.. ربه لم يأت بعد.. في الأربعين وره لم يأت بعد.. حبه  
الكبير، حبه الفروع، نداء الأثنى التي في العمر.. من يطلع  
العمر؟ الإنسان. لكن العمر عندك، لا يظل قهراً.. يصير  
جرماً مكشفاً.. كل ما يكشفه نأله، كل ما نأله يصير منه..  
الحال في البعيد. الحب في البعيد، الحبي في البعيد.. كل شيء،  
إذا احترق، انتهى على الأشياء أن سمي بعيدة، لكن يظل  
حبيبة، عليها ألا تضرب..

كانت الطاولة بشخصي عليها شمتان، عليها صحبان وأربعة  
أفداع عليها، أيضاً، عطاء أبيض عليها، من الداعي البعد،  
حروف غير مطبوعة، غير مقروءة، لكنها مع ذلك موجودة هو  
يعرفها. ويروشكا سأل

- ماذا تفكر؟

- ليس بارجكا على كل حال؟

- بل فيها لو كنت معها ، كنت أسمع حلاً .. اليس كذلك

- لماذا ، في نظراتك ، قرار اتهام دهم ؟

- لأني صحتك بالجرم اليهود

- كان أفضل أن تدرسي الفنون .

- حدس المرأة قانوناً .. حساستها لا تكلمها أبداً ..

- ولكك بحرية متى تحصل لك كل هذه الخبرة .. ومن أين ؟

- لي أقول لك من الكتب وحده .. أنا طالبة جامعة .. يعني

هذا لست صغيرة كما نظرت كما عادي يا صبري لا أرب

كثيراً في الدليل أفضل عليه الاسماء قد يكون منها بعض

لخسوة ، لكن أفضل من لي تحب ابرجكا ؟ كي صريحاً فل

المختلة وبأصدقك .

- لشرب أولاً .. أيا السامي إلبا برجاجة نبيد مبردة ، من

أجود أنواع النبيذ . أم تفصلين مشروباً آخر ؟

تذكر لدهم الأول ؟ شرباً سيدياً لشرب ، الليلة أبعاً ،

سيدياً ، لعلنا نستعيد الفرحة الأولى

- في الشعر يقولون الفرحة البكر ..

- لم أصبح شاعرة بعد وقد لا أصبح أبداً وما النع ؟ لم

أكتبه ؟

- جاءت رجاجة النبيذ تدونها كرم وهو برأيه مواصلاً

السامي الكأسين . شرباً .. وجاها

- لا تكثري .. غثي في البدء . لا تكوي صونة .

- وهذا منك أمت ؟

- يروشكا .. كوي عافلة أنا لك صدقي

- للرجل صديقه واحدة . وكذلك للمرأة صديق واحد

- أنت صديقتي الوحيدة

- والأخرى . ستعمل لي إنك تعرضت إليها مصادفة ..

بالمناسبة ، لماذا أنت عاري مصادفات ؟

- ذلك أن حياتي كلها مصادفات . كنت في صفري ناعلاً إلى

درجة أن أسي توقعت موتي كل يوم .. مع ذلك عشت . كبرت ،

تشركت .. ذهبت إلى المصبي مصادفة ، وجئت إلى البحر مصادفة ،

ولقيت مصادفة ، ولقيت ابرجكا مصادفة أبعاً ..

أصافت :

- ومن ستلقي مصادفة أبعاً ؟

- لا أدري ، لكن ذلك سيحدث . وسكون المصادفة الأخيرة في

حياتي المصادفة الأجر ، الأنصح ، ست أدري ، لكنها ستكون

الأكبر بغير شك .

- أنت لا تعلم هذا لتعيطي ؟

- أبداً أقولها لأشرح نفسي

- اشرح لي كيف التقيت ابرجكا

من عليها مصادفته القريبة . تشبث الإيهام في عينيها قالت

- هذا لا يحدث في مثل مرة واحدة ..

- لكه حدث

- أنا لا أصدق

- وأنا لا أسألك التصديق

- أتصور اللقاء بها كان على النحو التالي ذهبت إلى الملهي ،

سمعتها تسمى، رأيها جبله جداً تحت الأوبار.. أوسلت لها وهووراً..  
دعوتها إلى مائدتك.. توددت إليها، قلت لها إنك عريب.. ذهبت  
معه آخر الليل إلى بيتها أعطيتها عنوانك.. جاءت فاصبرت  
هي فكانت وأنت صان.. روجان لائقان.. تناقيا في مدهش  
كتبها بعد أن كتبني.. ظهرت بما معاً أنت صديها كما أنت  
صديهي هذه هي اعكابه بكسي، أنا.. لا أريد إياها في وإما  
أنا.. أدع لك فرصة للتفكير والاختيار..

- سيكون هي اختيار الجسد في الجميع.. أنا لست هنا للدخول  
في علاقات متشابكة سدي عملي، ولدي كسابي ابرجكا لا تمار  
علي كما تماري.. لا تفعل لي ما تفعلين..

- وما السبب؟ قل أنت.. من لا يمار لا يحب..

- والوثوق بالنفس؟

- هذا ضروري، من جهتي لا أتق بنفسي، لم أقف على ذلك  
أنا صمعه يربيك هذا؟ صمعه، أشك، أعار، أريدك في  
وحدتي، وحدتي، أنهم طلب المرأة هذا؟

- أمهم.. الرجل يريد المرأة له وحده أيضاً.. لكن ذلك يصير  
في علاقة حب.

- أنا أحبك.. وأريدك أن تحسي.. لماذا تحررت في.. من  
المسؤول؟

- الحب لا يكون من جانب واحد.. لا يكون هذه السرعة  
لست مسؤولاً عن شكوكك وأوهامك.. صارحك، منذ البدء، أنني  
لا أستطيع أن أحبه.. إني عاجز عن ذلك.. حدث هذا أم لا؟

- حدث، ولكن بعد ماذا؟ ألا تراه أمراً محجلاً أن أطلب،  
أنا الصداقة الصميرة، وأنت بكمي بكمي

أخرق ولم يقل شيئاً، قال ما تريد قوله صمعه أنا الفتة،  
وأنت الصبور.. هذا ما أرادته لكنها لم تفك الشجاعة.. ربما  
اندفعت فيه بغير وعي.. ولكن الإهانة حصلت.. لا بد من وقف  
هذا الحوار الصداقة تحتاج إلى نصيحة بكها أدبه أدبه  
لأنه صمعه؟ ماذا يسمى من الحب إذا لم يكن الحب أناساً؟ لأفعل  
أن نفترق.. حال أن تفصلي على مقاسها، ضاعفت لطفي، باحت من  
أعجبها أكثر مما فعلت.. لا نستطيع، تحت مظهر نازلة، أن نقدر  
عواقب اندفاعها..

كان المعنى قد اردحم الآن ثلاثت النموذج على الطولات  
تردنت في الجو الكمي امام الكهان هذه هي موسيقى  
البكان موسيقى تنبؤ من الفلق، الرمال، النوحش طبيعة  
أقرب إلى البدائية.. غرائر ماضية، تبحث عن تحمها بالمع،  
بالصراع مع الذات، مع الآخر بإخضاع الآخر بالقوة هواطف  
طرية فيها حزن، فيها عرج، فيها صميج، فيها شهوة متجبرة،  
وألام متجمرة، كأنها هي صرخات احتجاج على شيء معاش، على  
واقع يعرفه المعبري، يحبه لكنه يتألم منه أشد الألم.

طلب زجاجة صيد أخرى.. صاد الصمت بسبها.. طال تناول،  
تطلى جنم على المائدة اسرح الحب بالكراهة في عبيد.. لاد هو  
بلاصالة باردة كالغولاد فرر أن يتوقف عن الحوار الذي أصبح  
محاكاة الصداقة، بالنسبة إليه، أعلى من الحب، لكنها، هي لا  
تريد أن تفهم.. ولا تقوى على التصديق.. ماذا عليه أن يفعل، في  
هذه الحال؟ ابرجكا كانت لطيفة كانت صديقه.. لم يطلب، لم

شروط . لم تطمح إلى الاستنثار.. ولن يجري مودتها إلا بما تستحق . قد يدعى ، يتجسها ، يصرف إلى غطه.. لكن ذلك لم يحدث إرضاء لسطه خارجي . لن يقع لأن امرأة أخرى تريد

طاف المني وعارف الكيان على التوائد رتت صحكات سائبة من حوالته . تصاعد الدخان وبعقد في جو الفيو راقب الوجوه ، اكتشف أن أكثرها غريب.. سباح من كل البلدان ، لغات ممتدة بعد بار من النجوال ، معدو اللعنة الأثرية للانحماص . لم يصبح بلد كما نجت المجر في جمع أغانيها الشعبية ويطويرها . عد ما قاله بصر جبل ذكر اسم لموسيقى الشهير بيللا بارتوك المونكلور المجرى الأصل السكان حرم به الذين صا جاءوا لأجله متوا المدهود الرنابة ، النطق ، صغروا من التصرف المحبوب ، وفق التواعد صاءوا المحرزوا لسمحوا ، ليطلقوا.. ليمودوا ، ولو لوغت قصير ، فخرأ صعاء .

كانت بيروشكا لتقطع القصص ليس إلا

- تحب موسيقى السكان؟

- كثيراً

- سمعها قبل مجئك إلى المجر؟

- أبدأ . صديقي نصر ، عارف المود ، هو من لمسي إليها .

- هل أنت صامت لأنك تعمي . أم لأنك اصصرت عي

- أنصرف منك ؟ يمكن هذا يا بيروشكا ؟ لقد فكرت قليلاً ،

فكرت وأنا أصمي . هذه الموسيقى المجرية.. هؤلاء المجر .

وأنت أنت المربية ، الفتلة ، النزقة.. أنت تشبهين ، في قلب

أطوارك ، تغلب هذه الموسيقى في تعجزها ، في صغها ، ووداعتها  
أه لو تغدس كم في صدري من مرة بك !!

وصل المني وعارف الكيان إلى عانديها . العرف يكون ، بشد ، على قدر الاستجابة . كرم استعاب طرب ، طعن الخبور على وجهه.. ايتسم ليروشكا.. اهبست له . تصالحا.. هاما في الموسيقى.. اندعها يا . صارا حكاية موسيقية.. والمضي نحس ، والمسات العائلات ، بالنائب المربة الشعبية ، المهررة ، المروكته ، والمراويل على الصدور برص وبجش .

وأعطى كرم.. اجول العطاء . تكلم المعجزة عطاء.. عرف ، عي ، رعم.. غير من ذلك يا سطيع ، يا يلك.. فحالت بيروشكا  
- لا تصرف.. إسم يعرفون للجميع ، بعد كل شيء

- فكسهم ، في هذه اللحظة ، يعرفون بي ، لك.. لنا نحن الاتني . ومن خلانا للآخرين . وهذا جيد.. أنا لا أريدكم ملكاً خاصاً المرحه ، مع اجمع ، تكبر العرف ، في معنى كهد ، أوع في النفس عما لو كان على أسطوانة.. أحب الناس يا بيروشكا ، أحهم وقد يكون هذا يعوضاً عن بعض ، تكفيراً عن ذب ست أدري . اللهم أمي محمد ، سعيد بك جداً

سبب يدها ، فوق الطاولة ، وأخذت يده . مربرت السوة في دمه . نظر إليها . أطال النظر.. التهمها أكلها شربها حرمة معصية . ود أن يبادلها عطفها الكبيرة تنلها ، فكته في هذه الليلة . لا يرغب أن يكون غيره في المد . عد ، سهط جته العبر وتحطمه سأتي ، ومنها تنمه صغيرة ، يصمها في صدره ، بين صلوته ، ومن جديد ، حين تعيب ، يتمخر حبس صمهم مجهول .

تشتمل نازي لمر ٢ هذا هو سر القمر، سر جية القمر، التي يوماً ما،  
يوماً قريباً أو بعيداً، ستجد على شكل امرأة، ومثلها يبروشكا  
الآن، تتمدّب لأجله، سيتمدّب هو لأجل تلك.. لكنه سيكون  
عداياً لئديداً.. وعلى ركبه كالتميد، سيد للآية من درب لم  
يهرقه بر بعد

انتصف الليل، شرباً كثيراً. يبروشكا نبت معها، ألقت  
شكوكها، همومها، عيونها، كدرها، وكل المتاع المديرة للحظة  
المرح في بنر الاشهر عادت مطة ألسه وبكى سكوى، طالفة  
وبكى امرأة عاتفة لكنها فادرة على المصحة، في سل ليله حب  
عجربة كهده الموسيقى..

دفع، غيب، مثل أمامه مترجحة.. أراد أن يسدها  
مرصت قالت له

- ضع ذراعك على كفي اعصرني قليلاً قللي ها، في  
دهاليز هذه القطعة، فنتي عندما مخرج، حين يصير قتاله الدايوب  
ثم عدي عدي حب شت عطف لا تُمدني إلى الجامعة.. لا لئيد  
العودة إلى الجامعة

لم تعد، تلك الليلة، إلى الجامعة، تعذر عليه إحصاء بأن تفعل،  
حين خرجا من القلعة، طبت أن تضي قليلاً في البس كان راعياً  
في روحائها، لو سأله أن يلعب بحصة، حاول، مع وعيه باستحانة  
ذلك، أن يأبىها بها كان يسر، وهي تلتقي برأسها على كعبه،  
والريح الطيبة، المسحورة، التي تأتي لتلعب مع القلعة، قرّ بالشعر  
الحصيل، وتصب به، وتضع بثلاله، وجهه وعينه من عجب أنه كان  
في دروه صحوة، كأنه لم يشرب خراً، مجرد وجودها معه، في جيب  
الليل، استمر وعيه لغراستها، كان يتلفت، وهما يسيران، حذر أن  
تحدق به عباس عدوك أن ينفذ رجل أو امرأة، وكلام يقال، عن  
أب وابنه كان شقيقاً رجلاً شقيقاً، لم يفو على دفع شعور بأن  
شتاً ما، بينها، يدو متراً وكان، في سره، يلمس هذا الشيء،  
هذا الشعور بنارق القمر، بينما هي تلتصق به، تلتصق، محمية من  
خطر، راقية في اتحاد أقوى، أقوى، كأنها تتدفق في صدره، تحت  
ذراعه الملقاة على كتفها، أو كأن خشيته تراودها من تركها في  
الحل، والاعضاء، كتج، مثلاً، ذلك اليوم، ظهر في المنفى، إلى  
جانبها، كسح أيضاً

وصا على حدّ الجبل. كان غده، في ما يلي الطريق، حاجر

- أنت لا تصحك معي أليس كذلك؟

- لا أصحك أبداً.

- ولا تحبني مكرى؟

- أنت في صحو كامل

- ليس قاماً.. لكني أصعل

- هذا بعمل الهواء المنض.

- هل كنت لطيفة الليلة؟

- أنت دائماً لطيفة

- ولم تعصب لأني تكلمت على ابرجكا؟

- ولماذا أعصب؟ كان يجب أن تتصارع

- لكنك لم تفعلها..

- أنا لا أحبها.. هي صديقة لا أكثر..

- لا نقل هذا.. الصديقة في عرفنا، نعم...!

- الصديقة، عدنا، نعم صديقة فقط.. ما رأيك أن نضي لي

الست؟

- أنت تتهرب من أشتني

- الليلة لا أشتك شيء من الموسيقى ثم يوم هيا

في الصباح كانت لديه مشكلة صغيرة بپروشكا، التي أجهدت  
بعضها كثيراً، لا تريد أن يسقط كان قد ألبسها، برولا عد  
رعبها، ساعة صبة، وحين أطاق، كان نوع من حسان قد شاع في  
منه، وهو ينظر إليها، مشغوفة في النوم، كدمية صبية، هادئة،  
وادة، معلقة، وشرها سفلش على الوسادة أشتق عليها رعب  
في أن يدعها نائمة ويذهب إلى الحديقة، لكنه يتم أن عليها أن  
تذهب، هي الأخرى، لي كليتها، هذا ما يجب، لأن عليها أن

استنق، ونحتها الخاوية تحته محدور من أشجار، وبيوت مرروعه  
بينها، تسبي إلى الطريق الممتد على صفة الداموب، حيث تسمح  
ورود من بار، في خط من السيارات لا يسهي، وعلى الجسور  
الخضمة، تتفتح ورود أخرى، مبعكة في الماء، ساجمة مع تياره  
والسمن النهرية، الطويلة، المسطحة، تمر من تحت الجسور،  
والأخرى، الرأسية، الشبيهة بالمواحات على الليل، ترمو على  
الصعيق، تنع منها أنوار ملونة، ألون مصاييح، مطاعم، ملا،  
المحدث من هذه الصي مقاراً لها.

رعت رأسها وأعطته شفتيها، كانتا جارتين، صديق، وعلى  
صدره، أحسن بهديا، وهي تصطف، وما تنأ نطلب الرد،  
هامة: دتلي أكثر.. أصعب.. أريدك.. أشتيك.. أشتيك  
بيون، وفعاد نملكه كأنما تتطش:

- أنت لن تبدلي إلى الحديقة هذه الليلة؟

- لن أصيدك

- وستأخذي لي بيتك؟

- سأخذك إلى بيتي.

- وماذا تقول القبابة معي؟ عاهرة؟

- لن تقول أنها شيء سيئ. هي تعرف

- وإذا جاءت ابرجكا؟

- لن تأتي ابرجكا

- أو أنقول إذا جاءت

- لكنها لن تأتي..

- لا اليوم ولا بعده ولا بعده؟

- لن أدمها تأتي أبداً.

منجح، وعليه ألا يسبب في رسوبها كان ينتشر في هذه البقعة، مسؤولية لا يصلح ماثلاً حولها أعد المهمة حاول إيفائها ناداه، قنيتها وهي ناعمة، كرر المحاولات، لم تنجح، كانت لا مبالاة، يريد أن تنام، وترجوه أن يدعها، وأن يسعد عنها لكنه أصر أن يظنها برعها، حنها عن أن يسهل، وأن يسهل، وأعد إصطاراً بسيطاً، وعندما في آخر الأمر، خرجا من البيت، ولبس الكلبة، أحس براحة، وما إن أنهى دروسه في الجامعة، حتى عاد إلى البيت، واستمرق في النوم، ولم يرد على الهاتف، ولا على قرع الباب

وفي المساء ذهب إلى نادي الصممين، فساوول عناءه، وعاد يستر نفسه على الكرسي، أدام المكسب، في محاولة للفصل محاولة كانت ماثلة، ككل محاولاته في المربة، وهكذا نعم على نفسه عاقبه بالإصرار على عدم الخروج ظل يصرأ إلى منتصف الليل، لم يكن سعيداً، كان خائباً، أشد الخيبات هي خيبة العمل في العمل، صنباً حاول التمرير بام كدرأ، ولا يعرف متى أحس، لكنه أسبغت هي جرس الباب، وكانت الساعة قد قارب الساعة دهر لفوهة الأولى من الطارق في وقت كهذا؟ أنتكون امريجكا؟ جورج؟ ضياء؟ حدث حادث لصياء، هذا امريص الذي يموس كسراج على وشك الانطفاء، نحامل ومضي إلى الباب، سأل قبل أن يفتح:

- من؟

وجاء صوت دمه

- أنا بيروشكا.. افصح

منجح، كان ودحاً، في نظراته تساؤل، غيب، ومضى من عصب

أيضاً قالت بيروشكا

- ألا تريد أن استقبلي؟

- كيف لا؟ تفصلي.. ولكن ما بك كيف جئت.. من فتح لك

باب البناية؟

- لم أستطع النوم، حاولت ولم أستطع، كنت بحاجة إليك شوي عسبي.. اردتيت ثيابي، نسيت، هربت، أوهص أوون نكسي.. ولا صبرت على باب البناية تزدت.. كان الباب مغلقاً.. ماذا أصعل؟ أنا لى أعود بعد هربي من الحديقة، لم يبق إلا أن أصخط على زر الجرس، وبقوة، ولعدة مرات، حتى أفتحت البوابة وعندما فتحت فلكنها الدعشة.. لكن وجهي كان بهم عن قلبي، اصداري، وابست لي.. لم تقل شيئاً.. هي تعرف.. كانت فناء وتعرف.. أخلت لي الطريق.. هذه هي الحكاية

- ما كان يجب أن تربي.. فقد أثرت مصبحتي في الكلية، وفي

هذا الميبي.

- إذا كنت لا تريدني فسادع

- بعد ماذا يا بيروشكا؟ لقد غابت أوان الرجوع

- بالنسبة إلي كل شيء ممكن.. لو كنت أعرف أنك ستقابلي

بهذا البرود..

- أه يا بيروشكا، يا عزيزي.. من أي برود تتحدثني؟ إني

أريدك.. أوديك حقاً، لكن هربك، بعد منتصف الليل، من

الكلية، عمل طائش، عمل لا يذاع عنه..

- معاً يمكن.. هربت وانتهى الأمر.. كف عن هذا التفرع..

الاطمي قليلاً حتى أسترأ أنفاسي

- أعد لك ضجائاً من القهوة التركية؟

- لا.. أرحب في شيء بارد.. ماء، بيرة إذا أكانت موجودة

أو عصير..

- لذي كل شيء . لشرب شيئاً من البيرة . هل أنت جائعة ؟  
 - قللاً .. حنت نفسي في عرصي طوال اليوم .. لم أحضر  
 الدروس . لم أكل .. ولم أستطع التركيز حينما حاولت القراءة .. لا  
 أدري ما بي .

- هذا ما يسمونه جنوناً  
 - قل عنه ما شئت .. كان يجب أن آتي ، وأنت أنت  
 الحب ..

- وماذا كان علي أن أفعل ؟  
 - لا شيء .. لكن لا تدس في وجهي .  
 - أفرح لأنك توشكن على إصاعة منقلبك ؟  
 - لا أباي بصياح أنها شيء .. أريد أن أبني إلى جانبك  
 - إلى جاني ؟ هيا لنعد شيئاً من طعام .. ماعدي ..  
 - ليس قبل أن أرثدي للقائمة الصعبة . يجب أن استعيد ليلتي  
 أص . أنتشي حين يلامس الحرير جسدي ..  
 - كي ترعبي أنت لست إلا قطعة لحم . لكنها تحرش  
 أحباً

أعد بعض الطعام . جاء برجاجة بيرة وفدحين ، راح يخطر إليها  
 في مامها الحريري . دبت صبيته حمص ، لولا أنها طوبك قللاً ،  
 وشعرها البيل متزلزل .. وكان في هدوء ملامحها شيء محير ، هي  
 آمنة ، متسلية ، لا تعاني من نعم أو قلق . وتطلب منه أن  
 يتحدث ، أن يقول أي شيء ، وهو يرمو إليها مشعاً ، يهكر ، سألماً  
 أن يكون سبباً في ما يجري ، مسائلاً عما إذا كان من الأفضل ،  
 لستقل بيروشكا معها ، قطع الصنعة الثمينة بينها ، محبلاً عذاب

العراق ، ناهضاً بصحبة صبيوة كي لا يصيب العام الدراسي عليها  
 العام الذي يبدأ مع بداية الخريف هذا  
 قالت بيروشكا

- أنت لني تماقسي ، أليس كذلك ؟  
 - إذا تكرّر ما فعلت اليوم ، كان عقابك شديداً  
 - تقطع علاقتك بي ؟  
 - من السابق لأوانه الكلام عن نوع العقاب ، لكنني أتذكر ..  
 - وأنا أرفض الإندار . تخاورت من الرشد .. ليس لأحد أن  
 يعم وصاية علي .  
 - كوفي عانة إندن . ما الذي دعيتك إلى الحرب في هذا الوقت ؟  
 - السوي . دعني شوقي بك  
 - هذا نصيب الحصة  
 - ونصيبها الآخر ؟  
 - أقول مصرحة  
 - تكامل الصراحة  
 - نصيبها الآخر أنك جئت لتري ما إذا أكانت أبرجكا  
 عدي

موجنت بأنه سير غورها . قالت  
 - لنفرض أن هذا صحيح ، أليس من حفي ؟ أليس صدقي ؟  
 أريد أن أطمئن ..  
 - والآن .. أنت ترمي أنني وحيد .. ولا أكذب عليك .. كوفي  
 مطمئة بعد اليوم  
 - أعدك بذلك  
 - وعداً قاطعاً ؟



- أهدك.. ألا تريد أن تصدقي؟

لم يصدّقها. ولم تقبّ هي بالوعد.. ظلت تهرب من الكلية ليلاً وبهاراً، أهدت دروسها. خرجت على النظام الداخلي للكلية. خرجت خرقاً غاصباً واجت الإتااعات حولها. كانت هي مصدر هذه الشائعات المحدثت من حياء لكاتب عربي، كاتب فنان، له بيت، صده متعب، يدرس في الجامعة، وأنه سيتزوجها، وستذهب معه إلى بلاده، بلاد ألف ليله وليله، بلاد الشمس المشرقة. نصت في تصديه أحلامها، تزويجها، نويجها، وتصديعها أيضاً شكتها الناطرة إلى إدارة الكلية، اتهمها بالهروب، الفساد، إهمال الدروس، إشاعة جوّ غير لائق بين زميلاتها. وبعد شهر استدعاها اندبر، طالباً منها تقديم إصباح عن تصرفاتها المفضنة، بعد أن واجهها بالوقائع، وبشهادات الناظرة والطالبات.. لكنه، هذه المرة، اكتفى بالإيداع، وبهددها وأبيع كرم، عن طريق الجامعة، أنه يهلك طرفاً محرراً في علاقته بيروشكا، ويبيع له بدل إخوانها، أن يساعد على الانصب والدراسة ثم نشر، بكثير من اللافة، مما يد أن كان سيتزوجها، كما نقول، مع التأكيد، مضافاً، أن هذا أمر خاص، خاص جداً.

صبر كرم، مما أيضاً، عن شرح نفسه، ما كان ملوماً أن يفهم بمريراً عن سلوكه بلصيد الذي اسمله، مع أكلوش، بكثير من التوبة. اندبر عن حديث، ليس للجامعة أنها علاقة به، لكنه من باب الاستدابة به، عن إقناع بيروشكا بعدم الانقطاع عن دروسها، رعب أن يمت نظره بصباً مهدياً كرم لم يزعج من الحديث أكبر الصيد، أكبر نعاليد المهرج المحمبة، فمى، في دانه، أن تترسخ هذه النعالي في بطنه الذي لا يستطيع فيه أن يقيم علاقة حب صحية

إلا يادن من القاموس، أو بمسامرة قد نكلته، وتكلف الفتاة خاصة، كثيراً من الأذى، لكن ماذا يستطيع بعد كل شيء، أن يفعل بملاقة غير مكافئة كملاقته بيروشكا؟ إنه ليس زميلاً لها، أو طالباً لها، أو شاباً في مثل سنّها، عليه، ها، أن يتصرف بمسؤولية، أن يبعد عما يطلي سلوكه طابع مراعاة ذات أوانها، وسد رمس بعيد الصداقة معهومة، ومرعوبة، والعماس، في أي سن، تكون له سمجيات، صديقات، وهذا مفهوم، مقدّر، ولو قال إن ما بينه وبين بيروشكا نوع من صداقة، بأيّ عمو كان، بأنه صفة كانت، لكان قوله موضع احترام، سواء استت هذه الصداقة بروج، أو طلب مجرد علاقة حب، أو علاقة عابرة، لكنه سيكون غير مفهوم إذا أنكر أنه يحبها، وأنه يجرّ إلى جهول، امرأة لم توجد، أو لا يعرف ابن موجود، وقد لا تكون إلا سبيح أسطورة سرفته، سحرته، كما تفعل جبهة القمر

قال الصيد

- ما جئت إلى الجبر، ولست في الجبر، لأجل أشياء كهذه، صدقي أحرم بيروشكا، أمرها، لكنني أريد غيرها. وسأعمل كل ما في وسعي، حتى لو بلغ ذلك قطع علاقتي بها، كي يستقيم أمرها، وسنمى دراسها

قال الصيد

- يتركي أن يكون الزم زميلاً.. هذه مسألة منك اضبري صديقك، ولو أن أوردك، سأعمل هذا من كل بد. يعدل إن يديك متحفاً راثماً

- ليس محصاً يعمى الكلية، مجموعة تحب من الصبي

- مجموعة قبيحة. هذا ما سمعته، وقد أثارني.. الأشياء الثرية

بالسبة إليها عن الأوروبي، تبعي شيرة دائماً .

- بسعدي أن ظنني إذن.. سيكون شرفاً لي أن مروري في

مقي

ولكن اليوش، عندما غادر الميبد، أبدى هذه الملاحظة.

- يا له من ثور، عبيدنا هذا . ما دخله في أمورك الشخصية؟ ثم

هد المنصب . اسبح يا كرم، بعد شهرة محضك بت أخاف عليه من

شيتين: اللصوص ودائرة الآثار..

وقال كرم ضاحكاً

- البسة على هذا المنصب، كم سبب لي من وجع رأس.

- أبت أن تقول لبيروشكا شيتاً، أليس كذلك؟

- ماذا ترى أنت؟

- استمر في علاقتك بها . هذا طبيعي بين رجل وامرأة..

- لا أريد أن أتسبب في ضياع مستقبلها .

- ولماذا مظهر أن مستقبلها سيضيع بمجرد أن هذا النور تدخل

فيها لا يضيء؟

- ليس هذا.. لا أتوقف عند ملاحظاته، وهم احترامهم لها..

بيروشكا طائشة.. ذات اندفاعات شديدة..

- معها يكن.. العلاقات، حتى الجنسية معها موجودة بين كل

الرجال والنساء في خدمته وخارجها، بالروح أو دونه . لا

تستشعر ديباً من هذه الناحية

امرفا، كان أليوش يصحك . اسبح يا سعدي، لو كان سعدي

مستعجب كما عندك . قاطعه كرم . ولكن لديك شياً لو كان

لي . قال اليوش . الشباب وحده لا يكفي، العناية تزيد الشهرة

أن يكون حبيباً مشهوراً أن تكون له مكانة فنية أدبية،

احذابه . أي شيء، من هذا النوع، ثم أن تكون له سيارة، أو

متحف، وأن يكون ثرياً . أما الممر فأتقي، محرراً في آخر

الثلاثة الشعر الأبيض، الآن، موصة، لا يصابقك أن شعرك أبيض

قللاً، لت لي، أنا أيضاً، بعض الثمرات البيضاء ومنها، كما تعلم

بعض الحب .

في مساء اتصلت بيروشكا هاتفاً اعتذر عن استمبالها أكد لها

أنه مشغول جداً، وأنه مدعو إلى الماء.. وفي الصباح التالي

اتصلت أيضاً، طلبت موعداً.. تدرج بالدروس، والكتابة

هذهها، إذا جاءت ليلاً، ألا يفتح لها الباب، وسبح، عبر الهاتف

صوت بكائها، غير أنه لم يبال . قرر أن يكون حارماً غير أنه بعد

أهم، تلقى هاتفاً من جورج، قال له إن بيروشكا عده، وأنها رجعت

أن يتوسط عده لاستقبالها، وأنها تبكي . تبكي قطعة صغيرة

كان ذلك في نحو الساعة العاشرة ليلاً، وبعد قليل سعد جورج

وبيروشكا، وجاء هادي، ولم يكن سوى ساعة واحدة، شربوا خللاً

كأساً من الويسكي . وقال هادي، جاء على رجاء من كرم، إن على

بيروشكا أن تعود إلى كليتها.. تكلم بالحرية، اشترك جورج في

المحاور، جلس كرم يمسح السجدة.. وكان هادي، في حوار

الطبي، الطويل، بوتر قصته . ثم لا يبال، حتى خيل إلى كرم

أن سعدي نسي معه، غير أن هذا استمبله قللاً، وقال وهو

بعض

- بيروشكا باقية.. قالت إنها لن تذهب ولو أصبحت

بالولس . لديها ما يقول لك . دعني ثبت عندك

وقال جورج

- هذا أفضل . إنها سمود إلى كليتها صباحاً . تقضي الليل

معك فقط لا تكن قاسياً إني بحبك ألا تعرف الحب أنت؟ أم  
تكره في قصصك فقط؟

شترط كرم

- اللبنة فقط تذهب صباحاً، ثم لا تأتي إلا يوم السبت

وقال هادي

- ليلة السبت سيكون لديها مهمة - انعمت مع بصر جميل

عليها - سيكون صوبها بعض أعضاء لجنة التسمية - لقد حدثتهم

عن متعك وعن لياليها الترقية

- سنكلم في هذا غداً.. أنا موافق من حيث المبدأ، ما دمت

قد انعمت مع بصر - ووعدت الصيغ..

قال جورج

- ما هي «الكوتا» المخصصة لنا؟

- أنت وصديقك أحاب هادي

- هناك بعض الأصدقاء أيضاً.. وسعوا الحفلة قليلاً

قال كرم

- لا دخل لي في الأمر الفاتحة مع هادي

- أوه، قال هادي، لست من أنصار زيادة المدة، خاصة بعد

النساء.. لا يريد تشويشاً في الحملة

قالت بيروشكا

- أنا مدعوة أيضاً.. أتيسر كذلك يا كرم؟

- اسألني هادي.. أقول لكم الفاتحة بيده.

وقال هادي صاحباً

- هذا يتوقف على سلوكك خلال الأسبوع.. إذا دلوست هل

الدراسة

قالت

- سأدوم - أهدكم بذلك.

وقال جورج وهو يخرج

- يا لها من بيروشكا رائحة هذه - انظروا كم هي مطبوعة -

عظوظ أنت يا كرم!

بعد خروج جورج وهادي، ألقت بيروشكا بمسحها بين أحضان

كرم - كانت عاتبة: «أنت سيء يا كرم، قلت، أنت لا تريدني..»

تنهجب مني؟ قال كرم - «هذا لمصلحتك أنا مسؤول عن نجاحك»

«ومن وضع هذه المسؤولية عليك؟» «لا أحد، وضعها بنفسني»

«هذا لأنك لا تحبني» «أنا بدلاً لا أحبك» «ولكني، أنا، أحبك»

أنت جعلتني أحبك أنت سيء يا كرم قبلي - قبلكا بكيت

على صدره.. بكيت دون سبب - كانت مستعدة لمساعدته، وبعد

ساعته، وقالت فرحة

- لن أضايقك.. سأحضر كنتي معي بعد اليوم.. وقد نعلت،

من زميلاتي، صبح طين لديد، هل لديك خم؟

- في التلاجة

- ووهي؟

- في البار.

انصرف إلى عندك أنت دعني أهين الطين، وسيكون

جاهراً خلال نصف ساعة

لكنها - بعد ساعة كاملة لم تعمل سوى إصاعه اللحم والجن..

كانت التمرية فاشلة.. وقالت مستمرة وهي تقب أمانه:

- شايوش كرم (أسمة يا كرم) أصعب لك «الجن»

- لا تأسفي على شيء.. هيا.. لساكل أتي شيء - ثم سام، وعداً

صباحاً إلى الكلبة.

- غداً صباحاً إلى القرية. لزيارة والدي. أخذت أدنا من

الكنية

- وماذا أعددت كهدايا؟

- لا شيء..

- يا لك من فتاة مهملة، كلي ونامي الآن.. نامي جيداً، وغداً

صباحاً أصحبك إلى السوق، ثم محطة المطار.

- أنت لطيف يا كرم، لطيف جداً يا حبيبي.. صنع الحب

البلة.. أليس كذلك؟ أنت لن تنافسني.

ولم يعاقبها لكنه، في الصباح، كان عليه أن يعيد الكرة،

ويبدل مجهوداً لإيقاظها، ومجهوداً آخر لتمجيد خروجها من البيت،

قبل أن يموتها موعد المطار. وفي الطريق عرجا على السوق فاشترى

بعض هدايا، وبعض العواكف المستوردة، مثل اللوز والبرنمال،

واشترى بذكرة المطار، وقال لها، وهو يودعها عن باب المطار

- عيسوت لا بشرا يروشكا (إلى النساء يروشكا)

- إلى النساء

- انتهي - كولي لطيفة.. كولي محبة أيضاً

- وأنت، كرم، كن عاقلاً في غيابي.. سأعود بعد يومين.

انتظري - لا تنسي - لا تذهب إلى ابرجكا.. يعني بذلك؟

- لا تكوني مهونة - لن أقادر البتة إلا إلى الجامعة..

- وإذا جاءت هي إليك؟

وتحرث المطار وهي تعيد اللوز

- إذا جاءت هي إليك؟

وبدأ لم يسع جواباً صاحت

- لا تفتح لنا الباب.. لا تعني يا حبيبي!!

- ١٥ -

قرّر أن يحفظ وصيتها، بل قرر أن يحفظ نفسه في وصيتها.  
تذكر الذي طرد الصيارفة من بيت أبيه هذا حميد وليس مارة،  
ليس كهدايا، ولي يحفظه كهدايا أرادته شيئاً إلى الطهارة بسبب، إلى  
النس، النعامة، والمودات لكنه ابرق به إلى الدفاعة نعل الكلمة  
أن يكون أكبر من حجمها. هو لم يدس متحمه تماماً، لكنه لم يهسه  
كما ينبغي. جاءت روريكا وخطبتها، جاءت، بعد ذلك، دون  
خطبتها، جاء آخرون، أحزاب، وكان حميد، أمام الرائرين، أن  
يعرض أشياءه، يتحدث عنها، عن صحتها تاريخها، قيمتها الفنية،  
ويستجيب لطيات طماعة، في رؤية كل اللوحات المجدارية. هذا  
بهي أن يشر اللعاقات، ثم بعد لها، ربطها، بوصيتها وكان  
عليه، أهدأ، أن يخرج قطع اليورسين الصيني، الأرزق والأبيض،  
والمحفوتات الخشبية، ويشرها في كل أرجاء البيت، فإذا صدر  
الرائرون أمادها إلى أماكنها

كل هذا كان محتلاً على نحو ما، كان يتلبسه شعور الدامل في  
محب، فطلبه أن يصر بكترة الرائرين، وعليه أن يستعصم في  
الشرح، وأن يكون مهذباً، لطيفاً، لا يضيق بالأسئلة، ويكرارها  
أحياناً. وإذا اقتقد السرور، كان عليه أن يطمئنه، فإذا عبر

وجب عليه ألا يظهر الارعاج كل هذا ارتعاش، إلا أن رؤية الشباب العيية، وارتدادها، وانتظار أن تمل منها الراترة وسرعها، قد التندط صورة أو بعدها، كان يشهد صيره، يخلق فيه قابله للمل، البرم، الامحاء، إلا أنه يراكم كل ذلك، ويهزق أعصابه يوماً بعد يوم.

وردا كان عراؤه في كثرة الرواير، أنه يتعرفه من غلالم على الساس، وأنه يخاطب، بسبب من ذلك، أوساخاً اجتماعية مختلفة، فإن طول مكوث بعضهم، ويطلب أمرجه النقص الآخر، وتكرار الربرة، واندهاج د لرب، والمؤاتف التي لا تنقطع، واضطراره إلى الرد، وإلى سماع رجاءات، وصرب مواعيد، وبدمج المهوة، وقبول الدعوات، ونسبها، كان يسهلك وقته، يضي صحته، يحول به وبين أن يحلّي بعه، وأن يقرأ، ويمارس عادته في تأمل الطبيعة، من نافديه، أو الذهاب ربيها، في العابة، أو على شاطئ الدايوب، وربرة المناحف، وممارس اللوحاب، وقيل كل شيء، النحدث إلى صياء وحس وجورح، والنسج نصصة الطلاب الذين اتسم دائرة معارمه بهم، وكانوا بأسوس إليه، ويروون له ألواناً من قصصهم ومشاكلهم فيجب لها فيها من صور اجتماعية.

إصافه إلى ذلك، كانت نشأ، خلال الريارات، بعض الروابط، كانت هذه الرثرة أو نك، تعرب في أن تقم علاقة معه كان قوس هذه العلاقة، واسماً، يراوح بين الصداقة، المؤدة، الحب، الحب ومهما حاول الاستعداد، لا اعتصام، النصف، فإن بعض الإغراءات كانت توفقه في شياكها، وهكذا يجد نفسه مساقاً إلى صروب من الدهو، والمبارسة، وتشايب العلاقات القربك، الذي يريد مناعبه، ويشوه الله التماي لتتصف في نظره.

البوش كان يهر يذلك يصعك من نفوره غير البرر من هذه العلاقات يقول له «لا تكن شرقياً مترشاً جرب أن تتسل العرب وتعلم روحه. ها يجتمع جديد يسى كيف منهم هذا المجتمع إذا لم تحتلط بالاس؟ علاقتك بالنمعي ضرورية. تعرف إلى الحياة الأدبية أكثر من الشعر في نادي الصحفيين» وإذا رد كرم بأن حياة الوسط الثقافي متعبة، تتطلب الشعر، والشرب، واللها، أحياء القوي: «ها أخي! هاك أدهاء جاذون أيضاً هاك موسيقيون كبار رسامون، فاسون، لماذا تريد أن تترهب لأجل بيروشكاك هذه؟ يقول عليك على علاقه صداقه بها صداده لا أكثر، ونعرض أنه حب أيضاً، ماذا يعني ذلك؟ ها لنخرج له أسيه أدبية القوم. حطة موسيعة، تصوير فيلم، مسرحية هالية»

وجاءه ذات يوم، بافراج: «لنذهب إلى مجمع صاعى، لدي مهمة هناك مكتف بحصى رداي مع المال ما رأيك؟» واهى من هوره، كانت المدينة الصناعية تقوم على الدايوب، في منطقة أثرية جميلة، وكانت منهورة بشينين الصناعية وحساء السك وكان كرم، خلال الرحلة كلها، على بجعة كلها عرفها في حياته لقد أتيح له أخيراً أن يتحدث إلى الما أن يسع بعضاً من ذكرياتهم عن الماضي وبعضاً من اطفائهم عن الحاضر، وأن ينس العارقي، ويختبر طع السلوك، وكيفية العيش، ويستمع حقائق مهمة عن النمو الصاعى، وحقوق المال، ومحطات سكهم، ودخلهم، وأسهم، وظروفهم الصحية، ويحصل بعض الكؤوس في نواديهم، وفي سارلم أحياناً.

كانت للداخن، قبات المال، سكاكهم وهي تتنع شرائح الحمر والنعم، الأبة الصخمة، الآلات، الصهاريج البحرية،

المدير، وورشات العمل النشطة كالتحليل، تصوفه، تنذه، بدعه إلى نوع من الدهش، نوع من المبهمة، وإلى شيء من التأمل الصامت، فيه مباركة، وإعجابه، وعبه أيضاً مغامرة، يعي حياته الحافلة وحياة هؤلاء النابضة بالفرح والموت.

وفي مدارس أبناء العمال اعتماد طموخته، أنشد الطلاب بعض الأغاني تحية له. شرحت معلّمة الموسيقى برنامج التدريب على البناء بيد الصخر، رأي إلى الوجود الماعادة، الشباب الطيفه، البناء المنص، الحدائق، الأشجار، القرهوز، وتذكر ماضي قبره انعم الذي تعلّم فيه مبادئ القراءة والكتابة، وقال لألبوش «كنت أبكي» سألته «لماذا؟ ألم تكن مسروراً؟» أحببت «نعم كنت مسروراً» رأيته لكنني ذكرت كان صعباً ألا أذكر، وألا يخرج سروري بأساي.. لقد صار في قديمي شيء جديد، جديد جداً.

غير أنه، في متحف أندية، وجد معه بشكل ما، كان ألبوش يقوم بالرحلة بينه وبين الدليل، الآثار الرومانية ثم تكن حربية عنه وكان الدين يجهل لتؤكد الصلات المدعة بين البحر وسوريه كان الرومان، الذين يهيمون في سورية، يسمون أبناء القبائل الجربية لأندية، وهكذا حتى منهم من حمل بعض الأواني والموشى جدي محري، حارب مع الرومان، لكنه تزوج امرأة سورية، انضم إلى السوريين قال كرم صاحباً «نأيدكم لنا عدم إذن» قال ألبوش الذي وجد مرصه «نحن معكم أكثر من شعوب أوروبا الأخرى، عرفنا الاحتلال العثماني، ثم الاحتلال الألماني ناضل طويلاً، وعلّمنا، يا أخي، أن نضرب بضال الآخرين في كل حريتهم» صدّقني «إنا معكم» ألم تسمح ما قاله العمال؟

اشعر كرم بعد هذه الزيارة عامة بعضه حتى أن المنصب غداً أجل في نظره فقد خرج من إطاره كان يخشى أن يظل محدوداً بصفاته، فلا يعرف من حياة البحر سوى اثنين الذين يرورونه، وسوى بعض النساء وبعض الشباب، الآن يستطيع أن يقول إنني أعرف أكثر خالط، في بوديب، مصفا، بعض الأوساط، دخل بعض البيوت، كانت دعوات رواره المديلة، تصح بالكريم والكفاية، وكان يحدث ويستمع، وتترحب دائرة اطلاعه وتختلف روايات النظر، ودرجتها، وجد المهرين حشمتين، يعملون ويهيمون، ويرأونهم في المس والمسي، كتب لا شكر أن له أشياء جيدة، وأن هناك تقدماً، وأن الرعية في الهجرة تتدنّى، والذين هاجروا، يطبقون، وينفقون في العودة، والبنطاط تتاهل، ويمثل بونه وعوده حتى الذين ذهبوا صده في الثورة، والذين أتهروا السلاح، وكاسوا مصنّعين وفي الجمع الصناعي، صار به عامل نصفه عملي، تحوي البياض، وهو يجلس أمامه على طاولة خشبية، وهرم أقداح السبد وهو يمسك «بني عصو في الحرب، وعصو في مجلس النقابة» حسناً معنى هذا أنهم يفتنون في ويرأي، هذه التفة لم تأت بتوصية، أظن (فتح كنهه أمامه) هذه العقدة في الأصابع، إنها من العمل، أما سكاكسي، وقد شارك في بناء وتركيب مصانع كثيرة، أعطيت برهاني روج أخوتي يعرف هذا ومن مرنا كتب لي، بعد هجرته إثر الثورة المضادة، طالياً أن أضي له في العودة راجعت بشأنه واعتوا على عودته كسبت إليه، حصره لم أخل له شيئاً، لست من أنصار الوعظ، تركت له أن يجتبر الحداثة، يكتشفها بنفسه. بعد تسوية أوضاعه عاد إلى العمل مضى على ذلك عامين، جامي قائلاً «يا قريبي، أريد البحر إلى

إيطاليا مع زوجي في هذا الصيف، لكني، كما تعرف، لست موضع ثقة، أنت تعرف موقفي. ظني أنهم لن يسمحوا بخروجي من الوطن ثانية. أرجوك، كن شيئاً طيباً عني، اكفني، وكررت في الأمر، تحدثت مع بعض صابري، قالوا لي لنقدم بأوراقه، فإذا واجه عصبه ما يساعدك أبليت ذلك، نصحه أن يطلب جواز سفر وإدناً لنصاء إجارته في إيطاليا، وعدته خيراً. لكنني لم أدخل.. بعد أسبوع عاد إلي صاحبكاً «ماذا؟» سأله، قال: «مخوفي جواز السفر وتأثيره خروج، وقال لي للوظيفة المضمونة تعرف من أنت لكنا معك جوازاً حسب الأصول، هذا حثك كمواطن بعد مصي عامين على عودتك. تستطيع أن تفر مع زوجك، وأن تأخذ حصتك من الفصح النادر، وبمكك أيضاً، ألا تعود عني لا يريد إمساك الناس بالعودة» سألت قربي: «وأنت صابري، متعود؟ فأجابني: «لا شك في ذلك.. وسأكون عند حسن الظن» أضاف العامل بعد أن شرب آخر ما تبقى من الرجاجة، ومسح شاربته الكثرة بقفا يده: «لن نصحبك عندما يظنون في العرب ويرمونه هرب هربي لرعته في المحرة أن أألك لو صحا باب المحر لمن يريد المحرة من البلدان الراسطة إليها، أنظر أن المحر كانت تسع لفر عيني معدن؟ هذه هي الحكاية نعلنا أن نلق بأفصا، بظلمنا، بواظفيا.. فإذا مضطرم إلى الحرب لندعوا بحوارات رسمية ويجربوا.. هذا أصل».

بعد أسبوع كان كرم يتذكر كلام هذا العامل، سافر لمدة يومين إلى النساء. هناك لارمه إحساس بالصاح فقدت إسمائته بعض ركائرها.. حمت ورمة كإسان.. ولم يسترجع شعور الاطمئنان إلا وهو يختار الحدود المحرمة في طريق العودة، وعندما قص ذلك على

صبا، قال هذا: «دوغري أوغلم (صحيح يا ولدي) أنا أيضاً مررت بهذه التجربة. قتلت في مصي يا صبا، أيها الرجل الكاتب، أنت لا تعرف العرب. ينبغي إذن أن تذهب، أن ترى ويجرب. والسجدة؟ كنت أقبل تراب المحر وأنا أعود كرم! هل تحسب أن هناك شيئاً بين أرض تركيا وأرض المحر؟»

وقال كرم في نفسه وهو يذهب ويجيء في عرقه: «يجبك إلي أن صبا هذا عجول من الطبقة أرجو أن يكون قد عرف، في انحراب، امرأة، أو صادق صبا، ما، لنكون تجربته كاملة.. هم بصورة، هو الطويل، ذو لائحة، والسرة الواسعة، وورط الرقبة المخلول داغاً، يمع بين يدي النساء.. في حي ما من أحياء روت أو بارص، وصعك، إذ تذكر عوركي، وكيف تعرض لثل هذه التجربة، وكيف تفرقت سقرته، وفال في نفسه: «لماذا لا تتطوع امرأة ما ونحب صديقي صبا؟»

فحاة ون جرس الهاتف، كان التلكنم هو لئبر، في الملهى الذي يعمل فيه أيرجكا، قال له: «تعال، أيرجكا بحاجة إليك.. إيا بانتظارك..» رغب في الاعتذار، قال له: «لا أستطيع اللية إني أشغل بلعيا محبي» لكن الهاتف رن من جديد، وقال أيرجكا: «أيرجكا لا تقل اعتذاراً... إذا لم تأت أنت جاءت هي».

أخذ قهوته وشربها بهزق. أشغل سيكارة ذهب وأتى، وقف إلى الناحية، استدعى نسمة عابرة.. كانت طراوة الليل صعبة، رتل من الحوم ملقى فوق، يشع كعبيات ماس فوق غمل ملوي جاءت أشعار الحديقة، اقتربت، اقتربت، استشر ألفة معها رغب أن ينني على اللل، بطاً هذا البساط العتيق ويمضي بعيداً، يمضي إلى المجهول عراً من الانماس، ثانية، في حدة صكوتية، لرجة، تلمع

سبحه حو، حتى ليحس بنظرة هذا النسيج تلاً عيبه ومعه  
وألمه، ونسمة تجري الهواء عن رقبته

رنّ جرس الهاتف للمرة الثالثة بلمح صوت المير يأل: «في  
نأبي؟» أجاب «نأبي» لكنه، في داخله، اعلم أن يصح حدّاً لكل  
هد - هو لا يكر أن العلاقة، حتى في الإحاط الذي صارت إليه،  
ما تزال إنسانية. وأنها، بالنسبة للكاتب، مبررة، فولا أن هذا  
«الكاتب» يفتس في هو يحول بينه وبين تحقيق ذاته الإبداعية.  
وبه لا يارس جأ يكذب عن نفسه حتى في علاقته ببروشكا يلعب  
دور الذكر مع أنسى لم يخلص لارجكا، ولا حدّد نوع صلتها،  
كان يجب أن يصطبها، أن يبادلها عاطفه بعاطفه، لكنه لم يستطيع،  
لأن به علاقة ببروشكا، ولم يستطيع الوفاء لهد، لأنه عن علاقته  
بارجكا، ثم ماذا؟

أمس أوصه ببروشكا، وهي مظل من بعده المطار، ألا يجربها  
مع أنه امرأة، لكنه ضاها مع روريكا، وهذا هي ارجكا مدعو،  
وهو لا يستطيع، كما كان النوش، أن يرحس - المهم ألا يفرط أكثر،  
وأن يصح حدّاً بمرارات، ويوصل حبه الاجتماعية عن نحو ما  
فعل في رواية المجتمع المصاهي واللواء بالمال.

كانت ارجكا في أعينها الأول عندما دخل وأنه أرسلته  
قصة في الهواء، صدح صوتها صار أكثر حياء، أشد حياء وحناءً  
صقّ الماصرون صقّ هو أيضاً أدرك أنها تعني له لم بهم  
كلمات الأعيرة لكنه المبرية بسيطة، لا زهر برسله لها، ليس إلا  
الحمر، ومادا، في تكريم فائقة، يهمل الحمر؟ لا يأسن بتكريم  
العالمين.. أرسل زجاجة ويسكي - أحصى حارق الكهان وأنه

تاكراً. لاحظت هي - التحية وصلت، التكرم م - بحس  
التصرف - قالت في نفسها.. وحين أقبلت، في ثوب أبيض، أعطته  
يدعا قتيلاً، وجلست وهي تبسم.. تذكرت أنه هرب وهي نائمة،  
كان في هروبه شيء، من عدم فكرت - هل يفصل تلك العانة  
الصغيرة ببروشكا علي؟

جاء المير مساً

ماذا يريد أن يترى البعد؟

- ماذا تود ارجكا المبرية؟

قالت ارجكا

- أنا صاحبة الدعوة الليلة..

قال المير

- أوصت على زجاجة شامبانيا مبردة، مع بعض المقبلات.

- حساً، لتدوّن الشبانيا المبرية..

- ولكن شامبانيا رسمية.. ارجكا هي التي انتظنها..

- في هذه الحال تسيطر عتة بالعد. «كوسوم حبي»

ارجكا (شكراً جريلاً يا ارجكا)

- كرم حبيبي (عدواً كثيراً)

وسألته ارجكا غيا المير يأل الفدح:

- تعلّمت المبرية؟

قللاً

- يستطيع أن تتعام دونما حاجة إلى ترجمة إذن؟

- أحب ذلك.

- لي كنت طوال هذه المدة؟

- في البيت، في الجامعة، ومع بعض الأصدقاء



- كتب جدًا؟  
- لم أكتب جدًا. بل لم أكتب أبدًا

- حصاره  
- بين خسارة كبيرة لا أدري ما لي بحب أن أعود إلى الوطن

- ثم نقد أن عودتك تحل الأزمة؟  
- ربما

- قلت لي، في المرة الماضية، إنك لا تحب.. إنك غير قادر على الحب. أليس كذلك؟

- نعم.. أذكر أي قلت ذلك  
- هل كنت صادقًا؟

- كل الصدق  
- ما سبب هذا؟

- لا أعرف. لا أستطيع أن أحب، أن أحب بمعنى، يحسون بل مثل هذا الحب قد فاني، أولئك لم يأت بعد.. إني في أزمة قالت أيرجكا

- لاحظت ذلك. فكرت فيه.. أنت، في هذه الحالة، مريض نفسيًا، الحب، كم نعم، مرض أحيانًا، لكنه ينهي من مرض آخر. هو عدم القدرة على الحب. لقد كنت صادقًا معي. كنت كرمًا وأرعب في مسعدتك.. لذلك قررت أن أدعك لبيروتكا. صدك.. معها، تسمح قليلًا، تحل عمدةك..

- لكنني لست مقتدًا كما تتصورين.. لست مريضًا تمامًا. الحب ألداس إني أحب الناس، الوطن، النصف  
- برأسك أنت قصة هذه. أن لست معه نصايا الأخرى،

لكن الحب، على ألقائه، ينبع من مصدر واحد، هو حب المرأة إذا كنت عاجزاً عن حب المرأة فأنت عاجز عن حب كل شيء  
هنا كرم.

- هذه مبالغة! أنت تهمني في هذه الحان

- الآن، حان موعد أغسني الأخيرة.. بعدها يستريح بنة رجاجة السامبايا ويذهب إلى البيت.. إني ما ظنه لك قد أكون محبطة.. إني أجهل أشياء كثيرة، مع أي خرجته جامعة. هذا لا هم.. كل لطيفًا، أرجوك.. هذه الأغنية لك لا ترسل أنها محبة يكمي.. أعرف قلبك.. إني لست فتاة ملي، وأنت لست ربونا

عادرته وهو عارق في بؤسه العاطفي. أيرجكا تهتمه، ليس مثل المرأة من بهم الرجل.. بكلمات قليلة كتبت عن جدور أرمته، صبره صاحب أزمة. ملأ كان يفتها ولا يحس ب، الآن صار مريضاً يرى أنه مريض، هذا الإصراف الجسي ليس إلا تعويضاً يحاول، من خلاله، أن يبلغ الارتواء العاطفي، لكنه، بعد عصبه الجس، يعود إلى الفراغ.. (في فراغ رهيب في نفسه، إلى ظناً شديداً.. إلى جوع حقيقي لخبر هي التي قالت اسمه أحب

عنت أيرجكا، كان صوتها صاعباً، دائماً، يادي، في غير ما أمل، حبياً بعداً، وكانت انوسمي، رائحة، والمو الذي كان، خلال الرقص، يصح بصوت الثباب، عاد الآن، مع الصوت المرد، إلى نوع من انفعال داخلي، كأنما جاءت اللحظة التي يسي لكل إنسان أن يستعيد خلاصه، في وضعه استرجاع، ذكرات هوى قدم

نادى لليتز وسأله: «عماذا تقول الأغنية؟» ابستم السر السر لا يترجم.. كيف تقول؟ ألح كرم «أرجوك، ما هو عنوانها،

مطلعها ، التكلبات الأولى فيها ٢ ، قال المبر - وهذه أعية مشهورة ،  
 للشاعر اندريه أدى ، تقول ، « في عيني ، يراك الناس أيها الرأه »  
 فان كرم « شكراً ، فهمت » وقال في نفسه : « ليس في عيني أنه  
 امرأة عيني فارغان العين فتح من القلب فلي يتر فارعة  
 وعيني بؤرة فارعة عرفت الآن سبب رحمتي في الكتابه »  
 خاص الرواة في قضاة ، شعر بأنه مدسب ، وحيد ، مهجور ، وأن  
 قنباً ما ، في هذا النكون ، لا يحمى مع عليه ، لأنه عمر عن أن يحمل  
 قلبه يحنق مع قلب أية امرأة في هذا الوجود .

شرباً من جديد .. وفي آخر الليل ذهب برحلة الزوجكا .. كان  
 يظن أب ليلته لأخيرة معها هي أيضاً ظن أب ليلتها الأخيرة  
 معه في المد ستامر سببي شهوراً في الخارج ، وحين تعود ، ربما  
 لن تجده ، وقد لا يجدها ، فهي لن تعود زلي الملقى معه ، وليس من  
 سبب يدعو إلى الله ، طالما أن الحب ، بينها لم يوجد ، ولن يوجد  
 أبداً

جس فقط .. هذا كل ما يستطيع أن يمنعه .. وتبكت الفحة  
 برص ، صديقه كانا ، امرأة ورجلاً كانا ، وحين أحلّ الحسد أن بعد  
 نجاد شمي ، قتلها ، قتلها كلب عارية كانت وفكها كلها وفيه  
 ظهر اليوم التالي أرسل لها بطاقة فريميل آخر .

- ١٦ -

فيا كان كرم يبط القدرج ، في طريقه إلى حمام سينيني ، في  
 الصباح الباكر ، رأى ثياباً يدخل البنية وفي يده حبيبته الشاب م  
 بره ، ولكنه سمع وقع أقدامه بغير شك ، فطلى في راوية ما ، أو دخل  
 غرفة في الطابق الأرضي

كرم لم يابه ، ولم يجد ما يلفته أو يحبه ، وهكذا غادر انيس ،  
 وفي يده حبه الصغيره التي نعم مسسه وهدو لنسبته

وفي آخر الرواق من الناحية الشرقية ، قرع الباب ثلاث قرعات  
 متواصلة ، ثم تبعتها ، بعد فاصل ، قرعة رابعة مرمدة ، أحاق محمد  
 جيش وهرك عيسه أرواح ستارة الناعدة قال في نفسه « لقد جاء ،  
 إنه هو : نديم الجبل ، نعم أخيراً أن يتقيد بلواعيد هذا لا بد من  
 الانصياط ، في مثل أحوالنا ، ضروري لكم تبعت لكي أجعله  
 إنصافاً » ، وعلى الباب تكررّت المحاولة ثلاث قرعات متواصلة ،  
 وبعد فاصل ، قرعة مرمدة ، وصاح محمد من الداخل

- طبيب ! طبيب ! سمعت - لماذا أنت متجهل إلى هذا الحد ؟  
 قال نديم وهو يحتر جسمه ، مع الحمية الكبيرة التي يحملها ،  
 داخل الباب

- أمارك ناعاً ؟ أعمرك دقماً - كب أجسك تبسطري في  
 الحار

- هذا ما كان يجب لكي سهرت إلى ساعة متأخرة - مرت كثيراً وعرفت في النوم

وبعد أن أغلق الباب أصاف

- أدخل - لا داعي للتعجلة - أنت لا تعمل أميولاً حتى تحياط

هذا الاحتياط

- ولكن الحقبة ملأى بالكائنات الأجنبية والوسكي - ماذا لو

أشبه لي أحد؟

- وماذا بصورك؟ تقول، هذا لا احتمالي الشخصي

- أنا العالِم أدخر كل هذه الـيكارات وأشرب كل هذه

الـويكي \* من يصدق ذلك؟ وعلى فرض أنهم صدقوا ، سألتوسى

من أين أنت ؟ وبعدها

- لا تكن جباناً.. أولاً إن يسألك أحد.. ثانياً تقول إنها

وصلتك من أهلِكَ في سورية

- أنا العمير ، الذي يدرس الاقتصاد السياسي بمحة من الحكومة

لحرية ، يرسل له أهله كل هذه الهدايا الفاخرة؟

- ولماذا لا؟ الحصول على محة شيء ، والعمر أو المي شيء

آخر.. أكثر الذين يدرسون هنا حصلوا على محة مع أن أهلهم

يسوا لهم

أصاف ، ببرة أمرة

- إذهب وأصنع لي فجاناً من الميوعة ، ربما أفصح هذه الحقبة ،

وأرتب ما فيها من بصاعة

اصنع مدي للامر كان المطبخ بين المعرفة التي ينام فيها محمد

المعرفة الثابتة ، على بين المدخل ، للروحة التي لا تزال ناتمة . متى

حدرأ ، كي لا يوقظها ، هو يعرف السب كما يعرف حرفته في قلعه

الصبايا ، هناك حيث بيوت الطلبة . إنه ينام مع زميل آخر ، رد

لا عذره له على استئجار بيت ، مع أنه يشوق إلى ذلك ، ومحمد يبه

بالوعود « سيكون لك بيت مستقل يا مدي » « متى يصير هذا »

حش \* « هذا موقوف على ما طك » « لكنني أريد حدي » هذا

ليس كافيأ مدي . « وقال في نفسه : « لو عيكيت رأساً لأصحت

لحائي . » غاظر بصبي ، بدراسي ، بمسيلي في البحر ، ومحمد بأحد

السمة وقضربا . إنه داعية . حتى ليكون مهرباً لا طالباً

على كل فأت أوان دراسته . مسألة الدراسة هد حجة . حصل على

محة مدد المحة . مددها ثابتة ، ثالثة ، كيف ، لا ري ، يوصل إلى

هذا؟ وكيف ، في حركة بارعة ، خفية ، يحصل على هذا البيت؟ ظل

بحي حتى أصبح مترجماً في الإذاعة.. يترجم بشرة الأخبار للمسم

المرئي . فعل ذلك ربما حصل على هذا البيت . لم استطع . زعم أن

العسل على المنظمة لا يؤايبه . إما أن يصبح موظفأ كاملاً أو

ينرك.. ترك الترجمة والإذاعة واحتفظ بالبيت.. من يستطيع

إخراج مة؟ في البحر لا يلقون الناس في الشارع . إنه يعرف

المو بين حدأ . يستمد من الحقوق دون الواجبات ، يقول إن به

حقاً . أما الواجب فصحك « مرحباً واجب » يقول أيضاً :

« الناظر يدبر رأسه ، أنا دبّرت رأسي ، وما دبّرك يا مدي لا تكن

لموجاً.. » لكن مدي شاءل وهو يظهر الميوعة : « متى يدبّرني هذا

السطر الذي سحرني إلى هذه الورطة؟ » أكاد أصبح درسي . إنه

لا يبالى بهذه الدراسة يقول : « كي مشي . أنا مسجل للدراسة ،

لكنني أصعل شيئاً آخر ، أكثر فائدة .. ربما كان هذا ملائقاً له ،

لكنني أنا أكاد أصبح المحة ، إذا لم أصبح ، طردت من البحر.. أنا لا

أعزى كيف أدبر أمري . وهو يقول: «لا تخف مني  
ستدود.. هذه علي.. لا تدخل أنت في شغل، ولا تعلق، فقد ما  
أقوله لك علينا يحتاج إلى شئنين: «عدم التناقص، ودقة  
التصيد»

أحضر الفهوة وفي نفسه حق.. جيش ينام عائداً إلى المحي،  
بعد سكرة تعبته إلى الصباح، وهو يرتجف في وعده مربية، في رابطة  
شارع خدي، ريثما يتسلم البصاعة ويأتي بها إلى هنا، وبعد ذلك  
يلقي عليه جيش مو عطف في رباطة الجأش، وعدم الخوف لا يرى  
أبداً خطر حتى ولو فصبوا عليه. إنه يؤمن الأمر، يرى المسألة  
ببساطة: «هذا لاستهلاك النخعي» حبيبة من الكائن  
واللهيكي، وعن رصدهم أبداً لاستهلاك النخعي، وأبداً مرصده إني  
من سورية.. هذا الوعد، بحسب أنهم يلباء حتى يصدقوا مثل هذا  
الطمع، وماذا يحميه صدقوا أم لا. إذا وقعت فإنه سيكر  
معرفته لي، يرغم أنني أعزى عليه، في محاولة لإيقاعه. أنا ل  
أسمر في هذا الاحتراف، لن أحش مرتعد الأوصال، على أن أصدق  
بعض من أعزب من وجهه أقطع كل صلة لي به. وفي حالة كهذه  
فقط ألتش.. وفي جو الاطمئنان وحده أستطيع الدراسة.

كان جيش ما يزال جالساً على حافة السرير، البصاعة أمامه  
على طاولة مستطلة. كان سورم المسى بشكل ظهري، يدور من  
شعة النابلا شمر أسود كثيف في صدره. رأسه صغير، واقسم  
الأعني من جده صيق، بجلاف الصم الأسفل، العريض، الملئ إلى  
درجة السمة، كأما تتشكل قوامه على شكل هرم، فيه إمراط في  
الوسط، وصبور مع استطاله تلمع الرأس دي المسين الزجر اجس  
تدول الفهوة دون أن ينظر في عيني ندج الذي ألتها له،

ترشعها متللاً، أشعل سيكارة. سحب منها أنماطاً همة. قال بهجت  
العارمة مصفاً

- قرباني لن يأنوا إلا في الليل.. هذه البصاعة سفق كلها،  
وعليها، بعد ظهر اليوم، أن يجد كمية منها من مصدر آخر، دع  
هذا الأمر علي. دورك، في صباح العد، أن تتسلم البصاعة في  
المكان الذي أحتده لك.. وسأكون، عند وصولك، صاحباً لا  
يملئ. أما الآن فسيسرف إلى شغل يومي (المصاد)، هالك كبه  
من النفود المجرية، هذه شة ألف من المورنات. لديها مجالات  
كثيرة لميادلتها بعمليات أجبية.. هناك المفاهي والصادق، حيث  
يتواجد عرب أو أجاب جاءوا للسياحة، إنهم ينتظرون أن يقدم  
لهم خدماتنا.. فورنات مقابل دولارات أو ماركات غربية.. ولا  
بأس بالفرنك الفرنسي والسويسري أيضاً. الأفضل هي  
الدولارات. يدفع أكثر في سبيل المحصول عليها. أي مجال عذر  
لصك. المفاهي أم الصادق؟

قال ندج

- سأذهب إلى الجامعة اليوم. صد أسبوع لم أحضر درساً  
واحداً. فالتقي محاضرات همة. لا بد من التعويض كي ألتج  
إني قنني جداً. شعة النهرب هذه تصمي أمام مصيرين السج،  
أو الطرد من المجر.

أشعل جيش سيكارة جديدة. كان يسمح لامبالياً، الدبابة  
التي وقعت في شبكة السكوت لن تلمت من بسج الدب بالسهولة  
التي تظن. بعد التسلل معه لا يجوز الانفصال عنه.. هذا تصرى  
غير لائق من جهه، وحظر من جهة أخرى من يقدم على ذلك

يبرهن بعضه للانتقام.. وهو، حمش، له أجليب كثيرة للاسقام،  
بسها السحن، والظرد العوري من الجبر. وعلى هذا فليس من سبب  
للانزعاج. يدع يدع يمشي حشفه يعبر عن صحوة صبر لم يبق كما  
يجب يمد. اللهم أن ما يطلبه يسعد.. وعلى يدك أن يختار، المعاني  
أم الصادق

قال وهو يخرج الدخان من فمحي أسفه المنطرح

- هذا اللغو يدي لا فائدة منه صار معروفاً انترب ههناك  
وبك سيجاره. سأكل شيئاً إلا، ثم يخرج إلى السمن ادع  
إلى مهي. أم كي. هك عبد جوجا باسطارث. إجنس معها  
عدم ف ك تطلب من مروب هي منظر رنار، ومن منظر  
ربان. انوصف واحد يد، والناون حبد، لصلحه الطرمن  
تستطيع أن سحب ربوك إلى عرمها، هك تبدل له العلة  
وهك تقدم له جوجا حشفه العربي ربون أصل محروم  
أكثر.. يريد امرأة بأي شكل.. تشفيد من تبدل عفته ومن  
مكافاة تقدم جوجا إليه

- لنذهب جوجا إلى المحرم، صبرني مهراً وفؤاداً أن لا  
أستطيع الاحمال أو الصبر أكثر من أجنس في الدخول ما يكون  
الربون مع جوجا في التخت.. أعصاني لا تتحمل  
أعصايك تتحمل. ستعاد.. وستعرف اللذة في السجل..  
الفؤاد (وأن لا أحب هذه الكلمة أفضل عليها كلمة الوسيط)  
المؤد له لدته أيضاً يرى، يسمع، يستمع في برطانيا كان  
رجال يبررون، يدعون مبالغ لمارسة أرياء شهيرة كي يروا من  
معرفة في الجدار، إلى مجاورة الجنس أمامهم.  
- هؤلاء شاذون

- وما هو السي في الندود؟ نصف أوروبا شاذة اللذة،  
في حال كهذه، تصاعف

- ولكي سأذهب إلى الكلمة كما قلت لك

- لماذا؟ كي تنجح؟ وهذا يعني النجاح؟ شهادة، وما هي  
الشهادة؟ وسيلة عمل. وما أنت تعمل، تبيع أكثر.. وتبقى في الجبر  
عداً متشكلاً. أليس هذا أفضل من العودة إلى بلادك حيث البطالة  
ووقع الرأس؟ أم تظن أن العمل يظرك عن الحدود؟  
- معها يكن، معها يكن أريد أن أضح.. إذا سمعت هذا الصم  
طردوني

- لي بطردك أجد.. هذااي لما عمل السحر. تستنزل إلى  
كلمة أخرى.. تبقى في الجبر ما شئت.. نفس مثلي.. لو أردت  
المحاح لمعنه سيد من بعيد  
- فكذلك عصمت في الديبلوم

- وأمامي الدكتوراه.. هذه متطول.. أنت أيضاً مسجح في  
الديبلوم، وعلى تدبير صحة الدكتوراه. وبعد ذلك يكون لك  
بيت، وروحة، وتبقى في الجبر إلى ما شاء الله.  
- هذه مفريات، وعود كادبة.. أهل أرسطوي للدراسة والعودة  
بأسرع ما يمكن.

- أهلك مصنفون. اندي يمشي في الجبر مثل الذي يمشي في  
سورية؟ فكر أنت

- ولكم يظنون هودني لماعتهم

- سأجلك تساعدهم، لا تتحمل

كذلك نصمي في طريق حطره. إني خائف دعني أكن  
صريحاً معك إني خائف

- الخوف شيء طبعي، خاصة في البدء.. لقد أعددت لك  
مساء

- ما هي معجاناتك هذه؟.. تجربة جديدة؟  
- اتقن مع جوجا أن تكون لك اللبنة.. خذ النفود وادهب  
إليها.. بمجرد أن ينتهي عملك تكون لك.. سعي عددا إلى  
الصباح حين نخرج من رباتها تكون بك.. ربت معها كل شيء  
أصاف بعد صنت  
- الآن حان وقت الخروج أنا سأرشدني شيء، أما أنت  
فاسعي إلى الله

كأنت مع يدي حذرة يد صغيره أرفع مصوب على الطاولة،  
رُتب مصف الأوراق النقدية وحشرها فيها.. لم يبق مجال لعلبة  
السجائر، وضعها في ساق جرابه تحت البساط، ثم أخذ الخوذة  
للمخفية، حلل دقته، أصليح حلابه، كان يرتدي شرة مصاصه،  
صميمة، وضع ما تبقى من الأوراق النقدية في جيوبه الداخلية،  
تصنع في المرأة، له وجه طالب، شاب صغير وطالب لم يترك السهر  
والسكر آثاره على وجهه كما فعل مع جيش.. استطاع الآن أن يخرج  
هادئاً، مطمئناً، فليس معه أي شيء مهرب عنه سكاثره فقط  
كانت مارليبور، هذه جره من عدة النخل، يصحها على الطاولة،  
وعوقها الولاعة النارية من نوع روسون.. شاربا الأ سودا، إصاصة  
إلى لونه الأسمر، يدخلان في مواضع الشغل صارت له، بحكم  
المهارة، مراة في الأشخاص، في وسه تميز العربي من دخوله،  
من تردده، من ختاره الكرسي، من ثلثه يراقبه من بعد إذا  
كان ابتر خائب، يمكن أن يذهب إلى طاولته، في حال الانتباه  
بوجود مراقبة، ينتظر حتى يخرج من المنهى فينبهه لكل حال

موقفه.. هو في مخاطر بؤده أن يقوم بعمله دون أن يخطر بباله  
إنه أصبح مشبوهاً، لكن البوليس المجري لم يوقفه ولا مرة بعد (إنه  
غير مراقب حتى الآن، وجلوسه مع جوجا، ثم خروجها معاً،  
بصرف النظر عن مهمته الحقيقية، جوجا مشبوحة جنسياً، يسمونه  
على علاقة جنسية بها في هذا المجال الاهتمام أقل المراقبة غير  
شديدة، في مسألة الجنس تساهل إلى حد ما، جيش يحس عمله له  
ربائس كثيرين، له كبتك هديقات.. في كل منى، في كل فندق، له  
عاهرة.. لكنه لا يكتفب اللواتي يتعامل معهن عرقه بجوجا فقط  
جوجا جميلة، شفاء، فارغة، مصرية وميرة إيا فتح صالح.. دور  
هذا الفخ، بالنسبة إليه، بصريف العملة فقط.. المواد بمدة عن  
عاشقته، يكره أن يتحدث إلى هذا الدرك لن يبحث عن ربائس  
يريدون الجنس، هذه مهمتها هي، هو سيحضر اجتماعه بالدين  
يريدون بدين مودعم.. ومادا في هذا؟ في كل سيارة موظعون  
بموسون بالتسلل معه هؤلاء، موظفو السيارات، وحتى الكبار  
مهم، يراخونه مراحة شديدة، ما إن يصل وفده حتى يسوا في  
أدان أعضائه أنهم في خدمتهم.. وبهم أعضاء الوفود.. في  
السيارات، في الفنادق التي يربون فيها، يجري تبديل العملة  
باطمئنان هؤلاء لديهم حسنة لا أحد يألم، في وسهم، إذا  
ستلوا، أن يقولوا إياهم يندسون مساعدة لموظفيهم، لكن أحداً لا  
يألم لو سألوا موظفي السيارات، ولا حمراء، صليبات التهريب  
التي يقومون بها، لا اضطروا إلى طرد أعداد كبيرة منهم ليس من  
مخافة يمكن أن تنلهم في هذه الحال.. جيش قال ذلك وهو يهرى،  
وكذلك يهرق قديم.. ولو كان موظفاً في سيارة، لصل مطمئناً،  
وحقق صفقات دون أن يتعرض إلى أي خطر

خرج من الباية ١٩ في يترور أوتسا، سار في شارع بيها أوتسا  
 رى نادي الصحفيين، هناك انتظر الباص رقم واحد، وعند تقاطع  
 شارع الجمهورية بشرع ليس برل من الباص وركب الترام، وبعد  
 دقائق كان في مقهى «أم كي» لم يدخل رأساً، سار على المصيف  
 متملاً، راقب محيط المقهى، تعرض من وراء الزجاج بالجلاليس في  
 الداخل، جوجا لم تأت بعد. قد يكون لديها ربون، في هذه الحال  
 تأخر، العمل في حالات الاستقبال، في المصادق، أقبل، تعرض  
 العادم من حديثه يعرف العرب من سانه، يعرفه أياً من كلامه  
 مع الدمين في الاستعلامات جيش يربط هناك يختار الأماكن  
 لأسهل، لكنها الأخطر أياً، رجال الأمن، هناك كثيرون، الرقابة  
 شديدة، يكتم لا يستطيعون التدخل، خاصة حين يكون العرب  
 عربياً، ويتقدم جيش عارصاً خدماته، من الترجمة مع موظفي  
 المصدق رى المرافعة ينسوق في هذه الحال لا يستطع التوبس أن  
 يشبه مواطنان من بلد واحد، وقد يكونان صديقي، فكيف يح  
 أن يتحدث أحدهما إلى الآخر؟ كيف يجمعها من الخروج إلى السوق،  
 إلى البركة، إلى المقهى، رى المطعم معاً؟ حين يصير لك رأسك يا  
 بدم سراط هناك، في أباء المصادق أما الآن ذات محكوم جيش  
 محكمك، ويريدك أن تربط في الـ «أم كي» .. وها أنت فيها  
 ادخل ردى اشرب قهوة، راقب الباب، اصبح عيبك وأدبك،  
 وحين تصل جوجا اشرب معها قهناً من البيرة.. وتكون، ما  
 دامت معك، محبة للنظر انهم أن يصح الله عيبك بربون على  
 ربون يحمل سبلاً طيباً، ويريد أن يعق، أن يستمع ويسوق.

دخل المقهى حذراً، كانت النباتات المحصر، في السكك قرب  
 الجدران الزجاجية، وفي أنه أشبه بالبراسيل، تحيط المقهى جواً

ربحياً، ياقص والشطوط الصبي، لحرارة غير مأنوه، في الخارج  
 وكاست اللوائد، والكراشي، ورجاجت المشروب. وشراشع  
 الطاولات، كلها تحيط انطاعاً حنو، مه عطة، لكن بدم ما كان  
 قادراً أن يسط، كان الملاص الخارجى لقله قد بدأ يكتس،  
 الرص الداحلي، ثمنه القدرة، والاضطرار الخارجى، للمهنة  
 دانيا، للسلطة التي اندمع إليها، وكل الوصاعه المتولدة عن مهنة  
 ينحة، تحبّر كبد، تريد سواداً حتى يصبح، يوماً بعد آخر، صحنه  
 قذت من ليل

جلس في زاوية مقابل الباب، أحس أنه عاهر، وأن جنته، في  
 ترصد زبون ما زال مجهولاً، جلسة عاهرة، وتقى أن تأتي جوجا  
 سرعة، شريكته في العهر، ليجد فيها صورة لعمه، ويتخلص من  
 وحدته، من وحشه المؤرّة بإحساس مهين إلى درجة اللصبة لكنه،  
 وهو فارص شموه بادل هذا ملح رجلاً يدخل انهم يوقف الرجل  
 عبد السب، يطع في الجهات الأربع للمقهى، واعمه إلى طوله في  
 الراوية

ارتشخ فدم للمصادقة الحميدة. ها هو ربون، ربون معر كما  
 يبدو من وجاهته. إنه صيده المصطر، عليه أن يراقبه من بعد،  
 يترئث في النهوض والدوران حوله، ربما كان على موعد مع أحد  
 الطلاب، حديثه تصبح مهنته أصعب مما المحط فإنه لن يجرؤ،  
 أمام طالب يدرس مثله في بودابست، أن يعرض خدماته بشكل  
 سار إمتدت يده إلى اللواعة أسسها بأصابع ممتدة أعماها في  
 جبه، انظر قليلاً. لم تأت أحد، ظل الرجل وحيداً، ينص  
 متملاً، مرّ أمامه دون أن يتوقف، تعرض فيه، إنه سوري أو  
 لبناني، هذا ما استنتجه من هشه غاب دقائق ورجع، كانت الآن

سكارة في يده اقترب من الطاولة متردداً وحين رآه الرجل وبيده  
سكارة، حسب أنه يطلب ولعة. دنا وقد وضع السكارة في صه  
قال بالعربية

- ممواً لا أحل كبيرتاً.

قال الرجل وهو يشل له السكارة.

- بمحل

أصاف:

- هل أنت عربي؟

- نعم، عربي من سورية، أدرس في الجبر.. وأنت؟

- من سورية أيضاً.

- تشرعاً.. قلني حق لراك.. يا دجلة الوطن..

- أصاف: هل من خدمة؟

قال الرجل:

- شكراً.. تفصل إجلس.. [شرب القهوة معي..

جلس.. شرب القهوة تحدث عن هودايت، امتدح ما فيها من

أشياء جميلة، بالغ في المدح، وفي ذكر الأماكن التي يمكن أن يروها

السائح.. ثم سأله

- تريد أن تسوق ولا شيء..

فكر كرم قبل أن يجيب

- أريد طبعاً. هل هناك أشياء جيدة يشتريها الزائر؟

- هناك أشياء كثيرة.. مصنوعات يدوية، خشبية، ومعديّة،

مذكرات، أقنعه و

- ماذا أيضاً.

- اللوز. حرو المبرون. إنه رخيص، يصف عنه في العرب..

- وبأية عملة أدمع؟

- بالعملة الجبرية

أصاف

أستطيع أن أخدمك في هذا المجال

سأل كرم.

- أخدمني بأي شيء؟ بالترجة؟

قال ندج

- بالترجة وتبديل العملة؟

نفس كرم في وجه الشاب، دق أكثر، نظر إلى ثيابه، وعدد  
تذكر الشاب الذي رآه يدخل باب البناية في باسرورواوسا ويبيده  
حفية كبيرة قال.

- لكسي إذا أردت شراء العراء، احتاج إلى مبلغ كبير

- المبلغ، مهما يكن كبيراً.. موجود.. إني مستعد.. قال كرم

في نفسه: «هذا واحد سهم..» وبقرب وسخط، سأله

- ندم هذه الخدمة في أم للجميع؟ سمعت عن الذين يحصلون في

السوق السوداء، وهم يواحدكم في كل فندق ومعي، وفي هذا

التمنى بالذات، لكسي ما كنت أوقع أن يتعاطى طالب سوري هذه

الخدمة ألا تعمل مع محمد حميش؟

- ومن هو حميش هذا؟

تتعامل؟ فهمي بهمه وتتعامل؟

- وماذا أصعل؟ أنا محتاج

والمسح؟

- لا تكفي

- كيف تكفي الآخرين؟



- العربي لا يستطيع تقدير وضعها - هذا البلد الناعم،  
ماذا أفعل ؟ أودّ جمع أجرة الشعر للفرار إلى العرب  
قال كرم ساخراً

- هكذا إدو! - تشرب من البئر ويرمي فيه حجراً - نسمة  
أبهاً - وربما تتجسس عليه.. اسمع أنت قدير، ولو لم تكن عربياً،  
وسورياً على الأحص، لمصب عندك وملكك للبولس - ألا تحجل  
من هذا السبوت؟ ها - انهم عن هذه الدولة أخرج من المعنى  
كله - لا أريد أن أرى هذا الوجه ثانية

وقف نديم والعرق يبلل جبينه.. لقد صادف أناشاً رفضوا  
عربه مراراً، لكنهم لم يرفعوه عن هذا النحو الذي ينكمش ليس  
زائراً عادياً، ليس سائحاً، لا بد أنه صديق للمجر ويعرفها جيداً  
لا بأس.. إنها بداية سيئة.. ليخرج قليلاً.. ليتوارى ثم ليُتَذَرَّ حين  
يصرف

طاف في المازلات القريبة، أحس أن الرجل صعب، وكله على  
قده.. لم يحش في سره، مهمة المهرب كمهمة القواد.. عار.. إنه  
مهرب بالعار - طالب جامعي ومهرب؟ أما كان من الأفضل لو  
درس علم وحصل على مهاده وعاد؟ - أنه حياته؟ كيف يسر  
فيها؟ وهذه الكعبة من النمود في حبيبته وحبيب سرته - يعود إلى  
حيث ويلبسها في وجهه؟ يقول له - أنا أقلمت عن العن منك  
بموجب؟ ولكنه مقيم لحيش، وثقته الجامعة صاحت.. إذا لم  
يسخ له حيش في التمهيد طرد من المجر.. يا لها من ورطة! إنه  
يعوض في مستمع متى

حين عاد إلى المعنى كان كرم قد انصرف، كانت جوجا هناك،  
تجلس وحدها على طاولة تراقب منها المارة على الرصيف اقرب

وحكاها - جلس صائماً، كان يضع ذلّه، كان عاجزاً عن « العمل »  
هذا اليوم، لكن جوجا أخبرتة أنها بانتظار ربيون عربي من لبنان،  
وأنة يريد تبديل كعبة من الدولارات بعلمه بحرية - قالت إنها  
ستأخذه مع جيش على كل شيء - وحالاً يأتي الربون يدعون  
ثلاثتهم إلى عرضها

لم يقل نديم شيئاً، ظل واجباً مرتبكاً، مسكراً سألته جوجا عما  
إذا كان حادث ما قد وقع له، أو أن أحداً يراقبه، فأجاب سلباً  
طلبت له فجأة من القهوة، وراحت تمرّ به بانتظار الربون  
الموحد، الذي تأخر قليلاً

حوالي الظهر كانوا ثلاثة يمشون في هذه تقاطع شارع ليس مع  
شارع الجمهورية

قام نديم بدور الترجان بين جوجا وصاحبها، لم يقل له هذا  
شيئاً، لكنه عامله كفؤاد - كانت نظراته إليه تطوي على احضار  
أعصى نديم على هذه المعاملة، أخطى وهو يبر - وعند تقاطع  
الشارحين ركبوا سيارة أجرة انطلقت بهم إلى حي قدم في  
بودابست.. وهناك صعدوا درجاً ممّتا، فلما اسهوا إلى غرفة في  
الطابق الثالث، تقدّمت جوجا وفتحت الباب، فتأخر حتى دخلا،  
ونلقت حواليه، وأطل من بسطة الدرج ليري ما إذا كان ثمة من  
يراقبهم

كان بيت جوجا مؤلفاً من غرفة، ومجد صغير، ضيق، يوم مدم  
الصالون، وكان الربون تاجراً للأجدر، في الأربعينات، واسمه  
مصطفى كان صمغلاً، وكان مثلياً، ولا يصدق أن جوجا نصل إلى  
دراخيه. لكن هذه لم تكن مستعجبه خلف جاكها الصبيبة

فاندفع إليها وعاندها لم ترخص قلبه بدورها ولا طلب منها أن  
تخف أكثر فعدت بقيت بالثبته، وجلسا على خوض، أمامه  
طاولة واطنه، وقام نديم بجذبهما جنباً إلى جنب، كما طلت حوجا،  
رجاحة بيد مسح بعض المملات حل بعض ما في التلاجة من طعام،  
وعندئذ دعه جوجا، التي كانت تحس في حصى ربوبها لأن، عارية  
المحصى، أن يشرب كأساً معها تكلم معها بالجرية قال إنه يريد  
تبدل المسنة للرجل ولا يصراى سألته كم يحمل من المورسات فلم  
يجبها صراحة قالت إنها تريد شيئاً كبيراً، وأنها تغطي نفسها  
مقابل ذلك دون أن تحده وقتاً

ترجم نديم ما قالت له طلب منه أن يدفع مبلغاً، لكن مصطفى  
كان يريد أن يصاحبه أولاً وعد أن يدفع أي مبلغ تطلبه إذا  
كانت لطيفة وأرضيه قالت لنديم انتظري إذن، سأجعله يدفع  
كثيراً، ثم دخلت غرفة النوم، ودخل مصطفى وراءها، وأعلنا  
الباب بقي نديم في الخارج بقي في وضع قواء وجلسته كان  
يسمع كان يسمع بالعار والعار ويسمى أن ينهي كل شيء  
بسرعة ولم تحصى أميته، فقد طالت العملية الحسنة، وكانت  
جوجا تنصرف بغير حياء تتأوه، تصرخ، تصيحك مصوب حال،  
وتنص في إرضاء ربوبها، غير أنه نديم الذي تعرف أنه خارج  
الباب، وربما كان يظن من قلبه لكن نديم ظل جالساً لا يحس بلدة  
القواء التي حدثها عنه جيش

أخيراً صبح الباب خرجت جوجا عارية غاماً عبرته وهي تمر  
به في طريقها إلى الحمام بقي الرجل في الداخل يرتدي ثيابه،  
تمس نديم الصعداء اقتربت اللحظة التي تبدأ فيها مهمته بتعديل  
المحود لكن جوجا، حين عاد إلى الجلوس على الخنوا، طلت

أخرتها دولارات قبضت ٢٠٠ دولار كان المبلغ كبيراً، لم يحس  
على مثله من أيها ربوبها، لكن مصطفى كان راضياً، لقد أسعته  
جوجا، وسألها، بواسطه نديم، عما إذا كانت تستقبله مساء أيضاً،  
وأن ترخصي بقضاء الليل معه، عقلت وهي تصيحك  
- أوكي.. أنا وهي اشاركك مادمت تدفع جيداً..

أصاحت

- طدفع إلى نديم شيئاً ما .

مدفع، وسألته «ألا تريد تبديل دولارانك بمورسات ٢٠٠ يجب  
أن تكون معك حصة جرية، أود المسهر معك الليلة، في أحد  
المطاعم، وبعد ذلك تأتي معاً لنارس الحب ها هـ

سأل

- ومن يبدل لي؟

- أسأل نديم . أطلب منه أن يساعدك .

قال الرجل

- هوذي تبديل كمية من الدولارات . هل تساعدني في ذلك يا

نديم؟

- لا أعرف من يقوم بد النصف لكنني، لأجل خاطر،

مسحت أن أقوم بخدمةك بسعي ظني أسي أحسن مبلغاً يكفي كم

تريد ٢٠٠

- كم تدفع مقابل الدولار؟

- ٣٥ قورنتاً

كان مصطفى يعرف، ما سمع، أن الدولار يساوي ٤٠ قورنتا في

السوق السوداء، لكن نديم أصدر على ٣٥ قورنتاً فقط مرفض الرجل

التعديل، وبعد مساومة دفع نديم ٣٨ قورنتاً، وأخرج من حقيبته

وجيب سترته كعبة كبيرة من فئة المئة هورمت، وراح يمدّ، والرجل يمدّ معه فلما بلغ المئة حشرة آلاف هورمت، قال

- كفى، لا أحتاج أكثر..

- ولكنك تحتاج لدفع حساب الفصدق، والمطعم - وشراء الخدايا، ولن نجد بسهولة من يخدمك حتى.. في بودابست مروجيد فروو الفيزيون، فنه مصاعب في الخارج - أنصحك - تسلط أن تبيع نصف ليه.. وستكون السيدة روجيك ضرورية جداً بجهة كهده نو نخدمتها لها

- وكم تقدر لمن مضط المرو؟

- لا أدري.. قد يصل إلى عشرين ألف هورمت. لكنه لحمة، لحمة نادرة يا عم مصطفى.. أنا مستعد لخدمتك في شرائه أيضاً  
تفرّس هذا في وجه نديم الذي لاح فيه الترة الآن. وقال  
ساحراً

- قواد تريد أن تشلّحي فلوسي كلها؟ أخذت أجرة القواداة وهرق تبديل العملة، وتريد أن تخدعي في مسألة الفرو - تحب أسى أجهن معاصدك؟ قلت لك إني ناجر أحاس - معنى هذا أسى أعرف لحر، ولي فيها عملاء - ولا علاقه لي بالفرو إني لا أفهم فيه.. هيا.. اجع فلوسك وانصرف.. دمي وجوجا وحيدى

- أأ لا أسح لك

صاح مصطفى محمداً

- اخرس!

بيدلت محه مديج بدلاً كاملاً امصفت احزرت أدناه

وحدتها - يس الكلام على شمية فكر لحظة في العراق لكن مصطفى كان يسره بطرأت أحدثت تقوياً في جلده لم يذب من الخجل ما كان مأدّه عاتقه لندوبان لكنه شتم بكبراً جديداً، تعامل مع جسده داخل جلده طلّت كلمة «قواد» ترنّ في أذنيه، وبقي يحاول ابتلاعها دقائق، فلما انصرف عنه مصطفى إلى تمبيل جوجا، وجد فرصته ليجمع ما دمه له، وما تسقى من عمله المجرية المناء عن الطوبى، وحين وضع كل أشدنه في جيوب سريره، بهز هاملاً خلسة اليد وقال لجوجا

أأ راحب

غير أنه، قبل أن يهبطى العتبة، سأط

- مسكونى مسموله اللبنة؟

- لا أدري

- حمى قال

- ماذا قال؟ وصحكت بفجور..

أجأها

- لا شيء - لا شيء

أعلى الباب وراهه صعدوا على السلم الحجري، وهو يتنفس ارتياحاً. فقد كسب اليوم شيئاً ما، شيئاً هزيراً، لكنه، فجأة، تسرّ.. استدأر ليرجع، فإذا رجل الأمن يصيح به

- لا تتحرك

حاول النمر لكن فوهة مبدس ضغطت على ظهره، وقال له

رجل أمن آخر

- هيا معاً

- إلى أين؟

وقال في نفسه : «علما حيث مني؟» غير أن حيث كان قد سبقه إلى دائرة الوليس أيضاً ، وبعد قليل دخلت حوجا التي تبص عليها وعلى مصطفى ، وبقي الثلاثة وهي التوقيف إلا حوجا ضد أخرجت من باب خفي.. وقال لها رئيس القسم

- لمبت دورك بشكل جيد.. مطلوبانك كانت صحيحة.. من أجل ذلك مدعك ذهبي لكن حذر من المزاوعة لا نسي أنك تحت المراقبة أيضاً.. وأنت طعم في صبارك وقالت وهي تتناول حقيبة يدها وتصرف - أعرف كل شيء وأحفظ كل شيء - إني بحريه مخفية ، بحرية طيبة ، برغم سميتي المينة

مادت بيروشكا من حريتها ، أحضرت له معها بعض المواكع والرموز ، سأله كيف أمضى الأيام في عياد من جاء ربه؟ إلى أين ذهب؟ من قابل؟ كات البشارة تنبع منها شعرها فقط يحتاج إلى تبريح لك ، في النمر الذي صار إليه ، بدأ أخاداً أكثر هو لا يبل إلى الأشياء المصنوعة يبع بالطيبة ، يس في الطيبة ، هو مصقول وحبة الكائنات ، في الصورة التي أعطيت لها ، في الشكل الذي المحدثه ، في التعبير البدائي ، كات معه ، وكان على مكتبه ، قتال من خشب ، احفظ بكل الصفات الطيبية لشجرة التي صُنع منها وبعد ارتاح إلى بيروشكا ، لخصتين بارزتين صبي ، الطيبة والدهش جمها ، مع هاتين الميرتين ، يطفي تأثيراً أكبر ، يخلق ابطعاً مأها لا تعتمد ، لا سمي ، لا نكلف ، في السوك والكلام والاحباب ، وأنها ، حين لحب ، يكون صها نابعا من قلب بريه ، تعدله بمر تردد ، بفر حساب ، كأنه المجره التي حسنت دائب ، وأنها ، في استجابها لهذه المجره ، تصرف بدموية كاملة

لم يقل لها إنه استقبل روريكا هي لا تعرف روريكا ، ولا سب يدعو للكلام صها ، ما دامت تحملها قصتها صارت من الماضي لقد قرأ ألا يراها بعد ، ولا يسقبلها ، وسيطر للارمان فيراتنس (دا

حينئذ عجب ، أو جزب أن يكون أداة اتصال بينها ، كذلك لم يقل إليه ذهب إلى ايرحكا . انتهت العلاقة بهذه أيضاً ، انعد ، بمع كلام ، على إيهاء ما بينها ، هو أن جسي بياحتها ، صداقتها ، عاطفتها السبله ، قدرها على العادي إلى الأعماق ، كلها لحسنه عن أرمه ، لكنه لن يذهب إليها ، وإذا ما اتصلت به بعد العودة من السفر فيكون ليقاً ، وسخندر بأدب ، ويقول لها صراحة إن له صديقه ، ويده يريد أن يخلص لها كل شيء كان حصاً حتى الآن ، فليس يعرفهم من النساء ، أعطته انطاعاً جدياً عن المرأة المحررة ، هذه التي تنصرف بحرية ، باستقلال ، يردده في أن يحب ، صادق ، فارس الجنس ، دون رخص وفي جو صحي ، جو اجتماعي له من أوروبا هذه المحررة في النحاس ، لكنه يهتق عجا في أن الحرية الهارسة عجب لا يبدل وبيع لحسد ، والموس بالمر ، تحب أية دربه ، ومنها كانت الظروف وليس معنى هذا أن بودابست ليس فيها فتاة تضم على مصروف معابر ، لكن عدد الدواب ليس الاربع لليال خيل ، وعدد النساء أقل في يده ، في عاصمه ، كاتب قبل التحرير ، كما قال ألبوش ، تضم ثلث الأكراف من المهارات والمسولين .

شاولا المدا في يدي الصحفي القريب ، كان حذراً وهو يدخله ، لشموه العصي على القهر ، بأنه كهن ، وصديقه شابة صغيرة . خلافاً لذلك كانت بيروشكا مرهقة ، واحدة في أن تعرض صديقتها للكاتب ، وأن تفاخر به . وقد أكتسبها هذا الإحساس حاله من النصف ، وصحى على تصرفها مرحاً رائداً ، وجاراً في أن تحول هي طيب الشرب والطعام ، وأن تمرب منه حتى يكاد يخلص به ، وتأخذ هذه أدم كل من حولها ، غير هابيه ولا مقصده

وخلال الطعام ، سألتها عن القرية ، عن الريف المجري ، عن الحياة

هالك ، الحياة التي لا بد أن تختلف كثيراً عنها في المدينة ، في العاصمه خاصة . قال إنه لاحظ ، وهو قادم إلى بودابست في المطار ، أن الريف المجري جبل جداً ، ونظيف ، وعلى درجه من الرقي لم يجرها في الأرياف الأخرى ، وسألتها عما إذا كان هذا صحيحاً ، وأن الريف قد تطوّر بعد التحرير ، وكيف تجري عملية الإسّاج ، والنماوس ، والنطس الاشتراكي في الراحه . وقد أجابته عن كل ذلك بصدق ، لم يعط صورة كامله ، لا نقص عنها ولا عيب ، بكها صوره سرقة ، فساء إلى ادمي يوم كان الفلاح أجير ، لا يملك أرضاً ولا بيتاً ، وكان الريف فقيراً ، بائساً ، مسحناً أيضاً

ثم صحتت وهي تقول

- انتبه يا كرم لا أريد أن أعشك إني أنكتم من موقع الإيجاب ، أعني من وجهة نظر مؤيدة ، فأنا ، كما ينبغي أن تعرف ، مصوب في التنبيه ، ووالدي ، فني ، كان في الحرب ، ومن مباحثي الريف الندامي

قال كرم صاحكاً أيضاً

شهادتك ، إدي ، مطعون مبي

- أنا أخون القصد ، ويقدّر ما أعرف ، ولك أن تأخذ كلامي على الوجه الذي تريد . ولقد آن الأوان لأن تعرف أفكارني ، وأسل ألا عيب ، إذا كانت لك أفكار معاكسة - أفكار معاكسة تماماً ، أنا إقطاعي ، ولا أريد أية كلمة عن المبدع

قاله وصحتت . شرب نخب بيروشكا بأعسارها رقيقة فكر ، فوق أنها صديقه ودة ، في هذه اللحظة ، أن تكون أقرب إليه أن يجربها كي يحتملها ويسرّوجها

قالت ميروشكا

- أن لا أقصد أنك إقطاعي، أو عدو للتقدم. وإلا فما الذي

جاءك إلى الحس؟

- ومحتني؟

- هذا كثر نقاي. الحاجة ليست ضد التقدم بل معه. ثم ماذا يعني هذا؟ نحن أيضاً، في الحضر، بملك الفرد بيتاً أنيقاً، وسيارة وقد نكون له مئلاً ربيعاً، وقطعة أرض لأبجد الحضر، يستطيع أن يبعده للمساهكين المحكومة لا يدخل في هذا الأمر

- كم هو جيل أن يتحقق الحلم يا ميروشكا

- أي حلم تقصد؟

- حلم الحياة.. حياتنا هناك، في الوطن..

- أب؟

- نعم. وإلا لماذا هذه العربة؟ لماذا هذا السرور؟

- اسبح لي، في هذه الحال، أن أشرب نخباً كبيراً.

كان كرم

- بودي لو ذهب إلى الريف معك ولكن ماذا يقول والدك؟

- لا شيء.. وسيكون مسروراً أن يعرف أنك تشاركه أفكاره

- لا شك أنه سعيد الآن..

- ليس تماماً. يقول إن السعادة تتكامل في المستقبل

سعادته، الآن، في البقاء، في التسريح لنوع هذا السحيل..

- هل تعذب كثيراً في حياته؟

- كثيراً. انترك، أيضاً، في مقاومة للتاريخين الحليين.. وبعد

ذلك ناصر له النعوتات الزراعية ولكن تعذب لأجلها كما

يحمل للأبداء، ويألم كثيراً

قال كرم مستعزياً

- يا إلهي يكون التحرير ويظل الألم قائماً؟

- والذي يقول إنه تعذب بعد التحرير أصحاف ما تعذبه قبله

كان إنشاء النعوتات صعباً جداً، فالملاح الذي حصل على قطعه

أرض بعد اسطار طويل، حرض، في البدء، على الاحتفاظ بها

- وهذا حق

- لكن والذي يقول ليس من مصنعه. لا بد أن يعض إلى

الحياة النعوتية، وقد رفض الملاحون ذلك، مقام الذين من أمثال

والدي. بإنشاء نعوتية، اقتنع، ثلاث، وبعد التجربة أدرك

الملاحون أن العمل النعوتي أكثر فائدة وأفضل مردوداً. وهكذا

انصب التوجع في البدء كانت الحكومة بدعوهم للانضمام إلى

النعوتات، وبعد ذلك صاروا يملكون عليها بكثرة، وصارت الدولة

تعتذر وترجمهم أن ينتظروا قليلاً..

قالتا وهنمت

- ولكن كفى. لماذا هذا الإلحاح في طلب النعوتات، هل تنوي

كتابة بحث عن المسئلة الزراعية..

- طبعاً لا.. لكني كنت أحسب أن الأمور استقامت بعد

التحرير مباشرة

- بعد التحرير كان كل شيء سهلاً كان ألقاصاً ثم جاءت

النزوة المضادة، وأنت سمعت بها ولا شك

- سمعت. حدثني أليوش

- إذن أنت فن تكررني بسبب أفكاره

- بالعكس.. كان بودي أن أحك

- ولكنك تحمي.. أليس كذلك؟

- أحبك أن أعني حياً آخر - مثل حب روميو وجولييت -

- أنا لا أنسى مصيرها

- ولا أن - هيّا نصرف.. لدينا شهرة في النساء.. سبت أن

القوم هو السبت؟

- لا أحبّ البت بسب هذه السمات.. تذكر الصورة

لما صيد؟

- أذكر هربك يا طفلي الصغيرة

- هل ستأتي أخرجك الليلة أيضاً؟

- أخرجك لي تأتي.. لن تأتي مطلقاً

- والنساء الأخريات

- بكل امرأة صديقي

- وأنت؟

صديقك فقط

- لا أصدق أحسن أن يك علاقت أخرى هذا لصحب

اللعين

- سرته إلى جهنم

- بل بعدة إلى المصاديق يا حسي

- سمكري هذا ممسلاً

في الب أعدت لها صفحاً من ميموه كانت الميموه مائمه  
شربتها بتلده، لكنها رفضت التذوق، بكرم وحده دحى بهم. كان  
الراب يريد في شراعه إلى البكاره، وكانت يروشكا تراقه  
منمقة، لحاب على رقبته.. قال لها: «لا تخافي - لن أعيش طويلاً،  
ولا أريد ذلك - لست يائساً، ولكن لا أريد أن أصبح محوراً -  
«تخاف الشيوخه؟» - كنت الشيوخه، بل مطاردة الحياة. حتى

الآن، أنا من يطارده، ولا أريد أن يتبادل الأدوار - ماذا تخشى؟

- لا شيء.. ولكنني أرتعب.. في وقت ما، أن أكون للحياة وداعاً أن

أقول لها شكرًا - اسبب تدويره - يا حسي - يا كرمي العزيز

أيه أعتار يطوي عليها هذا الرأس الجسل؟ أنت لا تقوى هذا،

لتحرمي.. أليس كذلك؟ أريدك، الآن، صديقاً، أريدك أن

عني، أن تقتلي، وأن تارس معي المجلس.. ربي يشوق إليك

أنت تعرف ذلك.. صحت أيام ولم أوك.. كنت، في القرية، أذكر

بك - أعمل ذلك في النهار، وفي الليل، وحين أسلمني في البرش،

كان القوم يحضوني.. لماذا، يا حبيبي، أنا مجنونة بك إلى حد

الحد؟

قال كرم

- أنت مجنونة لأنيك غير مأرومة..

- كلامك مبهم.. أوضح إذا أردت

- لا أستطيع.. بل لا أقدر - أنت لست متفدة، هذا ما أردت

قوله

- وأنت؟

- لشككم في شيء آخر.. ما رأيك، بديل من الوسكي.

- أنت لا تريدني سكري

- أريدك، كما أريد نفسي، خارج دائرة التمكير الممنوع.. لقد

تكلسا، في النادي، يا بكمي.. عندما يصير خبيرين في الزراعة

الآن، ينبغي أن يضع التمكير جانباً - لا أبون بسبب - نحن لا

سبي، ويجب ألا سبي، لكن شاعرنا قال - بكل أمر و حبه

خطيب - أي مستطج أن سكم، وحتى أن خطيب، حول أي

موضوع، في وقت هذا الموضوع. أما الآن، وأنت تدي، في بيبي،

ماريدك أن تكوني غير ما كنت في النادي، ولهذا أقترح أن شرب  
فناً، مثلاً جداً، مادام في انسجام مع أنف.  
- أب رائع يا كرم، يا حبيبي، أنا لم أكن أعرف أنك إيمان  
بهذا الشكل

- الآن هرفت. لا أريد أن أسقط هذه المعرفة. لعلها،  
بالنسبة إلي، أن تكون مثلاً في وجداني، لكنني صادق مع نفسي،  
الآن، يا بيروشكا، صرت عريضة أكثر، عريضة إلى درجة تعرض علي  
أن أكتب عن علاقتي بك، هذه العلاقة لن تضر أبداً  
- ولماذا لن تضر أبداً؟ أمت لا تحاول تخويي، أليس كذلك؟  
أنت لن تحصل علي. قل إني لن تحصل

- أمسي ذلك. ونكي امطري، والدث يسي بحسبه، وأنا، هل  
أكون جديراً بحبك، إذا عنت في جميع لم أسهم في بائه أنا أيضاً  
يجب أن أبقى بحسبي، ونكي متى؟ هذا ما أجهده الآن، لكنني،  
بكل تأكيد، سأفعل. ولأني سأفعل من علاقتي بك، في الصدق  
الذي أريده، لا يمكن أن يضر. أنا من أرمي بأن أخدع أحداً،  
وخاصه بيروشكا. سدع هذا اللغو، فهو سابق لأوانه. يريدني شيئاً  
من أموسمي؟

- أريد بالطبع، كما أريد حواء روماسكاً، كالدي كان، في تلك  
السيرة التي عرت منها لفرخ النائر، معلق الباب، مثل  
الأصواء المونة، شربة، شربة، دون أن نحسب حساباً لأحد.  
يعيش لحظتها كاملة.. مواهي؟

- تصرفي كما تشاءين

بصرمت. أغلقت الباب بالمصباح أغلقت الناعمة. أتعلمت

الأصواء اللونة، انتفت ما تريد من التوسقي وحامت إليه قائده  
«الآن أنا لك، أحملني ما تريد. خذ روحي. تسع مجدي، بكل  
جدي. كن لطيفاً أو عبيطاً، بل كن عبيطاً أرجوك. أريد أن  
أموت، أن أموت في هذه اللحظة، ودون أنف على شيء».

شرباً.. شرباً أكثر. قال في نفسه: «يا صديقي هيدجي» عندما  
مثلاً «أنت كنت صادقاً، الذي عندكم ليس عبد غيركم، عندكم  
الأسباء تحنو في الأرض الناس، السند، الطعام، والنساء، كل شيء، غيره في  
هذا الكون». «عندنا مثلاً» أشهد، أنني كنت عندكم ورأيت..  
أبرجكا كانت رائحة. كانت غائبة، كانت إسانية، وحتى بيروشكا،  
المتمردة، كان لبردها قسراً، أما قلبها فكان بالقوة. وبيروشكا  
هذه بيروشكا التي كانت تحب أن يمتزج بسبب الأفكار عذرت  
الأفكار ما يبسا. وفيراس اللعين، هذه البارمان الرائع أوصاني  
ألا أكون عصبياً. ولكن يا صديقي، كل سائكم، كل ماء الدب،  
تريد من الرجل أن يكون عصبياً. ماذا إذن تريد أن يحمل معي  
حصرياً لطفاً؟

خلعت بيروشكا مثرباً، خلعت بلورتها أيضاً، بأن الكتان،  
نانت رمانا الكتان، بأن الصدر، بوهج البياض المورّد، وقع  
الطر على جري النور، عند المديرت الباهتين، عند الدروني  
الأعني في الدري تشقى اللوب النسي، صرخ، من الصق، صوت  
عندى يشهوه جراه: «فتني» لم تكن، هي، تسع ما يصدر عن  
المنق من هتاف، كانت مصدر الحتاف، كانت الأداء، وكان هو  
النسي، وكانت تحمل ما يسمي، في تلك اللحظات التي يؤمض فيها  
شوق مجبور، ويوف كضائر البار في كل مرة، كل بقعة، كل صدم،  
في الجسد الفتى، الناضج، كخوخة صمراء تنادي كلوي!



رعبت أن عصي في إلقاء ما عليها من ثياب، قطعه قطعه  
أومها .. لا تعرضي كثرث الثياب دمة واحدة .. قال لها في راحة  
المجد اليهودي يوم جدار .. في مدخل هذا البيت توجد ستاره أن  
يرال الجدار، أن تسقط السارة، تصحى المصن كل المصن، يحدث  
املاء مدجن .. شبح يطاس البدوع في السح الجحيمي لا، ليس  
هذا ما يجب اعرضي، هذا الجاه، جرداً جرداً، دعني النظر  
بوقت لحاته المصوم، وهو يمدح، بسرعة برق، بين اليهودي وعرض  
الرؤية غيبي، أرجوك، عند التمر، الجبي، السنين، المص، منك  
الأررار، ربوبي الكشمي، وبعد ذلك، أنيحي له أن يسقط قنلاً  
فليلا، من الصدر إلى السرة، إلى الخوص، إلى المودين الكشمي  
السنين يرتكر عليها، إلى المصدين المديري، والساقين،  
والمدسين، وهكذا يسنى الآخر، الناظر، التأمل، كل مكان اللدة  
التي تصح في الإهاب المص لا امرأة في ربيع المص

قالت بروشكا وقد سقط الشريط الليلكي من أحد كعبها  
- ولكن ما نقوله شعر  
- كلا، هذا نثر يعار من الشعر .. مهده ..  
- إذن أنت مهده يا كرم؟  
- جداً يا بروشكا، يا عديري، يا بروشكا، يا فتاتي الموه  
- ماذا أفعل أيضاً؟  
- لا شيء أبني هكذا .. لا تتحركي، لو تحركي، استديري،  
أقبل، أديري، دعيني أنظر، أنتش، وأشرب، أشرب حتى الخطب  
ميك ويسحب إلى عمامة بضاء  
- أم يدي  
- شيء من هذا

- هكذا مكسب؟

- لا، ليس هكذا أكسب بصورة رديئة أكسب مصي حروفاً،  
لكي، الآن، أكتبك كلاماً .. اجلسي.

جلست رفعت القصيص من المصدين، هرعتها للنور قدمتها،  
على حافة الشراب، شرعني سمك أبيص، مكسب، يسبح عليه رداء  
متل، ماذا يقول المصدان الماريان للكأس العالم؟ كيف تبحر  
الرؤية على حلاصة البشرة اشربه ماء الورد؟ كيف يأتي الكأس  
ويستقر كرساً على سرير مودين من لحم؟

- لشرب يا بروشكا ..  
- ولكنك فكتر عن الشراب يا كرم .. أنت لجمي اليوم م تعد  
كرم الذي أهره ..  
- ماذا تغير في؟  
- عيبك  
- ماذا في عبي؟  
- لا أدري، شيء لامع، عجب .. له أسنان .. أسنان أحسها  
نشب في لحمي .. ضحك كرم ..  
- الذي يمشي اللحم هو الفرش  
- في عيبك فرش إدن  
- احدي إدن .. قد يأكلك  
- يودي لو يعل .. دعه يأكلني مرة وإلى الأبد عندك  
أسرح  
- تبة أنت؟  
- ليس التعب الذي تعرفه عادة .. في شوي يهرق أعصابي ..  
- تريدني أن يسي؟

- ليس سرياً. أحب أن أبني هكذا. هذا القصر في جدي،  
وبعد الرعدة من هي فعل الثرب ؟  
- وشيء آخر

- ما هو ؟

- لا اسم له

- لا اسم له ؟ هل هناك أشياء لا أسماء لها ؟

- كل الأشياء التي نحسها بحق تبقى بلا أسماء.. الأسماء، يا  
بيروشكا، تحدد الأشياء، يجعلها كيف أقول ؟ هل هناك اسم  
للعنطة الكبرى ؟  
- أية لعنطة ؟

- اللعنة التي يموت فيها دون أن يموت تلك التي تأتي بداهة  
وبهاية معاً ؟.

- كرم يا عزيزي أما لا أهم لا نكر سوربالاً فتلي،  
الأصل أن نعتني صعدك يكون النمبر مهموماً، يصح له اسم  
الدة. أليس كذلك ؟

بعض واحتواها فتكلموا في غنمها، في صحتها، في شبيها، غصم  
فتح منه كأنه يريد أن يأكل فيها المنحوق من أسان بصر، حيلة،  
سعة، غافت وأمدت فيها..

- أنت لك غرناً يا كرم يدعرك أمك لك قرناً

- كرم صار قرناً أنت صيرته قرناً

- كر لطفاً يدن أرجون

- لا تخاف، أحاول ملبد العرش، نكسي لا أبلغ ذلك أنا

لست إلا حيواناً ناطقاً مكباً

- أنت مجنون. لم أعرفك شهوانياً إلى هذه الدرجة. تخدي  
إلى الفرائش.. طالع.. لا أطيق الصبر أكثر.

مرعت قبصها، ساعدها في مرقع ما تنق. مع الخوان الذي  
أسحال إلى سرير.. استنقت عليه قطعة بشرية متبددة، مستعدة،  
مصححة، ومثلت تحت غابة من شعر خرموني، وقاجا مخض، وبهتان  
ناهران، متاعدان، كأنها على جماء، رغم القرب والمبت (المشترك).  
وحلمتان وردتان، مثل كورتني في تباشير الصبح

- تمالآ (صاحت) لم أعد أطيق الانتظار.. تخدي

- ألا تخافني ؟

- ليس قيل أن أموت. أما قلت إننا، الآن، ميموت.

- يا بيروشكا (قال لها وهو يدمعها) يا صغيري بوذي أن  
أكون لطيفاً ألا أجعلك ضالين هل تحسن مالم ؟ لا تصحني،  
نحس في النهار.. عصتي على شعبيك، تقبلي كفا يسعي، هل كل  
شيء على ما يرام ؟

- على ما يرام يا حبيبي.. على ما يرام تماماً.. أنت بارع

- أكنت خجرباً ؟

- أحبك ولو كنت خجرباً. أهكذا يفعل العجرب ؟ أهذا ما  
يسونه معروفة عجربة. ؟ اصط أكثر.. أريدك كلك. كلك لا  
نحب علي. لا نحب

- ولكنك تتسبي.. أهذا من أم.. ؟ احصي في أدبي ناومي في

أدبي. لا تصرخي، أرجوك.

ولم تستطع إلا أن تصرخ وتصاعدت، هل مدى دقاني،  
عمبات مشتركة، ومرقوس شديدة الصلاة شديد الطراوة، عو بحري  
مارة عصاة اللبس، وكامت حركة، حركة متواقة، ايدعية،  
وقالت بالمرسية (الآن)، وظلت تردد الكلمة، يرفقاع  
مصارع، متبرع، إلى أن تقطع، وتتمتر، وبانثر حروفاً مساعده، لم  
تلبث أن غفنت، وملاشت تدريجياً

كانت سيرة البيت موفقة، ضمت وجوهاً جديدة، أعطى السهرون أنفسهم للبهجة. حود نصر جبل منع الاحات من الأعاق ردّد صباه كلمة النمليدية «مُحكّم» وسجد حين أمام الحود، وهو يتصاعد، أعلى فأعلى، في تفسح من سمع صمم عثوان كان يصيح «ياه! ياه! ياه!»، ويطرح برأسه يماً ويساراً، والدمع يهجر في مأكيه حياً إلى تبرير وألبوش المحجب بالمعدية المرسية لأعجة «أنت عسري» يصيح «جبل والله يا أخي، جبل» وخانة بحرية، فتساقط لجزء الترفي، خلعت حدها وجلت أرضاً بعد ذلك عوا «يا بيات اسكندرية» وضاعها ضياء بالتركية، ووقف وحنن «اسطبول؟ آمان جاتم، اسطبول مُحكّم، بالله مُحكّم» وعندما حرف بصير مطوعة رفعت «اهوام» لسامي الشوا، رفعت فتاة عربية، وأمرل جورج مصفا المبيع الأثرية وغدتها لها وعلا الصميق، وحنّ العموم

في خدام السيرة رفعت يروشكا العودة إلى الكلية. ظلت إنها مجارة أفسد أن هذه آخر ليلة نبيت فيها خارج الجامعة رصع كرم لثولاتها تحرر، في نفسه، أن تكون هذه آخر سيرة محضرها أسمى الآن أكثر حرصاً عليها بعد عهد عبيد الكلية ألا يشعلها من

الدراسة. أن يمحليها على الانتظام، ويوقف انسياها وراء نحو قد تدفع عنه عاماً دراسياً كاملاً راد في ثقته للواقع أنه عدداً صاحباً في الماشرة قائماً، سيصطحبها معه إلى قرية «كود» على الدايوب، قلعة لدموة ألبوش..

كانت يروشكا، في دروة ساداتها. لبيت، الليلة، دور سيدة البيت يلتقي. كان هادي، طوال الوقت، يمس في أذن كرم - أنظر كم هي أليمة - لن تستطيع الانفصال عن هذه المحبوبة وكان هجج، ابوكل بالمطبخ، وصبط النظام، يكثر عن أبيه الكبيرة وهو يصحك - أنت، يا يروشكا، مثل رائع للفوضى.. لولا كرم شطينا لسك من اللانحة وجاءت إلى كرم عجنّة:

- هجج يهذي  
- برج منك  
- أنت راحياً من صلي؟  
- كل الرضا. فقط لا تستهلكني «الجن» في صبح أنها طبق لعي، كما فعلت في الماضي.  
- ولكن هادي يقول أطبقي طاخرة..  
- هو كذلك.. ولكن لا تجهدي نفسك.. دعي الأخريات يماونك

- لا أحتاج إلى معاونة.. ليس للأخريات علاقة بالمطبخ.  
- وما الضرر، يا عزيزي؟  
- أنت لا تعرف.. المصبة، إذا دخلت المطبخ، هدّت نفسها من أهل البيت.

- همت أنت نحاس  
- لا أخاف. ولكن لا أريد. لنحافظ على صراحة مع الجميع..  
هذا أفضل. أليس كذلك؟  
- هو كذلك. أنا لن أكون صديقاً لأحد سواك.. أنت صديقي  
الوحيدة. اطمني

- ولن نعطي موعداً لأي واحدة من الموجودات؟  
- لن أعطي مواعيد بعد اليوم  
وقال هادي، الذي كان يرتاح ويضحك.  
- هذه الجسونة ستلحق بك إلى جحر ولى الواقع..

- سأضع حداً لجسوها، في الوقت المناسب..  
- أشك في أنك تستطيع..  
- أنت لا تعرف صادي، حين أعثرهم أسراً..  
- ولماذا نعتزم من عند الأمر؟ بادرأ ما رأيت امرأة بهذا  
الإخلاص.

قال كرم وهو يبر برأسه  
- هذا ما ينبغي ليها لم تكن غلصه، أوليسها لا معنى غلصه  
يا هادي..

هذه الكلمات الصادقة في أسعها، ظلت تفيض في دانه الليل  
كله وبعداً، في الصباح، أفاق وهي نائمة، وادعه، اسماها من  
جديد. «لماذا يربكنا الآخرون بإخلاصهم الذي لا نطلبه؟» كان  
النهدن وهي مستلقية، قد وجدتاً مظهرها من التبعيض الداخلي،  
بجائبة الرقيقتين، والدانتلات ذات التناغم تستريح على الصدر  
والمخضبي، كأنها لتمدبه، أكثر، لتمبر فيه رعة لا ترتوي، لكنها،

في بعض الإخلاص، حيث شعوراً أسيفاً، فهي رغبة محدودة بمدى  
الحسم، مسورة بالتهوة لا بالغلب العظيم  
أطروا جيداً، كانا جانبيين أخرج من الغرابة بلورة حريرية  
مشعولة بالألوان، وقال لها «هذه هدبة من النصف» تنفسها  
شاكرة. لكن سؤالاً داخلياً أزعجها: «لماذا يصعب لي حربة من  
محبة؟ أليس النصف لنا نحن الاثنين؟ كلها شعرت أن الهدبة بيضا  
النصف، وأعادها بحركة، لفظة، زيادة، كأنها يريد أن يذكرني  
بالحمية، الخفية التي تشعرني بأنه لن يكون لي، أو لن يكون لي ذي  
الأند؟»

جاء ألبوش بيارته الصغيرة. قال إن عليهم أن ينصوا تباراً  
كاملأ في المربة وأن هناك بعض الصيوف أيضاً، وأن الملا، أو  
الأرض الخاصة، التي يملكها والد زوجته، تقع على الدانوب  
مباشرة، وثمة بيت، وكوخ، وبستان، ويمكن أن يسبحوا في  
الدانوب، بل يجب أن يسبحوا، ولهذا يستحسن أخذ ثياب للسباحة.  
لكن هذه التاب لم تكن مسورة، ولا سبيل إلى شرائها واليوم  
أحد، فقال كرم:

- من جوتي يكسني أن أكون على مقربة من النهر هذه المرة.  
قال ألبوش:  
- بل يمكن أن نكون على سطحه. لديها قارب صغير. هل  
نحسن التحديق؟  
قالت بيروشكا:  
- أنا سأكون ضيقة.. لكنني أخاف التيار. هل هو سريع جداً،  
هناك؟  
- إذا مرنا النهر، ومصيبا مع النار، يعمل جودابست في ساحة

واحدة. الصعوبة تكمن في التصعيد، في الذهاب ضد التيار.

وقال كرم

- سرى كل شيء على الطنجة. لنمض

احترقت السيارة بهم قلب بودابست انهمت إلى الصواحي،  
مرت بأحواض بهاء الفس خرجت إلى القلاء.. كان اليوم  
صحو الشمس تلاحقهم دسه، والخمره، عن الجابس، والنبوت  
الريجه بفرميدها الأحمر، والباراب، والدراجات النارية كانت  
الدية يخرج من جلدتها، والباس يهيمون، من جهات غلظه، نحو  
الطنجة، والدانوب، من بين الطريق، يميل في مجراه المرمض،  
والس، صاعدة هابطة والسبحون، على الصفا، وليس تمرأوا،  
معرضين جلودهم للشمس، والاستراحات، على الجانبين - ومن  
كرم نبي أن تحف السار، سرعها، أو أن يهرجلوا ويهروا  
لكن ألبوش صحك - دح الروميسكية يا أحي هك  
بسطروا، ويسني ألا شاخر.

كانت قطعة الأرض الخاصة التي يملكونها مستطيلة، ضيقة  
ومسطحة. وحين دخل كرم من بابا المثل على الطريق، حسب  
أيا لا تزيد من عشرات من الأمتار طولا لكن الأرض كانت،  
بخلاف ما يبدو على واجهتها، طويلة جداً، تنهي على صفة  
الدوبوا، في منحدر ذي درج حجري، ومن حوافه الأشجار  
المنيرة وكانت ثم، في مواجهة هذه لمكة الخاصة، أرض واسعة،  
مرروعة بالبندورة كان الموسم في أوجه، وأقراص البندورة  
الحمره تتدلى، وتراعى على الأرض، دون أن يقطعها أحد قال  
البوش - هذه الأرض ستظل مشاعاً ليس من أيدي عامله لبطاها.

قال كرم

- كيف هذا؟ أرض مرروعة وليس من يحميها؟

- لا تعجب. مئات الأنوف من أشجار الكرو، والبندق، تظل

دون قطاف.. سباحة لي يريد.. هذا بسبب نقص اليد العاملة

لم يصدق كرم وجد الكلام غريباً خضار، ثار، وليس من  
يحي؟ كيف هذا؟ لكنه، عندما دخل المرعة الصميرة، ووجد،  
عند بوابتها، شجرة ضخمة من التوت الأسود، والتمر يساقط على  
الأرض، عشي.

قال ألبوش

- هذا التمر يمتونه، بالمجرية، أهر.

تقدم أيضاً كان الشمس، الخوخ، الدراق، بلأ الأرض، تحت  
الأشجار. وقال ألبوش:

- عندما أهيأ، ليس من يقطع.

- لكنكم تزرعون.. من يروع يهصد..

- نحن لا نستطيع أن نجعل كل هذا التمر.. وهذه مشكلة..

رغب العم، والد الروجة، بكرم وبيروشكا كان في الداخل،  
أمام باحة البيت، صيفه آخرون، وكانت الباحة تطل على  
الدانوب وكانت ثم، في الباحة، طاولة، وعليها رجاجات البند،  
السيرة، السانكا ومن عادة المجرين، أن يملأوا صيغهم بالخمر  
وبالزهر وكانت في الحديقة، أنواع من الورود، ويذكر هديجي  
Chis Nona For Example (عندنا مثلاً) وقال بيروشكا

- هل أنت سعيد يا كرم؟

- جداً يا بيروشكا.. ما كنت أصدق.. ما رأيك في أن عمي

إلى الدانوب؟

- أنا أفضل أن ندخل هذا الكوخ ، وهذا نكتشف ما فيه  
كان في الكوخ سرير - طاولة ، مرآة جدارية صغيرة .. أغلقت

الباب

- قتلني !

- ولكنهم هناك ، في الباحة  
- أمري إنيهم يهدرون أب صديقتك ومن حتى أن أحمل  
بك للناس حريتهم ، حتى في المدينة ، كيف إذن في الريف ؟  
فبأهلها مجلأ ، عائلتُ كان الرجل الشرقي في ثيابه صحكت  
بيروشكا ، لو لم الليبة هنا ، لأعطونا هذا الكوخ ما رأيك في أن  
تنام ؟

قال كرم

- لا أدري . هذا ما نقرره في ما بعد .. لنخرج الآن .. أحسن  
هيونا لمحدثي في من الجدران ..

خرجنا لم نكن نه عرس كانت الأشجار ، المحصرة ، وكومة  
كبيرة من لأعشب والأحطاب كان الكوخ مسحلاً ، وكاننا  
قادرين ، على لمكوث فيه ، لكن كرم كان مريضاً من الجو ، ووجد  
اليوش يتحدث إلى صبيوه ، ولم يلتفت حتى عبيها ، فأخبطنا ،  
وحاول ، بغير شعور ، أن يهدد الريبة من نومه ، فقال :  
- ما أحل هذا الكوخ المصانع بين الأشجار

قال اليوش

- يمكن أن تخرجنا فيه بعد العشاء ..

- وهل يمكن هذا ؟

وصحك اليوش .

- لماذا لا يا أخي ؟ الناس في البحر ، لا يظفرون من ثقب  
الباب .. لا يراقب بعضهم بعضاً - تصرف بحرية ، تريد لباساً  
لباحه ؟ ، هنا إلى الدانوب

كانت هناك ، على الساحل ، شجرة كبيرة قديمة ، جذورها في  
الصفا ، وغصونها تمتد فوق الماء .. وكانت فيها أرجوحة ، وكان  
الناس يسيرون حفاة ، على حافة الماء ، فخلع حذاءه ، وضعت حذائه  
بيروشكا ، وسارا ، بينا توقف اليوش ، يظفر دوره لينأرجح  
قلت بيروشكا ، في نبرة غي :

- لبتك ، يا كرم ، كنت مهرباً

قال كرم :

- لن أقول لا ، ولن أقول نعم أيضاً . لست أسعاً ، ولا هارباً من  
المكان أو الرمان

- أما أنا فأسفة . لبتك نعم في البحر وينتهي الأمر . تنتم لأهل  
على الأقل

- كم كان هذا يودّي يا بيروشكا . لكني لن أعمل هناك شيء  
يظفري

- وطنك ؟

- ونه آخر .. لا أدري ما هو . لكنه يظفري .. ومثقلب  
حبابي ، صعدت ، إلى درجة ضخمة

- نصير شخصية كبيرة ؟ مسؤولاً كبيراً ؟

- لا أفكر بهذا . ما أرهده شيء آخر ، بعيداً عن هذه  
النصوّرات أن أقول ما أريد أن أكتب أن أصبح كاتباً ربما  
هذا

- وماذا يتصك هذا ؟

- اجنوب.. أن أعطي عن عظمي قليلاً .

- ولكنك مجنون على نحو ما.. أعني لست ككثير الناس..

تصرفك وكأنك تبحث عن شيء .

- لكني لا أعرف ما هو هذا الشيء .

- أليس هذا جنوناً ؟

- قد يكون كذلك ، لكنه ، في المرة جسون عزم .

- تر . يضر حدث ، في بلدك ؟

- لنذع هذا يا يروشكا.. في هذه اللحظة ، وهذا الدانوب .

ودلك الناس ، والكوخ والسرد في الكوخ ماذا يحتاج الإنسان

أكثر ؟

- أنت رومانتيكي لعني يا كرم..

- كنت أظن أنني عكس ذلك.. سميت نفسي واقفياً .

- تصرفك يقترب من البوهيمية

- هذه قشرة خارجية من الداخل أناألم أعيش واقع المربة

بأعني ما تكون المربة.. أناألم وحيداً ، حاسماً

حدثها ، بعد ذلك ، عن الإيطالي الذي لم يبق له من عمل سوى

تدبير أمكة الظنه ، ومن نلسون الذي يقرأ الماركسية في المربة

صباحاً ، ويقرأها وهو يتشمس شتاءً ، ومن الناس الذين أصابتهم

المربة ، والذين ، في المربة ، لم يمت أحلاقهم ، وقال لها : لا أريد

لنمسي هذا المصير . يجب أن ينتهي هذا القرف كله..

حين عاداء ظهراً ، إلى المروعة ، اقترح كرم أن يأكلوا على

الطريقة المنحوية م بهم الماحضون ماذا يقصد قال لهم : ألوش

يريد أن نأكل لمأ مشوياً في الفرن أنا سأطعمكم لمأ مشوياً خارج

الفرن ، وكل ما أحسنه بعض الأسماك على لذيذكم أسماك ها ؟

دقال الجيوش ، لدينا في المروعة أسلاك ، تستطيع أن تصنع منها  
أسيخاً.. إذا كان عدا هو المطلوب .

صموا الأسماك . أتى كرم باللحم وقطعه إلى شقف صغيرة

أشعل ناراً ، ناراً كبيرة ، من حطب الشمس.. شك اللحم بالأسماك

أتى برجاجات البيرة والسيد قال : سأكل حول النار يشوي

اللحم ، وحين يصبح منك السبخ من طرفه ، وبمضم اللحم منه ،

وتشرب من الرجاجات ، هذا ما يتوهم الطريقة المنحوية .

صاحت جثة الجيوش :

- يورش ماريو (يا يسوع ابن مريم ، ورسيت الصليب على وجهها

معود إلى المنجبة ؟

وهنت الصبايا

- ممود ، ممود.. ملأ الشوكة والسكين .

قالت يروشكا

- ها أنت مجنون يا كرم.. هذا العداء لا يقصه الجسون..

وقال الجيوش هامساً

- وثلكك ، بالأهيك المربة هذه ، ثمن هؤلاء الفتيات كل

هذا بملسه من الرق ، لأقصي ؟ اللمة على أوروبا لا بد أن أسامر

إلى هناك ، أنا أيضاً ، وسأعود ساحراً بطيعة هدية

عج العداء بأكثر مما توقع كرم كانوا يرون ، في الأفلام ، كيف

تشوي الطريقة على السعد كان ذلك في العابات ها الناس

بموم مقام القصة ، وهذا النهر ، والنساء.. والخمور.. كانوا يرفعون

رجاجات البيرة ويسارون . من يهزها عن صه فارعة وبالأوراق

المصراء كانوا يسكون السبخ الساخن ، ويسهون اللحم كان

الشهد طريفاً ، ورجعوا في التقاط الصور . تهمجوا.. داروا حول

النار، وحتى العجور التي طادت بسورها منقمة عفت مثل  
الاحرى، وكانت سرورة، لكنها لم تفتح، ولا مرة، في إمراع  
رجاحة بيرو دعة واحدة وهذا ما أصمت لأجله

بعد الداء قالت بيروشكا

- لنذهب إلى ذلك الكوخ - إني على ما يرام.. على ما يرام  
تماماً.. أريد أن أكون معك، هي ذلك السرير..

قالتا ومضت كانت رغبة. ولم يجرؤ كرم على التصاق بها. كان  
ذلك فوق طامه على تحدي الشاعر من حوله لكن البوش الذي  
كان يصحك، مشياً، صاح به

- ماذا تنتظر، ألا تريد أن تنزوح؟

وقال جوه وقد تمتع السكر.

- اذهب واسخر على صدر عاهرتك الصميرة.. لقد سيمك

قوله الآخرون - ريك كرم لكن البداء التي أدخلت السرور  
من الدوب، دبت الم إلى الاسرسل في الإنداع قال وهو يمسح  
رجله

- إنها الآن تستلقي على ظهرها.. لا تدعها تنظر طويلاً،

سيتمب بعدها

وقالت روجة العجور:

- هذا كثير يا أشتان. لا يليق

- ما هو الذي لا يليق؟ إني أتكلم لغة عصرية تماماً.. هيا.

سأجملك ترفعي سافك أنت أيضاً

غطت العجور عيناها بيدها، بينما صاح صوت

- لكك عجور أيا الأب اشتان عحور حد

- ليس كما تصورون.. ثم إني أخذت حبوباً هذا الصباح،  
حبوباً مجرئة.

صفتي المحاصرون.. كان الصحك عاماً الآن، اندفع العجور  
بأعية فلقته الآخرون. كانت أغنية جاعية، صاخبة، مرحة،  
وتدعج كرم، من كثرة الأعالي الجماعية في البحر، ومن شعبيتها،  
واندفاع الجريين في عائته كلها طاب لهم ذلك، وراح العجور، في  
اندفاعه اليكر والمرح، يلقي بحص الأشعار، كأبه أحد أبطال  
شكسبير، وختم حملته النحسية بخلع قميصه، وراح يبرو ال  
التورث، يحدو على الدرج حتى بلغ شاطئه الدانوب وألقى بنفسه  
في الماء.

لم يحاول أي من الموجودين صمعه، أو إيقافه. كانت روجته  
تصحك، وكذلك البوش. قال لكرم:

- شب، يا أخي، كم هو قوي الأب اشتان. الآن سيقرد في  
الدانوب، سيصحو من سكرته، وهذا أفضل علاج له إنه يعمل في  
مرورته الخاصة في عطلة نهاية الأسبوع، ويهبط باكراً، في البحر،  
مقطع الدانوب صباحاً، وقد احسنا. هذا العام، بعيد ميلاده  
السبعين، ورفض حتى ساعة متأخرة من الليل، رقصاً عتيقاً،  
متواصلاً، كأبه في الخمسين. هذا نموذج لحيل من الهريين، كافي  
طويلاً، واسطاع التلازم مع النظام الجديد، بل كان من بهاته.

قال كرم:

- إني سعيد يا البوش بهذه النزعة، سعيد بأكثر مما تغبر  
الكلمات القوية، الفرحة الخاصة، الدانوب، وهذا الداء من  
الطريقه المموسة، والماء يحيل إني أتي أنهم الروح الهريه



إني أقرب من هم الشعب المجري، وهذا ما أردته.. أن يمش  
المرء، ليس كمن يسبح - يودّي أن أقصى عطلة نهاية الأسبوع في  
الريسم، في رحلات على الدانوب، في الذهاب إلى بحيرة  
«البلاون»، في معاينة الناس، في التعرف إليهم، وعلى هذا النحو  
صط، أستطيع الفون إني عشت في المجر وعرفتني

- إذن ستخرج من المنصف؟

- اللعة على المنصف.. إني عشت، عشت، عشت، عشت، عشت في  
الصين، وم أعرف الشعب الصيني، لم أدخل بياً صيباً عما اختلف  
الحال، لكن انظر.. اني لم أعرف، حتى الآن سوى بعض النساء  
- هذا جيد، في البدء، كي تتعلم اللغة المجرية - اللغة لا يمكن  
تعلمها من المدرسة أو الجامعة وحدها... من المرأة أيضاً..  
- لكك تعرف، من رواياتي على الأقل، أن عليّ واجباً..  
- أعرف ذلك وأقدره - أن أبدأ كيف أقول؟ كتب أهم ما  
أعني إليك بحر مفرح - سميت من جمع الوثائق اللازمة لوضع  
كتاب عن إسرائيل - سأشرح كل شيء، يجب أن يطلع القارئ  
المجري على الحقيقة، أن بهم عدالة القصة المروية..

- أه أيها المبرر البوش.. (هتف كرم) إليك تقدم ماضية طيبة  
بعضنا بكتابك هذا.. إني مستعد لمساعدتك، لديّ بعض  
امر جمع، وإذا خطر بك أن تستمر من شيء - تعال إليّ في كل  
وقت.. لا تردد أبداً..  
- سأفعل يا أخي.. أعرف أن بعضهم سيحاروني لأجل هذا  
الكتاب، لكني لا أبالي.. أنا عضو في النسبة  
- هذا جيد، جيد جداً.. إني أشعر، أمام قرارك هذا،  
بتصيري - بتصيري الشديد -

قال البوش

- الشهور التي أمضيتها في المجر، كانت مفيدة - لم يكن ممكناً،  
ولا ضرورياً، أن تستمر لأجل الكتابة - كان يجب أن تعرف المجر  
أولاً  
- هذا ما كان يجب - فكيف..

في هذه اللحظة خرجت بيروشكا من الكوخ كانت قد نامت  
ملياً، لم يحمق قد كانت نصوص إبيه، لكنها نامت عملاً، عطش، ردت  
شعرها الذي ذرته الريح على وجهها - نادت كرم إليها، كانت غصة  
صوتها ما يزال وطبه بذلك الدليل الشبي الذي دخلت به الكوخ  
لقد خابت أمستها، ما أشدّ عجيبة المرأة، حين تهم بوليمة جسدية،  
ويصحب حلمها إلى لا شيء؟ في هذه حين تحتاج إلى قوة إرادة كي  
تغير شعورها الجنسي الموهن، كي تحده، أو ترفضه على الخمر،  
كي تلقي به إلى اللانحور، ويظهر، من جديد، أنها غير مبالية، وأن  
قادرة على أن تناسك..

طلبت ماء بارداً - افترج البوش مسحناً من القهوة - سألت عن  
المجور، وما إذا كان قد نام، قال كرم - بصوري يا بيروشكا قطع  
الدانوب سياحة وهو على تلك الحال من السكر، طي أن لاء  
البارد نعمة - عطش، في البدء، عدة مرات، ابتعد رأسه، تبحرت  
الخمر من صاعده - يا للجسم الصلب الطواع! هذه ميزة جيدة  
الدانوب. هتان أخضر، يافع الخضرة، وضحة وازقة الظلال،  
وعسل في الأرض، حتى يهرق الجسم، ثم سياحة في الدانوب، ويوم  
صيفي - إن جسداً يتشكل من رياضة متتامة الحركات كهذه، حرق  
به أن يقاوم - لقد قاوم المجور شربه كثير، وكهوت غطس في

الماء، وبعد أن قطع الدانوب جثة ودهوباً، خرج وعام ببعض  
الألعاب السويدية، ثم نام

شربوا القهوة كانت لديهم جداً وكانت الشمس، قد تملكت  
برؤوس الأشجار، من خلال أشجار الذهب العذبة (به الأصل  
وقالت بيروشكا

- ما رأيك، يا كرم، نعودنا إلى بودابست بالباخرة

- وهل يمكن هذا؟ ما رأيك يا عزيزي ألبوش؟

- يمكن، شرطه أن نعطى الدانوب إلى الضفة الأخرى، حيث  
مرسى السفن النهرية مقابلنا تماماً..

- ونكسب لن نطلع الدانوب سباحة .

قال ألبوش:

- بعضهم يفعل هذا.. هنا لا حرج من ركوب السفن شياط  
السباحة - لكني سأمر لكما قارباً صغيراً نعطى به الدانوب إلى  
الضفة الأخرى انتظراني - لدي قارب هـ، سيب لحائي، وهو  
شاب قوي، وبنده قارب، ويمكن أن يجار بكما الدانوب بسهولة

جما حوائجهم ودعا بعض السفن تدوّقوا معها «الوجبة  
المسوية» كان القارب ينظر عند هابة السلم الحجري، وصعدا  
مرس فيه وبعد بها، لوجا بالأيدي لألبوش الواقف على الضفة،  
فلوَّح لها بدورها، وأساب القارب بفعل حريات مجددين قوين للسف  
الذي تطوَّع بحملها إلى الضفة الأخرى

كانت الشمس، الآن، قد توارت، ذهبت إلى موعدها، في طرف  
الأمق البعيد، حيث يتد الدانوب الأرقق، وكانت حمة الركاب  
الصغيرة، الجميلة، اللأى، بل المردحة بالركاب، تتحدر مع النصار

ساحل المدينة، وكان كرم وبيروشكا يقفان على حاجر السفينة كان  
صامتين، معصين بشمور قدسي من النهاية والإعجاب، وكان الماء  
يمطعن على جوانب السفينة بتؤدة، والريح معشه، والغروب بي،  
ووضع كرم كفه على يد بيروشكا فوق الحاجر، وقال لي بشوة  
- بيروشكا، يا عزيزتي، ما أروع هذه الرحلة

وصل عيدي حائداً من الصبح كان يعرف أن كرم في بودابست، رغم أن هذا لم يكتب إليه أيها رسالة. ودأت ماء، عند المروب، قرح الباب عليه، كان كرم، في لحظة «الانقطاع» هذه، كما كان يسي، لا يغطي أيه موعد كان حرباً أن يشهد تلك الدقائق وحيداً، مكثاً على حاجر البادية، مائلاً مريح من شمس وحار، بدأ ذهبية تلمع بصبها من الدري، في المصافي، يرتفع شطه، جاعه، سداخله، يودع بعضها بعضاً قبل المساء، واهدوه مهيب، والنظر يركز، في عمة شديدة الحسية، كل انظر المروح، للعدائين الخلبه، دأت الخصرة الموربه، وفي هذه الحديقه أو تلك، ملاحب أطفال خاليه، ومساعد عارعة، يصر في الصباح وبعد الظهر، من قبل منتصبين بالنفس أو مقبلين من المجائر

كانت المرأة، بالنسبة لكرم، طبيعة، وكانت الطبيعة امرأة وكان يسي، في شعور مصر وملحاح، أن يأكل المرأة والطبيعة ويستريح يستنصر، حبال كل منها، برغبة نمة، ويتعب من وجبه النهمة، ويمسح عيبه، وهو أمام الأشجار الخالية، وأسطحة القمر يد الحبر، مستعيداً صورة قرية ماء، في مكان ما من جبل

ليان، وناقوس دير الراهبات، ونشيداً ابتهاجياً «اسجدي يا صبي ضد واغى لطيب، واستريح من صاء المكر عالمكر رحيب»، وكان في وحدته هذه، يلود بالصمت، مستمتعاً بوقته، مستجماً على طريقته، والروح المنمنقة قرفاً على السور لودع وتغرب منه في بحر لا يسوره حدى.

هذا التوحد أصراً به قرح الجرس. أحدث نوعاً من عمة في متعبد. عادت الروح الهائنة إلى قصصها الصدري عربت الرؤى، اسعد، في وصف استرجاع، ودقه، منحول عن البعده وذهب إلى الباب يفتح

- سرفوس! (مرحباً) صاح عيدي الوائف على الباب.

وحلف كرم:

- مرحوس أخرجها مخطوطة، حارة، على طريقة المجرى. أصاف وهو يمانه: «هوج فوج» (كيف الحال)؟

قال عيدي وفي عيبه الرجاجيتين الرقاوس الناع فرح ميس:

- يا عيدي.. يا كرم.. ها أنا أجذك أخيراً.. وأين؟ في بودابست. لا أصدق!

قال كرم وهو في غيرة فرحة عارمة:

- نعم في بودابست.. تأكل «عدينا مثلاً» اعترف.. عديكم أشياء رائحة أكثر من كل ما رأيت

- والأروع أنك تتكلم المربة متى تلمتها؟ كيف؟ وماذا تعمل تكلم كثيراً

سأتكلم ولكن ليس قبل أن تشرب كأسين من «الناوتاي»

- «ناوتاي»؟ غير محقول! وهذا اسحب حذني حس

معنى هو الذي أعطاني عنوانك قالا لي أشياء كثيرة صوراك بصورة أمير من الشرق!

- يائنان.. كل من حولي يبالغ.. ما أنت تراني وحيداً..

- لكه ليس وقت الفراش بعد.. جئت باكراً كيلا أزعجك..

اسمع لي، اسمع لي.. دعني ألقى نظرة على النصف...

وحين صبت الماوتاي صاح

- كأسك.. إني أشرب بحب صديقي العربي..

أضاف صباة

- اسمع يا كرم.. أنت على موعد الليلة؟

- ليس قاماً.. لماذا؟

- ستخرج معاً إلى إحدى حانات النيبد.. هناك، وسط

الرائحة الركية، والدخان، وعادج الناريين، وترثيم، يحدث

هناك سجد بودايت.. هل ذهبت إلى إحدى هذه الحانات..؟

- ليس بعد..

- ماذا رأيت من بودايت إذن؟

- بعض الأشياء.. بودايت كرهرة اللوتس المصيبة.. تفتح

على سهل..

- أليس كثير من هذا الماوتاي؟

- ليس كثيراً.. إنه لا يقدر إلا لصديق عزيز جداً، وبكيفية

محدودة.. لدي سيد ميرد

- هاته.. وتعال حدثني.. لكم أنا مشوق لسمك

حدثك كرم عن كل شيء وبمفصل كانت ابتسامة مسية قد

غمزت وجهه هيدجي وهو يرى رجاجة صبيد مبردة أمامه.. شرب

كظلم.. حرة وردية شاعت في وجهه الأبيض، عشاء الررفاوان وقد

وقد شيء.. ما دأجلها لسانه انطلق في كلام مواهل عبث عن سعادت  
جده للكلمات.. لشد ما أنا مضطرب أنك وجدت الحجر كما وصفتها  
لك..

قال كرم بالفرنسية مازحاً

- صدينا مثلاً: *vous deux*

يا صديقي! يا صديقي! ردّد هيدجي.. لم أقل هذه الكلمة  
لسوائك بعد همرك.. ولي تراني أموطاً؟ لذلك الروماني الجاهل،  
تصور! سألي كم عدد سكان بودايت؟ قلت: مليوني.. تعرف ما  
قال؟.. عجب كنت أصعب كيوخارست.. تأمل.. يشارن بين  
عاصمة عربية، وبين قرية ضخمة صائفة في أوروبا.. إنه لا يطابق.  
هذا الروماني الأحق لا يطابق.. لقد أدركت له ظهري بعد هذه  
المحادثة..

قال كرم:

- أنا لا أعرف يوخارست

- ومن الحجر أنك لا تعرفها.. من يمش في الحجر ير رومانين  
مناطقة.. أنا ألتحدث الآن عن واقع، عن واقع صرت تعرفه..

لنشرب إذن، إني على مزاج طيب.. وقال بالفرنسية *Je me sens*  
assez bien، وضرب يمينه، ثم أفرغ كأسه وملأها مرة أخرى

كان اعتداده بالحجر قد امتنكه قاماً الآن.. كبرت الحجر، كبرت،  
صاروا ربح الذهب، نصفها، كلها..

ولما فرغت رجاجة النيبد طلب رجاجة أخرى، وقال لكرم  
«لن أجعلك محرجاً بوجودي.. إذا جاءتك ضيعة ما، فأنا مستعد  
للاستحاب أهم القمية كنت شاباً.. كنت شاباً حيلاً أيضاً.. أنت

برى ولكن دعبد مثلاً، عمواً إلى المجمع بهذه الكلمة في بوديست يمكنك أن تمضي وقتاً طويلاً جداً طيباً إلى أبعد حد تستطيع أن تستمتع أنت مثلاً، عريب لكك استمتعت عير أن هذا المنحف (قالها وغمر بعينه) هذا المنحف معبدة أنت، يا كرم، خدعتي.. أقوطا صريحة.. لم تطلعي، في بكبي، على كل مقتنياتك من المنحف. أنت كنت هناك قبلي.. كنت في الحرم الطيب من هارن المنحف.. الآن تغير كل شيء.. الدولة وصلت بدعا هي كل شيء.. جئت هارن المنحف في غرس واحد.. لكك قلباً تمر في فيه على لوحة جميلة. كل عروضاته من المصنوعات الحديثة، كلها عن الكومونات إلى البضاب بأه لوحة من الكومونة الشعبية.. ألم يعد في المصن ما يرمع عروها؟

قال كرم

- وأنت أيضاً، يا صديقي، لديك تحف جميلة.. بودي أن أروك لأرى متحفك  
- ضروري يوماً. سننق على ذلك اليوم، أميكو بشوي إليك. لكن لا تتوقع أن ترى أشياء كثيرة.. هناك أشياء صير معروضة.. هذه ليست للمرض.. أنت تفهم. سأبيع بعض المنحف، ولكن لا أريد أن يمتشي أي أي عاهرة.

قال كرم

- أنا بعت ثياباً من تحمي.. بعتها بأسعار عالية. في فيبا.. وبالدولار

- انظرا صاح هيدجي وهو يجر من تهر.. أنت تستطيع أن تفس ذلك أنت أجبي.. يمكنك أن تسافر وأن تأخذ تحفك

وميعها حيث تريد، وبالسر الذي تريد. أنا أنا؟ اللغة. لن أبيع تحمي بالمورث. أنت أهلك إلى هذا الحد.

- لكسي أروح يا هيدجي.

- أنت لا تروح.. حتى ولو كنت تروح فأنت تترك إمكانية العمل، هذه التي أنا محروم منها. لا تروني على.. أهرق أن مصير تحمي إلى النار أنا لا أستطيع أن أقيم معروفاً في بيبي. ولا أن أسفيل صوباً، أليكو ستارص برص دخول أله امرأة النسبة على الزواج. لقد كانت زوجي عبناً علي في بكبي، وهي عبء علي في بوديست، مسكبة يا تحمي. يا تحمي العريضة، أله قادر على الشتر بك، أو على بيعك أله لند. سوف أتاأم اصمح في بكاس أخرى. أريد أن أسكر، أن أنسى..

- ولكك كنت طيباً منذ قليل..

- نعم، نعم.. كنت طيباً. أحاول أن أكون طيباً.. ألا أنكر بحمي العريضة ومصيرها. لكك أنت، لانت جرحاً في صدري

- في هذه الحال أعتذر عما أثرت من شعوبك.. ما كنت أهي. ما خطر لي أنك بحاجة ماسة إلى تمها. ثم لماذا، لا سيعها بالمورث؟ شعوب عليك بهالع طائلة.

- قلت لك لن أكون أبلة إلى هذا الحد.. ثم ليست مسألة بيعها هي التي تعسبي. مجرد بكيري أمي ساموت وأتركي. أله الذي كنت خيراً في المصن، وأنا من مقتنف حتى أشرفها. ثم فجاء، ذات يوم، أتركها وأمضي. ولن؟ بروجي؟ لأولادي؟ أنا صاحبها أنا، أنا.  
- ولكننا سموت جماً، وسنترك كل شيء.

- وهنا التراجيديا - لذلك، اسبح لي أن أشرب أيضاً.. القصة  
على الموت.. ابن الساهرة هذا.

حين أتى على رجاجة التبيد الثانية كان قد سكر تماماً.. حياه  
الزرقاوان تفت عن قلوب بالغ ضحكه انقلب إلى هيسرها بشرته  
الحمره وشث بعداه دفين - وحيى وقت، حذق في ما حوله من  
نحب، وقال بصوت نضحه شكاة ونصف بكاء:

- أنت تلمت بأشباتك جيداً.. قالوا لي كل شيء.. أخبرني  
فهي

- لكنني لست سعيداً كما تظن - هذا للتحف تيب ببعض  
الإزعاجات أيضاً.

- لا أصدق.. بكفي أن تنظر إلى هذه التحف..  
- ولكن في الدنيا لمأ أخرى: الطبيعة، المرأة، الإنسان..  
- أنا أحدثك عن الملكية.. أن تلك الأشياء بملك - أن  
تصبح حر التصرف بها.. أنهم يا كرم؟

- أنهم.. ولكن أنت، وبعد هذا الزمن.. ما الذي يمتصك؟  
لم يحب هيدجي.. هذا الحق واضحاً على قسامة. ربما غفل شيئاً  
كان يرد الاحتفاظ به معه - لكنه لم يرتكب خطأ فاحشاً  
التحف ملكية شخصه أيضاً مثل البيت، والسارة، وقطعة  
لأرض عبر أن الإصباح، هل هذا النحو، ما كان ضرورياً - إنه  
بعض السكر

على الباب توقفت وصاح كرم. ترمج في وعفته.. اختصب  
ابتدأه. صحك صجاء.. عادت الالتفة إلى حبيب الزرقاوان  
الرجاجي، سأل

ألا تريد العودة إلى بكين؟

٢٨٥

- لماذا؟ لماذا لا تفعل ما دام ليس لأحد سلطة عليك؟

- وأنت؟ تريد العودة؟ تريد مريداً من التحف؟

- أنا؟ - انظر.. لقد استدعوني.. كان يجب أن أهي أيضاً

لكني عدت القصة

تالفا ومضى في خط متعرج، أقرب ما يكون إلى الجدار، وقبل  
أن يبط في المصد أمدى هذا الرجاء

- أستطيع أن أرورك دائماً؟ أنت أيضاً سألني لربارنا  
سعدت موعداً.. سمعت ذلك يوماً

فبصوت لا تأسرا.. (إلى اللقاء).

وقال كرم وهو يلوح له بيده

- فبصوت لا تأسرا هيدجي!

وحيى عاد إلى غرفته، استشر فرحة أكل ما كان يتوقع عند  
لقاء هيدجي. فثرت منه حتى عن النقاط الرجاجات والكؤوس  
القارعة ترك اللادة الصغيرة كما هي وضع يديه في جيبي سحاله  
وراح يدور البيت، غرقاً عزمه وادش. منه حين يبوخ لأسياء  
في ظاهريه، حين تهي نفسها، مشوكة إلى جلب مطبق، باهظة  
روحه الشاعه كرجاج دمشق. رجاج قابيل لكسر من لسة، لكنه لا  
يكسر وهم مئات اللسات التي جرت عليه. في حان كنده تته  
حتى ممراته. يصح الطبيعة ملاداً وحيداً يتسنى أن يذهب فيها،  
أن يدخلها، أن يلاها عبه وأديه ومعه، أن يبوخذها توخذاً  
بائناً

هذه الابتهاية الطفسية، لنص عاشقة، وغير مدركة أنها هاشقة  
بعد، وغير عارفة أين هو الشوق، وأية رياح ستحملها إليه، أو

تحميه ربيها ، والتي تتعب ، تعب ، تنور ، تملب ثورتها مضاً لكل ما هو أقل من مثل أعني رومانتيكي ، ما نليت أن ترتطم بالواقع ، وببأس الواقع ، وطموحاتهم الصغيرة ، وسعيهم وراء مباح دائبه ، أو بمنهم ما هو دون هدى الإنساني البسل ، في العمل لحياة أفضل ، فتتأذى الشاعر نزهة ، ونمرّب ، وينوب عن ما يبعث الطرب فيه ، من خلال تحقيق ما ، على أنه صورة من صور النصال

« عندما مثلاً جاء بعد طول انتظار - جاء عافلاً كمنات وآلاف من أمثاله ، حتى الصورة الطريفة التي أحدها ع في الصبي ، وهو صانع بين حبات البید في بود بي ، تنفّس الآن برقت بصرة سكين حادة ، بلده ، المجر ، لا يمرّ عليه بالمقدار الذي تصوّر - مستعداً للتعرب ثانية في سبيل مرید من التمتع - وهو ينشئ يده النصف شفاء كثيراً ، يحرر منه من التمتع يا ملكيته لها بأكله تنصم على حباب إسائه بمال حبّ للعالم ، لنسافة ، لمعرة الرّ في الأشياء ، ولا يملأ إلا السنّ بالحبيب الذي ، الحبيب الذي يسدّ بالنفس ، يصيرها كهناً يرتج فيه عن ودود .

وَدَ ، في هذه الساعة ، أن تكون لبرجكا إلى جانبه ما كان أحد قادراً أن يبوب منابها لا يبروشكا ، ولا صياء ولا حسن . لكن لبرجكا مسافرة ربما لا تعود أبداً ، إنها في سارة فنّ لبلادها . هي وحدها مهم أرميه النصبة ، معها دون أن سأل عنها أدركت بحساسية الأتني أنه يمتدّب ، وأن عدايه ناشئ من حجر في أن يطمئن ، وهذا الحجر لقلق مريح سيطول ، ما دام غير قادر على أن يحبّ ، وأن يحبّ بجنون كامل ، يشبه من جنون قطعه شاكراً كاملاً أيضاً في هذه الحال صديقه حبيب أفضل منه . إنه وليس القسم

المرّي في إداعة بودابست ، ويبدو قرير العين بصله ، وحبيته الصغيرة ، وبينه الصغير ، والجللة الصغيرة ، على كأس ، أمام وجبة شهية من طبقه ، ثم يذهب إلى الفراش ، كلالين من الرّجان مع اللالين من النساء ، فليملب لعله الصغيرة ، ويشتّم ، ويام مبتساً ، ويمتق مبتساً ، ويذهب إلى صله حساً كره أخرى

ولقد غاصم كرم صديقه حبيب بمر ديب . لم يسطع أن يكسّف المالحب النعني الرصيّ فيه ، ولا طأبسه التي لجملة سبداً خيل إليه أن حبيب لا يهكر بالوطن ، ولا بالمثل ، ولا بالقصبة ، وجاكبه على ذلك ، وأصدر حكمه بالانتماء عنه ، ورغم ذلك ظلت ابسامة حبيب التي تكف من جدور أسابه السميّة ، ملققة على شعبيه ، يقابله يا كلها النقاء . وهذه اللبنة دعاه إلى البناء ، على طوي سبك من صبح يده ، وسبائه بالابسامة دانها ، ويحدث من الطوي الذي أهداه بشكل لجملة يشتهي أن يأكل ، إصاصة إلى أن السكة من كرم ، ولم يرد حبيب على أن يطرح بحصيرها ذلك أن كرم مر بالبارار ورأى السمك حياً يسبح في الحمام ، فابناح سمكة ، ولّمها مكيس ورمي وحلها إلى البيت ، لكن السمكة ظلت تنصّر ، ولا كان كرم مشغولاً ، عند وضعها حية في البراد وورل إلى الطريق ، وهذا فكر في أنه ارتكب حاله ، وتصور معه حناً في براد ، عند أدراجه وأخرج السمكة ، متوكلاً إليها أن تقوت ، ورفضت السمكة متوكلاته ، فملأ البايو بالماء ، ووضعها فيه ، وبعد قليل استردّت أناسها ، وأحدث تسبح ، ولا عاد ماء وجدها تسبح بشاط كامل ، وهذا اختار في ما يعمل ، هو غير قادر على قنيتها ، وهي لا عوت كرمي له ، ولا يمكن إيفائها في البايو . وتصرّ حكايته على حبيب ، فاشتّم هذا ، وفي الماء صعد منه إلى حرقته ،

وهذا تناول السمكة من الماء، وضرب رأسها على حافة البانيو،  
فنهطم الرأس وبرق الدم، لكن ابتسامة حبيب ظلت معلقة على  
شفتيه

هذا النظر الدامي، لرأس السمكة المهطم، أهدى الرؤية  
الشاعرية التي ينظر ب كرم إلى كائنات الوجود اعتبر حطم رأس  
السمكة على حافة البانيو قسوة غير مبررة. كان يحصل أن يدع  
السمكة، على أرضية المطبخ، حتى تموت، مثلاً يسل الصباد على  
شاطئ البحر. ينسم حبيب هذه الرقة المرحطة، وأوجهه أن أية صلاة  
في البار، تعمل في السمكة، يسل كما يحصل بل إنها تضرب رأس  
السمكة باطورها قبل أن تثق بطنها، لكن كرم أصغر ألا يأكل  
من لحم «ضحيته»، وساعد الاعتكار الذي علمه عيده في نصه  
على زيادة نفوره من تلبية دعوة حبيب. وهكذا، في اللحظة  
الأخيرة، صلب إليه مضطرباً أثر البلاء في بيته، فهو مكثرت حتى  
بالنصف الذي كمن، في النهور الأخيرة، من استعمال الصوف،  
بإصرار منه كان يمارس رغبة في معاداة ذاته، ثم دام عاجزاً عن  
الحب، والكتابة، والعيش في القرية، فإنه يجعل نفسه، هي  
خريف الرجز، تدفع نحو البؤ الذي تأمر به. ولقد شجعه على هذا  
السوك، ضياء التركي، قال له، بطيبته الأبدية، «احذر يا كرم أن  
تزق إلى حاوية النخلة الرخصة. ها الباء كنيرات، وهذا  
التحجب يهري بالريارة، ولديك أسباب أخرى تجعل من اللهو طريفاً  
إلى المجهيم أنت لا تريد أن تصبح مثل أدامو الإيطالي، أو  
كبرياء السوداني أنت لديك قصبة احمرس يا بيتي، تذكر أن  
بدهم حكمت كان يسكن البيت الذي نسكه، وأنه كان يكتب  
وعندما يقول: يكتب، يعني يستخدم قصبته، يربها نفسه، وليس معنى

هذا أنه كان ناسكاً، لكن العلاقات الاجتماعية شيء، وقصده الوقت  
في استعمال الراتر، والاعمال في المجلس شيء آخر. لقد اعتزل  
حيث.. ناله جراه.. فما معنى هذا؟ معناه أنه صاع، لكن الصياح  
له أكثر من طريق. هذا ما أقوله لنفسه أيضاً، وكذلك أقوله  
لزوجتي وسفي وأبي، القرية مصيدة.. وقليلون جداً الذين نجوا  
سها، قد تكرر كلامي.. إنني أحدثك كاتب..

ولم يحس كثر بحاجة إلى مزيد من النصائح هو نفسه تحول إلى  
صيح للنصائح كان واعياً داخله. يعرف ماذا عليه وماذا يجب،  
وكيف يجب، لكنه ما كان قادراً على يمس كللانه على الورق كان  
أهوب عليه أن يسك بالريح ويملأها من جدائلها على جدران  
للحف من أن يسدهي الحروف ويلاعبها صارت ريشه خشة  
سكة حرارة في أرض صحرة. وقال في نفسه «لماذا؟ لماذا؟». كيف  
لا تطوعني الأفكار كيف تنأى علي إن شئت أو صحت إن  
النهج الباطني، لابن مأروم، يمكن التعلب عليه باصطفاة مرة  
ما، بالشرع، بالرخص، بالمجلس، وهذا ما فعلته، لكن الشعور بعدم  
القدرة على الكتابة، هي الأرملة اللعينة المستعصية، لأنها مرتبطة  
بالمحب، وبالياد، وبالنكرير لا يمكن الأعمال وحده، الأعمال زهر  
لور يصنع ولا يمتد، نيسة صقر، تجهل أوردتها، لكن المنصب بعيد  
عنها إن أصعب ما في الحبة أن يعمل الكاتب، وبطلان انفعاله  
عند، هو، في حال كده، كالمعدل الرجل، ثم ارداده عاجزاً عن  
المراة الارتواء بعيد.. وظل في الذات يجرى كالنار..

صحت شهور الآن هي ذهابه وبيروشكا إلى القرية «كود»  
وركوب السيف المهرية، واستقبال ذلك المحب المريب، ويده فوق



يدها على حافة السفينة وفي موبة صعب، أو جون، قرّر أن يترك  
بيروشكا، صار الليل إلى تصديق صبه حكمة، يمن في تمديدها،  
فتنم في طلب التصديق من جديد. الحكمة نأكل، في نوع من لدّة  
تدسي، تريد موضع الحكمة، تعمقه، توسعه، ونظّل في حلقها  
الفرقة، مرضاً جليداً يشدّ متعته من سرطانيته فانها وإذا كانت  
بيروشكا، قد اسبى إلى حبّ يهرب من الهوس، فقد اسبى، أيضاً،  
إلى يمن يشبه الاعتقاد الكامل، أن كرم إسان شاذّ، وفيه قرابه  
أطوار لا تُفهم، وأن عليها أن تتقبّله كما هو، أو تدع نفسها له، إلى  
أن يقرّر ما يريد.

كرم قرّر بأسرع ما تموّرت قرّر أن يفصل عنها رومانيتكته  
أضافت بدءاً جديدة لأرمة عجره كان، في دبه، يارس شعوراً  
بالبل، وبيله كان أنانياً، ككل صفة من هذا النوع الكرم،  
الاعتداد، الفروسية، كل هذه القيم، تشدّ في داتها، من خلال  
المطد، ممارسة لدّة شبيهة، الإرصاء الضمعي وإذا كان قد  
توقّف كثيراً أمام دكالك تعصبه الذي أنت سائله، وأعجب  
بالبيت، ظلمه لم يفهم أبداً إلى أن الإجابة على السؤال، بصفة كرم  
غير محدودة، تطوي على لدّة ممارسة الشوى، أو الانتصار من  
خلال جمل الآخرين مديح للمعروف، وقد كان، حبال الناس  
مطاه كان يحسّ سمع ما، شبيحة أرسته، وببعت عن تمويص،  
بطويق أصناف الآخرين بإحسانه ومثلها تهب الريح الطبع الذي  
يخصب، كانت حياته طليماً معروفاً لو امطع عنه لا يمي له شيء  
وليس حتى الآخر، عبداً كان أم محبواً، إلا أنه تقاضى لده، وفي  
شدائها، أعتق بيروشكا، وهبها لذاتها. اعتزل حبها، دون صاء،  
واحتسب فعلته في دمة النبالة. استعاض، بهذا العمل لممارسة القوة.

عن صعب داخلي يشدّ إلى فقر مدقع في المواضع تجاه حب المرأة،  
ولم يعم بيروشكا دواعي نصرته، ولا استطاع أن يشرح نفسه لها،  
وحين أرادت مولاتها حاتبة، قرّرت، هي الأخرى، أن تهجره،  
وأن تحب آخر، أن تكذب على نفسها، قراحت تقيم علاقات  
جسمية، معية النساء، إلى أن كانت حيلة في بيت أحد الأصدقاء،  
وكان معها عشيها، وهوجشت بوجود كرم لم تسلّم. نجاهته  
أظهرت جبروداً قديماً حاله، واحمالة حارة بالشيب الذي معها لم  
يأبه كرم، العيرة ولبدة الحبّ هو لا يحبّ ظلّ لاسالياً، امصرف  
إلى الاستمتاع بوقته عن طريق الشراب، ولم يرغب إلا مرة  
واحدة، مع سيدة البيت. كان، من ناحية الحب، معاني، لم يكن  
يحب، وبيروشكا يعرف ذلك، وكانت هي تحبّ، ويعرف كرم ذلك،  
بكنه حين رآها مع صديق جديد، أثر الابتعاد عنها، ومرة لم يسمح  
لعييه أن تلمحها بحبيها وروح صراع صامت يدور، وبشكل غير  
متكافئ، بين معاني ومريضة، ودام كدبك رى ما بعد منتصف  
الليل، حين جاءته صاحبة البيت طالبة منه أن يذهب معها، بهن  
دون اكتراث، لم يفهم سبب الدعوة.. ما كانت له بصاحبة البيت  
حلاقة، لكنه، كياسة، لم يرغب دعوتها. صار معها في الجمار، إلى أن  
دخلت المطبخ، وهناك رأى بيروشكا تنكي توقّف في العبة  
مبهوتاً لم يقو على عدم التأثر كان يحب بيروشكا على طريقته  
للمرة هنا كان صادقاً كان معرّاً، قادراً أن يبدل، أن يسمح الذم  
ببدل أبيص مجرّوه عن روحه، وكانت بيروشكا، بعمل حبّ  
وسكر، جديرة بأن تتصرّف بشكل بمنزق المألوف، ولو أراد أن  
تصك يديه، رجله، لعطفت، لكن ذلك لن يريده في معركته، ولن  
يملب، من ناحية أخرى، حبّه لها. وحين اندفعت إليه، بعد أن

خرجت صاحبة البيت وأغضت الباب وراءها، طوّفته بدراعها العاريين، واهبرت دموعها على صدره، وهي تنجح «كرم! كرم!» وأجابها «بيروشكا! ما بك يا صغيرتي.. ماذا يبكيك؟» «أنت، ماذا كنت؟» «لا شيء.. وهذا أظن ما يكون الفصل.. لقد صيرني عاهرة.. صرت عاهرة، صحت بمسي لكثير من الرجال، سقايًا، سيئًا، لكن ما فعلته رادلي جونًا.. أنا لم أنعم لم أس، لا أريد الانفصال عنك.. لماذا لا تريني؟ أليس لك قلب؟ أريد أن أراك، أن أحدث إليك، ثم مغري.. يجب أن سمعي كل أن مغري»

بعد أسبوع رتب هادي موعداً لها في أحد المقاهي العربية من «باتشوروا وتسا»، كان هذا شرط كرم للقاء، ربا خشي، إذا جاء إليه، أن يصعب، وأن يعود إلى عمارته المجلس معها، وعندما يعود العلاقة، كان مغري ألا شيء يذل الرجل مثل شهوة، ولا يريد أن يحس نفسه سخرة لا يثنى بأنه سيجرح من سلباً وعندما دخل المقهى كانت بيروشكا بانتظاره، أمام طاوله في الدوابة، وكانت هادئة، رائحة، وشعرها السيل يمشي على كتفها، وطبقة عند صمحة الوجه، يغطيها شيئاً بمسكات هوليد وقال في نفسه، مغري وهي «يا ليماته» وسرعان ما ردهي هو كرم المخاض، اغترل مباشرة هذه الغائبة وهما لنضها، كي تختار من نشاء من الرجال، وأن تحد الحب الصحيح، للتبادل، بينها وبين الآخر.

تكلمت بيروشكا أصم إلى ياساء ومودة شرب معها قليلاً، لم يجهد نفسه ليحس من لطفها عدم القدرة على الحب كان حصه الذي لا يغترق. ولم ترد كلمات بيروشكا، عن الحب، المباشرة،

الزواج، سوى في الاضطام بحصه المسح ويمطق واضح، هادي، أكد لها أنه يعرفها، لكنه لا يستطيع أن يجنبا.. وقال لها إن ابرجكا قد سافرت، وكانت هي تعلم ذلك، وقال لها إنه لم يعد يستعمل رواداً في متعته، ولا سهرات لديه، وأجابات إنها تعرف ذلك من هادي، لكنها توسلت إليه أن يثنى عديتها خط، فأجابها إن هذا ليس في مصلحتها، وأنه لا يريد أن يلدو بها، ما دام لا هبها ولا يفكر بأدنى تفكير بالزواج معها.. وقالت حريصة، عاتية:

- هكذا إذن يا كرم؟
- هكذا يا حبيبتي بيروشكا.
- أنت لم تتعلمي من خطأ ارتكبيه؟
- أبداً
- ولست حاقداً عليّ
- بل أنا أمرك
- ولن أراك بعد؟
- أرجو ألا يحصل ذلك.
- لشرب إذن كأس الوداع..

شرباً.. كانت الدنيا غائبة، كان المصاء سيحاً رماذياً، الشمس مكتمة بالرماد، ورأس البكارين أبيضاً، والريح تلعب مع الظلال في الخارج، ومطر رداد، وفي المهي رواد ساعسون، واجو صجاج دخان، يبط، يبط، يتكاثف.. وانتهت الجلسة.

خرجاً.. هبطا درج المقهى.. صارا تحت المطر.. كان يلبس واقياً، أمسكت به من باقة الواقي، قبلته، قبلها، لكنها ظننت

مكة بالياقة.. وظلت عيناها مملكتين في وجهه، ودموع تسكب  
وتنقح على الوجنتين، وظل الرداء ينساق.. وظلت  
وقفه، تشد به من ياقته، والرداء ينساق.

لعه بغير كلام

ودموع بغير انقطاع

ومطر، مطر، مطر

- ٢٠ -

ساعات أخرجك من رحلتها العبة الى الخارج نظر الناس، حينما  
ذهبت، الى البحر في عبيها، رأوا بلادها الجميلة في جمالها، في  
صوتها، وفي التوقيف الملوحي، كيتوبي مر من لاهور، تسرح لمعها  
برجة من صل وليل، وقد همت الى كرم سد وصولها، قالت له إنها  
مست، في أيام السر، لو كان معها عبر أنه أجابها: «من الأفضل ألا  
تذهب ساء، الى أي بلد إسي لا أميل ولا أطيح، ان تتكرر  
قصة أريد واردانكا ويسبي». سأكنه: لماذا؟ أجاب لأن  
رحلتها انتهت بأساءة حين شق الناهر منه، بعد أن انصس من  
نلك الراقصة الجسدية قالت أخرجك: «هل أهم من هذا انك  
تندرد»، وقال صاحكاً: «كنت أعار لو املكك هذا الحق كل ما في  
الامر إسي لا أرفض بالجلوس في خلمية المسرح»

المصادفة الحريية في لقائهما، كان مقدراً لها أن يذهب الى أهل،  
أو تهيظ الى أسمل أن يكون علاقة جسدية، أو علاقة صداقة  
ميا جسدية تنفدى به.. وكان نادراً، حتى في البحر معها، أن تقلك  
نصي كل هذا النيل الذي انطوت عليه نص أخرجك وكان  
يساءل، هو الذي عرف غير قتل من النساء، من سر هذه المصادفة  
للمجوهرة، التي لا نسمي الى الظهر ولا الى العبر، ولا ينسب الى

رغبة أو رغبة، بل تنح بها كالحبه، كالحرمة التي سر السدي  
 وبعد أثر عنه اتصالها الموري، عيب رجوعه، تأثيراً كريماً، هذه  
 الصابة، المشهورة في بلدها، وخارجها أيضاً، هي التي غلقت رصده في  
 السمعة، بالنسبة إليه هو، الكاتب المجهول في العربية، حتى مع  
 الافتراض انه غلقت من المور بعد النصب وكان مبهوماً، لو أنها  
 تعرف العربية، وقرأت وودية واحدة مما كتب، كان تصورها، من  
 وجهة الإعجاب، يكون مبرراً، لكنها وقد سمعه وداً نادراً، من  
 تعرفنا، وودون ان يكون لسمعة في اثر، او لكرمه، على مرضى  
 وجوده، اي دخل، فرب هذه النسخة من المصححة، عزت عليه،  
 جعلته مديناً، ثموره القدرة على الكفاة.. وهذا كان قد مرا تعلماً  
 به، في لحظة، لى مصححها الأسوي، فله سرعان ما طرح خاضراً  
 كهذا، بمصر صداقة حميدة، في رواية متعة ينطبع أيا شاب أن  
 يوفرها لها بأكثر مما يعمل هو، من ما يسها كان أكبر لسمه السدي  
 الفني، في الترجمة الإنسانية الكاسية في أعماق كل منها، «مها يكن،  
 قال في نفسه، ايرجىكا أكثر من مرأة، أقر من عتبة إليها بلد  
 يداته، إليها الجبر كآب، هذه البلاد التي سحتني أكثر مما أسحق من  
 كرم وحدوة».

في الليلة ذاتها أرسل لها رسالة وهو كان يريد أن يخبر عن  
 سعادته بعودتها، بفعل ذلك من بعيد، دون أن يتقدم حياتها. هذه  
 بعض الشيء وهو يماند نفسه، يهله كما يقول، مستأ السامر  
 ويرى الدم على أصابعه غير مباد، شعراً على هذا الحوالة السبد،  
 وأنه لن يكون، ولا في أي يوم، ادموأو كيريامو أو بلون، هؤلاء  
 هؤلاء الذين يتابعون لعبة اللامبالاة عماد الحياة، بعد أن أخصوا عن  
 دوانهم كل ما هو عام، ولم يبق لهم سوى الخاص، الخاص جداً، المحدد

بذخبتهم ورواحهم. اما حميس الذي حتم بالسجن ثلاث سنوات، فقد  
 كان واحداً من عشرات ما رلوا يواصلون سلوكهم السيء، وكان  
 جورج يروي قصصاً عن هذا السلوك، لكنه يثق أن تشدداً ما  
 حلتهم سبباً، وأن ما ظلمه المريب ستمى جرءه من كل بد. ولكن  
 تحدث إلى كرم عن ذلك، وكما قال له. «ممكن، يا كرم، اصح قلبي  
 است جدي يا بكفي. في اليد خشيت عليك، المنصب، والبار،  
 والشهرات، والبس، وكب أنسأل. يلام سمعي هذا كله؟ وهل  
 مردية الكاتب - وأنا أعرف له يا - مطدقة؟ إن ثبره، صوته  
 الخاص، بجته عن التجارب والتجريب، امور تصنه خارج دائرة  
 الحدود التنظيمية لهذا يصيب الأدباء، عالياً، بالانتماءات الصيقة  
 ولكن حين يربط الأديب، بنقائ، بعه بمصه ما فهو يعطي نفسه  
 لها. وكان كرم يردد إعتدلاً بجورج، يدير نفسه وجبه لسلطانه،  
 بهم، من كلامه، أنه ليس مثل أدامو الايطالي، وأن له أكثر من هم  
 سديل مكان المظلة فوق طفلته التي حجب عنه وجه كعندي،  
 حبال أطفال الآخرين، الأطفال الذين يوتون جوعاً وبمضي عليهم  
 الأوبئة، والحروب، في بفاع كثيرة من الدنيا.

وقد قال له جورج يوماً هذه الكلمات التي أفعته ضرراً:  
 «أنت يا كرم، يامرت إلى موضع إيجابي، موضع مستند من  
 القناعة، من الصبر، فأوقفت مهلة المنصب، وتخلصت من  
 إغراءات الجنس التي رادت عن حذها. فرضت على نفسك موعاً من  
 حياء ماضيه كي تكسب ومع أنك لا تكسب، كما نول، لسبب  
 محي لا أحبه أنا، فزنا الأعمال بالكاث. ما دمت في الطريق  
 السوي فكل شيء سيصير. سكب. تحترق الآن تحارب تكتسبها  
 في السفل. هذا شأنك، أنت تغير بين ما يجب وما لا يجب. هذا

يرجسي برحمتي حياء التركي أيتها عن محدثك عك يقول  
صياح إن روح ظلم حكمت التي ما مرال محوم في قضاء بك  
سنتجك وتلهك

وقال له: في يوم آخر «إسي» كرم، لا أويل إلى مالماتك  
كانت عدي يبروشكا اسي، بكنت شكك طويلاً فاصلت بك  
محولاً أن أصلح بينكما فرصت إليها تحبك بادا أدبت حتى  
تدفعها عن هذا النحو؟ ألا تحب؟ وقال كرم: «المألة، يا  
جورج، ست مسألة حب»، «مسألة ماذا إدس؟»، «لا أستطيع أن  
شرح نفسي»، «يجوز مرج أدباء غير أنني أقول لك عن  
قباعة يبروشكا تحبك، وهي حب، وستكون روعة طيبة فكر  
في ذلك»، «فكرت ففكرت طويلاً أن من أنزوجها، وفي ألهو  
ب»، «أنت لديك ابرجكا»، «ولا هذه أيتها العشي لا يتامي  
مع الاستقامة أن تعيش هذا ضروري ربي أعيش لت جدتاً  
عن نحو عارم في نفسي حب بيع الكوب، لكنه لا بيع أبا من  
هارة يسي نصته، أو يعيش دون قضية أهم شكواك إدس،  
وأشاركك فيها، لكنني سألك شيئاً واحداً أن تقنع يبروشكا أسي  
أعزها ولا أحبها هذا كل ما في الأمر»، «وما العرف، إدس، من  
المرءة واجب؟»، «هناك فرق أعني من التزوج أنا مرناح  
هكذا صاحب يوماً، صاحب مجنون، ولكن متى؟ أنت أدري  
ربما لم أشر على تلك المرأة بعد»

«نصال ابرجكا المعاجي» أيقظ العو طم والمواقف والكلمات راح  
يستبدها منمطاً، كم يو أنه يتدوى لقنه طيبه إنه راض عن نفسه  
على نحو ما لقد وضع الاملاق في الوقت المناسب ربما لم يكن  
مرلاًقاً بالمعنى الثام، لكنه كان يراه كذلك، يرى انصاره في وقته

انصاراً عاجداً وحين أرسل، الليلة، سته الزهور إلى برجكا،  
قال في نفسه: «لو أن هناك من يوصل لي سلة الزهور إلى القمرا» كان  
رحماً، مرهواً، وبرعبه في الدعاب، هف إلى صديقه البارمان  
ميرانش قائلاً: «أيا الهي العظيم، يا أروغ السماء في بوديست  
كلها، هل تعرف من يوصل لي سلة زهور إلى القمرا؟» قال  
ميرانش: «أب تعرف أسي أرسل جوراً لا رهوراً»، «في هذه  
الحال، أنت بحاجة ربولع يا صديقي»، «وما هو عنوان عاهرتك  
أب العجري؟»، «أكتب لديك القمرا، شارع الموت، جنبه  
القمرا»، «ومنى صعد إليها أنت أيتها؟»، «أنا من أصعد إلى أيتها  
مكان»، «ليس لي جاسان، كل ما أستطيعه أن أتي إليك ليلة  
الث، احمر لي مائدة» اتصل في المدة ببرجكا كانت ما  
مرال في إجازة راحة بعد القمرا، وكان كرم قد اتفق المحرمة  
حبها بأدب كبير كاسب معرفها قد رادت عن المعرة  
نفسها روحها العينة القبة أسرته، وكان يشعر بالنقص،  
إنه لم يذهب إليها سلباً، وقال لها مصدراً: «أنا، يا ابرجكا، كما  
تعلمين، ما رلت أعيش أرمتي» وقالت ابرجكا: «وبك الصيرة  
يبروشكا؟»، «إسي ما يسا»، «وس هي صديبك الآن؟»،  
«أنت»، «ما انت لا توديني أن أصدق»، «أليس كذلك؟»، «صديقي ولكنني  
عدت بكامل عطي من الرحلة»، «أنا لا أفرح بأمر عديك مساء  
الث حبر مائدة في مرضي جد أرجو ان يسبح وقتك  
مصول دعوتي»، «ألا تكن تأجل ذلك؟»، «لا يمكن يا صديقي،  
أرجوك» وأجابته: «انصاء»

نام بعد ظهر السبت إلى الغيب، رأى حياً عربياً، ألقى نفسه  
في مركب شراعي، وسط بحر هائج كان معه خلق كثير، وكان

بعضهم يركب، والرووف يحفظ فيه الأمواج ويدأب الماء تمر  
السمح، وعشاً راح الرجل بجاذبون صلاح النلوع، عكل شيء  
يسرق، وكل شيء يهدر، ومن حول المرك ظهرت أسماك عريضة،  
لها أحشة وأرجل، وأيد، وسعات قردية، كانت عند نكها ذات  
الغالب، وسرع الركاب واحداً بعد آخر، وبصعهم في الماء، حتى لم  
يبق سواه، وطمس بصره، وسط الريح وانظر منك الفروود  
المسكية، ممكناً بصوري لمركب، صارخاً في طلب الحدة، ومجاء  
رأى موجة كبيرة مضمه سدحرج قادمة من الأعماق، فأعصر  
عنه رجلاً، نكه حين صحتها، رأى امرأة عيس عن منه  
موجة امرأة عيس أحل منها بين الماء، مذت بها الب،  
وسحبته من الدوب، واستطاع، وهو يهبط منه، أن يني على  
الماء، وأن يصد الى امرأة التي انتهت له، انتهت كذا جبهة  
التمر عاناً فصاح فرحاً، أنت؟ وأعان دون ن يني جواناً  
ظل مسكناً بهاج عدم يميني خارجي وراء جاذبي كان  
سعداً الى درجة لا يصدق، وكان يمني لو طال بعد، لو نغمس،  
وحين يني كان ما يرب تحت تأثيره، فأعد نفسه صفناً من العهود،  
ثم اغسل، وشرب كأساً من الويسكي المثلوح، ساع طعمه كأنه لم  
يدق مشروباً بهذه العذوبة، وفي الدعة النامة عادر الب، وسار  
متنهلاً الى بيت ابرجكا

طرق الباب منتهماً، وصاح حين فتحه  
أقبلك! قالها على الطريقة المجرية وهو يذ يده

فعلت بيرة حارة

- سرعوني كرم (وأعطته خدداً فبقته) كيف أنت؟ ماذا فعلت  
بباني؟ هل انفصلت جدياً عن تلك الصغيرة؟

جدياً يا عزيزي، تحصى شهو ولا أراها

فالت صاحكة

- لولا أنني أعرف، لقلت إنك رجل كذاثر الرجال، فسوت  
على باب منتهماً، وصاح حين فتحه.

- أقبلك! قالها على الطريقة المجرية وهو يذ يده

فعلت بيرة حارة

\* سرعوني كرم (وأعطته خدداً فبقته) كيف أنت؟ ماذا فعلت

بباني؟ هل انفصلت جدياً عن تلك الصغيرة؟

جدياً يا عزيزي، تحصى شهو ولا أراها..

فالت صاحكة

- لولا أنني أعرف.. لقلت إنك رجل كذاثر الرجال.. فسوت  
على بروسكا بالانفصال عنها.. ماذا أدبت المسكية؟

- لا شيء، وهذا يا بؤلي في بويه طويته وسمره من محاسبه  
النفس، قررت أن أثوث من اللهب يا.. وجدت ذلك مسطفاً، ما  
دمت أرغب أن أكون صادقاً مع ذاتي.

- وصدعت مع هذه الدات؟ ألم نذاثر غيرها؟ أليس لك فتة؟

امرأة؟ قل، ما هي أخبار متحمك؟ ولكن، قبل ذلك، ماذا  
تشرّب؟

- كأساً من الويسكي مع الثلج، ادا كان متوقراً، كيف كانت  
رحمتك؟

- موصيه جداً خاصة في باريس.. هاك يتدوقون العن.. يا  
لنديه العن! اشركت في مهرجاني للأصية، وكان تقدير  
الأصية المجرية جدياً.. لديا، في هذا البلد، ما ساهي به

- لديكم أشياء كثيرة تباعون بها - لكم أحب بودابست يا  
 يرجكا أشتر فيها وكأني في وطني  
 - ومع ذلك تشكو ترخص الإقامة الدائمة  
 - هذا ما يعني.. إني لا أشكو، ولكن أن أبيع!!  
 أبيعك قافلاً.. حين يكون الزم خارج وطنه برغفه، يارس  
 إحصائياً بالسمي.. حدثني عن هذا الشعور بعض الجريين النصارى ليعلم  
 في أوروبا وأميركا حلال رحلتي لا يمكن عكر المراج لا تصح  
 المراءه.. ولا تقصر نفسك على الكثافة إني، حين أكون تعباً،  
 لا أعني، وإذا عطش لا أكون ذاتي يكون ذلك مفتلاً، كمثل  
 تؤذبه بكبك لا تحته أي سهر اللبنة؟ لاحظ أي لم أسهر  
 خارج البيت بعد هودني. وكنت سأرخص، بولا أي أريد أن أصبح جهة  
 لصديقي الكاتب الذي لا يكسب، ولا يحب، ويحاسب معه  
 ويجدها، لكنه، البيلة، سيكون طيباً معي أليس كذلك؟

في مرفئ «أم كي» وحب بها البارمان فيرنس ترحيلاً  
 حاصر بكل يد ايرجكا أسأله أن يعمل في مكتب الصوت أيا  
 موجوده في الصالة، غير أنها رفضت ذلك كانت تعرف أن الرخص  
 غير لمعني، وأنه مكان لا بأس به، لكنه دون مساوها، ولا تدري  
 لماذا فصله كرم. وحين شرح لها أن ذلك يعود إلى صداقته مع  
 الدرمين فيراسس، ربت على يده الموصوعة على الطاولة، في لغة  
 تصامعة، ما دم الوفاء للصدقة هو الذي حله عني أن يعمل ذلك  
 قترح كرم أن يو هلا شرب الوبسكي ما داما قد بدأ بها، فلم فافع،  
 لكنها، حين جاءت رجاجة «دليل» كاملة، رجعت كرم ألا يكثر  
 قال

- أشتر بقاط للشرب البيلة

- معها يكن، قلبها في البيت ما سوف يشربه بعد العودة أم  
 تريدني أن أرجع وحيدة؟  
 - لقد أوصاني صديقي فيرنس ألا أكون عجرباً وأحب أن  
 هودني صاحباً ستكون مصونة إني فوج يا ايرجكا.. عرج بك  
 البيلة

- ولكنك تحتاج قليلاً، ككل أصحاب الحساسية المفرطة هل  
 نزلني غير حركة عرجك في؟ إنك، معي، علي ما يرام. أتعرف  
 لماذا؟ لأنك لا تحتاج إلى الكذب، ولا أنا أطلبه. أتعرف حجم  
 علاقتنا، وبوعها، كلانا ترك سأل الحب جاباً، وهذا أصل معي  
 مطيع أن يكون صديقاً بعير عرج است غير ملزم حديني بشي،  
 اسوعب مث عرك حين تتألم، تصب، بشك في الآخرين، نعان  
 إلي. المرأة أغوى على الصداقة من الرجل

- لكسي، في هذه الحال، سأكون صديقاً لك.. إني، أحياناً،  
 أكاد لا أفهم.. لماذا تتدفق علي كل هذا اللطف؟

- لآسي أريدك هل أنا عاصنة؟ ألا يعرف الرجل أن بأعد  
 الأشياء ببساطة..؟ تعصبي، هذا كل ما في الأمر.. أنت، تلك  
 البيلة، أردت أن تدفع.. نصرتت بمقلية رجل تجاه امرأة، لا  
 ألومك، حتى عندما، لم تنتب المعصية المذكورة. أنا لم أدفع لك  
 هذا يعني إلى المقلية إياها. أنا أكثر حذيرة.. أكثر حصاراً،  
 وموقفك معي معبار.. موقف الرجل عن المرأة سيار حصارته..  
 وأنت، حتى الآن، اجترت نصف الامتحان حين لم تطويبي عني  
 اسمك، لم تعتريني، حتى بشار الوفاء، وكما يعصم الرجل، ملكاً لك،  
 عطمة من متحمك.. وهذا برصبي. لقد هزمت كثيرين قبلك،  
 وكل رجل، ما أن ينام في فراشي، حتى يمتير عومي معه، التراماً

تجاهه فهو يعرض نفسه عليّ، أو يحاول ذلك على الأقل.. وبين هؤلاء منانوس، أو يرمعون بحكم المهمة، أنهم كذلك. أنت، وربما بسبب أرميك، لم ترتب لنفسك أنما حق عليّ.. دعني، إذن أشكر أرميك.. فلعلها أن تكون دليلاً على اختلاطك من الآخرين.. إن فناناً عاقلاً، مهتماً، جذاباً، جيسوباً، لا يلاثم مرآجي في الفن شيء ما ريد من الفن، أو على الأصح شيء ما ناضى عن العمل، وهذا ما يجعله حاراً أكثر، محبوباً على نحو ما، وأنا أفر من البرودة ورجاحة العقل، الرجل العاقل على ما صديقي.

بعث فيرانيس بطاقة زهر. جاء في آخر البكرة وسأل عما يظنيان مارج ابرجكا بقوله

- صديقي كرم فجري، أو من زهرة العجور، أو من الذي لديهم استمدادات فجيرة أحذرك منه..

- ليس ما يكون.. العجور أيضاً طيبون، وبمصرهم طرهاء، ولكن ماذا عن؟

- لا أستطيع أن أقول.. هذه دعابة..

وقال كرم حين انصرف فيرانيس:

- ينهمني بأني أرفع رجلي المرأة أكثر مما يجب

صعكت ابرجكا

- لم ألاحظ ذلك، وبني سبب حل رفع رجلي المرأة بأكثر

ما يجب علامة عجيبة؟

- هو يرمع ذلك.. بمعد المسح.. التواقة.

- وأنت؟

- لا أذكر أبي كنت شراً..

- وماذا في ذلك؟ كن يا صديقي عجباً الليلة أريد، إذا

كنت تعرف ذلك، أن تارس الحب معي على الطريقة العجيرة انظر هذه كأسى الثالثة. وأنت؟ أريدك صاحباً كما وعدت - لكي أصبح عجباً حقاً يجب أن أسكر..

- ولكن ليس الآن. كن ما جلسا في هذا الكور.. لا أرفع في الرقص.. ها

في بيتها عراها بيديه، وعدّها ألا يكون عجباً قبل أن يصرعها اسلف كهوة. كانت أممي لا هورية كاملة، وكانت لأمي رؤوس تطل من منامها. كانت سرّتها شفاء. وكانت حليتها وردتين، صفرجنين. وقال لها: «تأتي.. أريد أن أشرب قليلاً أيضاً.. لا أدري لماذا أحس بأني مفارقك... حصلت اليوم، بعد الظهر حلاً عجباً.. رأيت جنية الفجر..» قالت وقد نطقت ورفعت ذراعها إلى أعلى ما الإبطان، وبان السبق وهي تعصّ عن تصفا في حركة تعطر شهوة «نحني حبيبك يا صديقي هذا هي جنية الفجر أمك لك كل جسمي، معط احذر وجهي، احذر عيني، لا أريد علامة عليها. لا أحب فضائح الجنس»

في الصبح، حين أفاقا، دلّته أكثر من المتاد، شاقها أن تكون سيّدة بيت، وأن تعدّ الإفطار. سقته عصيراً أولاً. وسألته كيف يحصل البصر، وعدّها عرض عليها البعدة رفضت. كانت تبيع مريّة مرهرة، فوق معطها الحريري، وقالت له إنها سعيدة لبعده إلى جانبها، لعدم هربه كالنمر الفاصية، وعلى طابوقة الإفطار أخبرته أنها حطّعة، وتلمرء النابه، وذلك لأنها لا تريد لأبها رجل أن يسبّحها.. وما سبّح حلية الطلاق أنها لم تنجب.. وذلك، كما فهم، مأساتها.. لقد كانت، هي الأخرى، تعيش مأساة خاصة



وقبل خروجه، سأله بلهجة جدّ طبيعية

- سمعت الأخبار أمس؟

- أهدأ - ماذا هناك؟

برّدت قليلاً، أدركت أن كرم لا يتابع الأخبار الحرة، ولا يقرأ الصحف أبداً، كان مرعجاً من تحيرة مكتبه كانت تحبس ان الوضع خطير. وأنه يجب أن يعرف. قالت طامه

- ولكنها الحرب!

قال دهشاً

- كيف؟ بين من ومن؟ ولماذا لم تخبرني مساء؟

- حينك تعرف.. ثم لم أشأ أن أصد جهرتك.. (فصاحت)

الأخبار مشوّرة - الحرب متوحشة بين العرب وإسرائيل ليس سماً بشرة الأخبار هذا الصبح - فقال، محاول النفاذ أنها إداعة لا تنق

لكن كرم كان قد استبدّ به قلق غريب، لقد يارجه قدم قائل، صد الام لم ير جورج لم يسمع الأخبار وببها الحرب موشكة على الوقوع، كان هو في أحضان امرأة اللثة على العربة! إعرأها كات أقوى منه، برغم كل ما بدله بسفادى الاملاق صاح وهو يودعه

- هل أن أذهب.. يا لي من جاهل كبير..

انطلق من الباب الى الدرج لم يسطر المصعد. فصر الصراجات عائداً الى بنشور اوتسا، وهالك، في بيت جورج، كان بصعة طلاب، وراديو ترامنتور من المحم الكبير، ووجوم يتيم على الوجود أحسن أنه جاء ساحراً كان ضيه، هو كرم الجاهدي، أن

يكون مسجاً للأخبار أكثر من مواء. وإذا كان كمشقم، يتم بالبراءات الأدبية عون تحولاً خطيراً عن هذا النحو في الوصف العربي، كان جذيراً بأن يلمسه، وان يجعله يهر الليل في النواصر مع ما يجري، وما يطرأ من تطوّر، تزداد فيه حدة التوتر الى درجة الحرب، لكنه، بدلاً من ذلك، يهر في الرقص، لهذا هذا وكار شعوراً بالذنب يلبسه، وكان بطبيعته، البالة الى التلذذ بتل هذا السوم، مثلاً يتسكيت الصغير، لكن جورج، الذي صبح نه الباب، وسأله عن الحديد في الأحبار، أعلى أمام الجميع ان التطورات كانت سريعة، ولم يكن بالإمكان، لتصدّر النفاط الإداعات العربية، سوى الاعتقاد على الاداعات الأجنبية واكثرها غير موثوق، وهم الآن يتفكرون ما ثنوله الفاهرة ودمشق

قال طالب يعرف الاسكنيزية

- عبدالحاصر طلب سحب القوات الدولية من شرم الشيخ وأعلن التصب

وقال آخر كان لتوّه في المظارة

- حضرت هيئة الأركان المصرية السورية اجتماعاً مشتركاً، ووضعت القوات في البلسن في حالة الاستمرار المصري وعال جورج

- اجتمع رؤساء ووايط الطلاب العرب ليلة أمس، وتحرّروا عقد اجتماع دُعي إليه جميع الطلاب العرب الذي يدرسون في بودابست وقد تحدّد موعد في المركز الثقافي المصري السبعة الخامسة بعد ظهر اليوم

تحرّو كرم أن يشارك في الاجتماع برغم أنه ليس طالباً. سأل جورج عما إذا كان ذلك ممكناً فأجابه أن حضور الاجتماع متاح

للجميع دارت، بعد ذلك، مدقته حول التطورات، وحول ما إذا كان العرب على استعداد للمعركة، فكان رأى الأكثرية أن مجرد طلب سحب القوات الدولية من شرم الشيخ يعني أن مصر وسورية مستعدتان للمعركة جيداً. وأعلنت القاهرة، بعد قليل، أن القوات الأردنية وصلت في حالة الاستعداد أيماً، وأن ثورات عسكرية، بموجب مساق الدفاع العربي المشترك، تدور في العواصم العربية وقد كرم عن كل عربي في البحر، أن يذهب إلى صدرته ويضع يده تحت صدرها، ما دامت السمرات العربية في يودايت هي المراجع المختصة لبيت في أمر مصرهم واشتراكهم في المارك عند شوبيا لكن جورج أبله أن هذا قد حدث، وأن السمرات العربية أبلت وأعطيت أرقام المواقف، ونحى الآن تحت الطلب

م يحدد كرم، طوال ذلك اليوم، إلى بيته، بعدى عبد جورج وبعد الظهر رافعه إلى الاجتماع، وهو وجد حشداً من الطلاب، وبينهم المعلمون النقبانيون، وكان طالب مصري يدرس الرسم قد وضع خريطة لنوطس العرب، أشير إليها إلى فلسطين المحتلة - إسرائيل - بالنون الأسود ورسمت أسهم بالأحمر، على نحو ما في الخريط العسكرية، تنجعه رؤوسها من سبيلها واجدولان والصفة العربية إلى إسرائيل، ثم تكلم شخص لا يعرف كرم من هو فقال: «إن سحب القوات الدولية من شرم الشيخ يعني إزالة الحاجز العازل بين القوات المصرية والإسرائيلية من الجنوب هذا معناه أن المادرة بأيدي العرب، وأشار إلى الأسهم كمسطلق للجيش العربية التي تحيط بإسرائيل إحاطة السوار بانهم، وقال: «إن العرب يمدون ١٥٠ مليوناً، وأن القضاء على إسرائيل مؤكد هذه المرة، بعده تكلم آخرون بلمسى معه، والثمة بسبها، ولاحظ كرم

من مرحا عاماً بقرب الخلاص قد شاع في الوجوه، وبعد لا جناح عاد إلى بيته يحاول عبثاً التماس أيها إداعة عربية في الرد وهو الصمغ والندج للوجود في غرقه

في الصباح اجتمع عدد كبير من الطلاب العرب السوريين في بيت جورج وفي القصص خرجوا إلى المدينة ومعهم الترانسور. كانت الحرب قد بدأت، وكانت صوت العرب يدع البلاعات، وهي منجعه، لكن الإداعات الأجنبية كانت تبت أخباراً عميقة، ومع تقدم النهار تبيل الموقف، لكن جورج، وكرم وصباى التركي، وحسن الإبراني، وكل الذين تجمعوا في حديقة الباء الودعة كانوا يكذبون أبناء الإداعات الأجنبية، وخاصة إداعتي لندن وصوت أميركا، ويشتريوها حرباً نصية لصالح إسرائيل، ولكنهم للمسوبات العربية

بعيت الحال كذلك إلى الساء ساء العائلات العربية في بنزور أوتسا أعداد طعماً للمجتمع الذي تكاثرت عددهم، وكانوا يخرجون ويدخلون، وفي كل ساعة خبر جديد، لكن البلاعات العربية كانت تبت على الأطلسان وهكذا انتهى اليوم الأول والثاني وفي اليوم الثالث، قبل الظهر، عند اجتماع كبير اشرك فيه الطلاب العرب الموجودون في يودايت، والذين قدموا من جامعاتهم في المدن الأخرى، وحررت اتصالات مع السلطات المصرية، فودعت على خروج مظاهرة سلمية تأييدية للعرب، شارك فيها عدد كبير من الطلاب المصريين والأجانب، وخاصة من السمرات الثلاث، وسارت حاملة اللاصات الكبيرة، والأعلام العربية والمصرية، وعلى رأسها تمثلو الطمة وكرم، وصباى، وحسن، ومهي، ورسم دأمو الإيطالي أن يدع حظته واهته، وكذلك تحرب كبرياو، وكان لنلسون

الإسرائيلي موقفه معارض، لأنه لم يتأكد بعد من أن هذه الحرب عادية، ولم يعرف من كان البادئ بها

أمام السفارة الاميركية خطب ممثل الطلاب المصريين، ولم يتطع جورج الكلام بسبب موبة ريو معاجنة، فامرح الطلاب السوربون ان بخطب كرم فعلم، ثم تلاه آخرون، ولم يتح لصياح وحسن أن يتكلم باسم بنديها، وكانت الكلمات كلها نكدة بإسرائيل واميركا، وتؤيد الموقف العربي ضد الصهيونية، وتعلن الدعم الكامل ولاستعداد للمشاركة في القتل، وخطب رئيس اتحاد الطلبة المصريين ممساً بموقف بلاده المؤيد لنصال العرب ومعداة القضية العربية، وفي وسط هذا غشت اغائل من المتظاهرين، أحس كرم بيد تقبض على ذراعه وصوت يسوي يقول بالعربية:

- براهو كرم، كنت رائماً يا عربي!

- وصاح كرم دهشاً وهو يلتفت الى مصدر الصوت

- يبروشكا! ماذا جاء بك الى هنا؟

- الذي جاء بكل هؤلاء الطلاب.. حرّضت كل الطالبات وشركي في المظاهرة - وأسس رست بعض اسمعات وعلقها على جدران الكلية. (نبي ممك يا كرم..

وقال كرم:

- شكراً يا يبروشكا! يا عربي يبروشكا.. هذا جيل سك..

يسرني ان تكوني مساً..

قال يبروشكا وهي تشير الى جدار مقابل المظاهرة

- انظر ألبوش.. انه مع التلمزيون الجري يخل وتافع

المظاهرة

كان اليبوش ضلاً هناك. كان طويلاً، بارزاً، يتكلم في سكرة للسجل، وكان مصر جيل عن الرصيف، وكانت المحبة، من خلال المتناجات، تشل جوانب اللياسة، وغالب على الاكتناف يتنو «ردية» والريح تحمى باللائعات والأعلام، وبعد ذلك توجهت المظاهرة الى السفارة المصرية، وهناك انصمت

ومن جديد، في المساء، احتشد الطلاب في بيت جورج، جاء بعض الطالبات والطلاب المصريين ايضاً، استمعوا الى شرة أخبار التلمزيون، وأوا الى شاهد من المظاهرة، لكن الأخبار، من الإداعات الأخرى، اردادت سوءاً، وقيل إن إسرائيل تتقدم في سيناء، وان اليهود المصريين يتراجعون أمام قواتها المدرعة، ونظر الطلاب العرب بعضهم الى بعض، وخرج كرم الى الحديقة، لا يريد أن يسمع ولا أن يصدق، وجاءت اليه يبروشكا، ولم تتكلم أمام الحزن البادي على وجهه.

بعد ذلك رعت الاحداث. كانت تراكص، تنداخل، تتطور، شبة بالتندفات أخاع سوداء على بعضها في قمص رجاسي ولج النهار في الليل، والليل في النهار، ولم يدق كرم طعم النوم، شى لحراب على روحه، داس وحيد القرن على صدره، أخلت من الجدران رؤوس شياطين كما في الوجوه الرخبة لأويرا بكين كل شيء بدا عربياً، غرائياً، ممناً، يكثر من أنياب جيكيرة ينفقه كما السمريت الذي أملت من قمم، ومئات الكلمات، مئات الأسئلة، مئات الأجوبة، راحت ترقد في بيت جورج الذي أصبح بيتاً للجميع، لكل الذي جمعت بينهم النكسة، وحلت عليهم، وخطتهم، من رجال ومساء وطلاب وأولاد.

وفي ختام اليوم السادس بلغت الأداة ذروتها القوت  
الإسرائيلية صارت على النفاة. طلب وقف إطلاق النار. ثم إيفاء  
البر. استقال عبدالناصر، وبكت النساء. بكى بعض الرجال،  
وخرج كرم من البيت ليكي دون ان يراه أحد. قتل ابي  
الحديقة، وسما انطلي الى الثوار، وزار على غير هدي. نمرت  
الجدران. الورق الملون الذي كان يستر بشاعتها مرتحة يد وحش  
مرعب. الكدبة الكبيرة تكتمت عن سائلة لا تنهي من الاكاديي  
الخريطة، والأسم، والجيش، ولكم والخسوس ميمناً من الرب  
كل شيء. بهار كان كرتوباً وانهار الباء كان متداً على رمال  
أين الصخر؟ أين الإنسان الذي هو الصخر والباء، والقوة والبلطه  
وانبتدأ والنتهي؟ إنه، مثل كرم، صانع، نائه، ملاحق، منهم.  
مدان، والبالون الكبير، الصمم، المروق، المسود، ارسل في ساء  
فارعه، بميمه لم تكن الا كشة رصاصية مصمط على النصور  
وحرفته إبره، مسله، شفه مديه، فاصغر، وبطائر شطابا، وظهر أن  
ما في داخله كان ريماً، مجرد ربيع، وسلاسل لا حد لها من قيود  
وتجود وتبود

لا يدري كرم كم من الوقت مضى، لم يعد يشعر بوقت ولا  
مكان. سود كل شيء. هذا قبعة سوداء مثل كدحان وغلاً ميه  
وصدره وعينه، وبصر كدبه كله. وفي بويه من النمة التمله على  
كل شيء، وعلى نفسه أيضاً، عاد الى بيته. دخل وفي حبه احرار،  
ودمع، وحرفة، وكابت سترته مفتوحة، ورباطه صفه محلول، وشعره  
قد شمه الريح كان السواء الداخلي، لنس تألت لأنها اصطهدت،  
ونالت لأن مصطهدتها تألم بدوره، لوطن نفاه، ولوطن صار ممناً في  
هريمه، قد مجر في صدره ثوره على الخطأ، ولأنه لا يطيع نفاه

هذا الخطأ شيئاً، ولأن الخطأ قد انصب على الجميع، وتطلب منه  
من الجميع، ومنه قبل الآخرين، فقد اندمع، حتى دون أن يعلق  
الباب وراءه. راح يرق اللوحات، مجطم الخرف يمشر الأشياء في  
التحف، وجمع صحنه، حين واجه صورته في المرأة، وصربها بمص،  
بمص بالغ، قاتل، فتعطست، وشاشرت، محدثة دويماً شديداً، وسال  
الدم من يده، وسع وقع أقدام، بعد لحظ، وأحاطت به أذرع،  
وكان جورج، في مقدمة الدس صموه الى صدورهم وبكوا. ولم بدأ  
انتفاضة الدمع، والنصب، والحزن، إلا حين أعلنت القاهرة ان  
عبدالناصر رجع من اسفائه، وان الشعب المصري، الذي يظنه  
الكتلة الرصاصية، الشعب الطيب، الرائع، بعالة، وفلاحه،  
ومثقبه، وكسبه، وسائه ورجاله وشيوخه، قد خرج يهوف  
الثوار صارخاً في وجه الهرية: لا!

سواء كانت هزيمة حرب أم هزيمة معركة، فإن مرأتها فاقته كل ما عرفه العرب في المربية سابقاً في البدء سموها نكسة لكن جرح هذه النكسة كان عميقاً، وكان وقعها في الحواس، أنهى يوم الصاعقة الدهول، من بعدها، تطاول استعاق المسيع على واقع مروع، ما حسبه شعباً كان ورماً، ما طوّه قوة كان ضعفاً، ما اصفوه صدقاً كان كذباً كانوا كالسائرين في اليوم، وحين، على شد الجرح، فتحوا أصمهم، وجدوا المقاومة سحيقة لقد حُدِّموا جميعاً من الذي خدمهم؟ من الذي صنع المربية؟ على من الدب، بعد كل شيء؟ وقال كرم، في ذات يوم، «عليك جيباً» على الذي صادروا حرية الإنسان العربي، وعلى الإنسان العربي الذي سح لحكامه بمصادرة حريته، على «البفظة» الكبري، والاستعاق الصعدي، وخطب والبيات والإذاعات، وعلى وهم الرقم العادل للمئة والخمسين مليوناً، واللى، في حرّ المعركة ضد الاستعمار والرجعية، حولوا الحرية إلى صدور حواريهم، وجاهلهم، ظلمتهم، وحين خطب عبدالناصر، مطناً «انتباه دولة القباير» أُرْسِمت على الشفاء بسة شاحبة «بعد ماذا؟».

التأمة التي صارت في المربية، حين أجهزة الإعلام، القلميون

في القفظة، راحت تنشر صور الجود الماريين في سبائك، لم يصر منها في المربية. كان في عيون الماريين عصب مضطرب، كانت أسئلة كيف؟ ولماذا؟ ولأن... ولفترة اضطر كرم إلى ملازمة بيته وقال جورج إنه يعمل مثله، وقال الطلاب إنهم، لأول مرة يجلسون من النظر في عيون صديقاتهم. هتمت ابرجكا عدة مرات أجاب كرم على بعضها، مستدراً، بكثير من اللطف، عن أي لقاء، جاءت بيروشكا، فكيف جاءت لتشارك كرم صيته لا أكثر، وقال حس، جذياً هذه المرة: «ماذا حدث لأمة المربية يا أخي؟» وصياء التركي، عن باب المربية، تحدث عن حرب الاستقلال، عن الأماني الوطنية الصائفة، عن النعوب التي لا تدرها المراتم، وقال أليوش «شيء لا يُصدّق يا كرم! صور، الكارثة اكبر مما توقّعت!» صياء، الصفة المربية، قطاع مرة، المولان، ما عدد؟ كيف حدث؟ القصب والإذاعات المربية ثبتت أخباراً مربية، ومن النبك، مظهر كرم إلى المديقة: كان اداو في مكانه، ولسون بنياً، وهرأ كسبه الماركسية، وواصل كبرهانو لعب التنس، وظل للتعصب غريباً، مخطّأ، مبعثراً، وفي رسالة مختصرة، كتب كرم استقالته وغدتها إلى الجامعة، وأعلن، بصوت لا لون له، صوت حرم، مشهور: «أنا عائد إلى الوطن». وقال هادي «الصعب المربية تنشر أساء مئات الألوف من الماريين، تتحدث عن سقوط المولان والقبضات، وتيسبب بالشعب إلى التفرع، إلى تقديم المساعدات الممكة، للأصدقاء الذين يتصورون إيباً في ساعة الهمة، وأن جداره المعجور، دق عليه الباب، حامله حفيه ملأى باللابس والأدوية، وقالت: «اعذوني، لا أعرف لمن أوجه هذه الحقيقة، وقال جورج إنهم استدعوه، بصفتهم رئيس الرابطة، لبحث موضوع

المساعدات وأن المجر أرسلت كذا خطاً من الأدوية، والأغذية،  
والنظارات، وأن اتحاد الشباب، واتحاد الطلاب، والاتحاد النسائي،  
والمنظمات، شرعت بجمع المساعدات والتبرعات، وأنه اختير عضواً  
في لجنة استلامها لتنظيم إرسالها إلى سورية

اتفقوا بعد ذلك على أنه يسمى عليهم القيام بواجبهم. دعا  
جورج إلى اجتماع عقد في بيته، حضره الطلاب والوجودون في المجر  
من السوريين، وشارك فيه كرم، متحدثاً كرسياً في أقصى القاعة،  
متألفاً، مثل جورج لأن بعضهم لم يلب الدعوة، مع أنه كان يعدر  
ألا أحد سيتغلب، ولا أحد يطاوعه وجدانه أن يتغلب وبعد أن  
شرح جورج الموقف، والسكة الخطيرة، ومئات ألوف البارحين من  
الجولان، ومبادرة المجرين لتقديم المساعدة، قال إن الحياة لا بأس  
فيها، ولا يجب أن يكون، الحاضر يمكن نمويها، الأراضي التي  
احتلت تحتاج إلى مجال لتحريرها، لكن ما هو أهم، ألا نكون أقل  
من المجرين مبادرة إلى المساعدة، يسمى جمع مبلغ من المال، يرسل  
به أدوية إلى الوطن، أو مواد غذائية للبارحين، هذا ينطلق من  
السلب إلى الإيجاب، من الدموغ التي درساها، إلى العمل الذي  
يرفع من قدرنا في عيون المجرين، ويصبح لنا أن نشارك وانصباً في  
تخفيف آثار النكسة، والاستعداد للمستقبل

كان يتكلم بوهي، وبهي الجمل ينمخ من مصغره المطاطة الهواء  
في فمه لتسكين الربو، وسأول ورقة وثلاً، لتدوين الملاحظات  
والامتحانات تكلم بعض الطلاب تكلم جورج ثابتاً معباً، كان من  
رأيه أن الطلاب العرب اعتادوا أن يصلوا تملاً ليربحوا بعض  
العمود ففي الشتاء يشاركون في رفع الثلج المزاحم من الطرقات،  
وفي الصيف في قضاة الفاكهة وجمع الخضروات، ولكن هذا عمل

خفيف. الآن، في حزيران، ليس من ثلج، وقطعت الثلج تسلياً،  
ولأجل الوطن، ولشطار المجرين بحببتهم في تقديم مساعدة جيدة  
للتارحين من مواطنهم في الجولان والفسطاطة، عليهم أن يعملوا في  
البساتين. هذا يحتاج المجرين إلى أيدي عاملة، والأجر مرتفع،  
والخضيلة ستكون مبردة، تبيض الوجه، وقد بحث مع المجرين في  
ذلك، فكان جوابهم أنهم يقدمون عاصمة الطلاب العرب نحو وطنهم،  
وهم بحاجة إلى أيدي عاملة، وهناك أعمال ترميم في القصور  
الأمبراطورية، الذي سيحول إلى متحف، ويمكن أن يريد أن يعمل  
فيه

استحسن الحاضرون هذا الرأي. أبدوا حماسة أيضاً شرع  
جورج بتدوين الأساطير، فلما فرغوا تكلم كرم لأول مرة:  
- سجلوا اسمي معكم..

انتمى الجميع إليه الاسد يطلب العمل في البساتين، وفي مش  
حضره بداء اللسان بمودتها على العلم فقط، لتنظيمات تحمل عمل  
صعب في البساتين. قالوا:

- نقدر عاطفتك يا استاذ.. لكن في مثل سلك، وأنت كاتباً،  
لماذا نشاركك أن نحسب اقترارك مشاركتك نكون في الكتابة  
لا في البساتين

قال كرم

- لا كتابة قبل العودة إلى الوطن.. أنا عائد إلى الوطن بعد  
شهر على الأكثر، لقد استقلت من الجامعة، وأوغت برنامجي  
الأدبي في الإذاعة

وقال طالب

- ولكنك، كما معروف.. (ولم يكتم)

- همت .. ومع هذا سأعود. هاك، كما قلت، يمكن أن أكتب  
قد تكون كتابي مساهمة في خدمة الوطن والمجتمع، وقد لا تكون،  
لكنه الواجب على كل حال.. ها لم ألتطع أن أكتب. ساحل  
غرسني الداهية، العقيمة، إلى تربة البلد، ها سيعاودها الاختصار،  
صوري، وتثمر، وفي جيبك ذلك يهون كل شيء.. أعرف الصاعب،  
أعرف أن الألم يضطري، إني أجب عن الألم، سأعلم أن أناأم.  
وسيكون لأني فائدة. اسمي كل شيء. الاب أعدت غرامي  
سأعود لكسي سأشارك في العمل معكم، سجلوا اسمي، هذه سأله  
معروف منها أيضاً جورج لا يمكن أن يمس في النار في حائه  
الراحة، كبريهن بالربو.. العمل في البناء ينهي عليه. اللثة  
هكذا جورج يدوم بهمة لانسال نانس لم يحضروا الاجتماع  
بصعهم في صورة هذا الاجتماع، بدعوهم إلى المشاركة في العمل، وبأي  
للاطلاع، بالإشراف من بعيد، أن أبا، وإذا واعمم، سأكون في  
المقدمة، اسمعوا، بحكم العمر والتجربة، أن أقودكم لأداء هذه  
المهمة

حين اسمي الاجتماع، ومع جورج وكرم وحيدى، قال جورج  
- ما كان يجب، يا كرم، أن تشارك في عمل صعب كهذا، وأن  
تكون على رأس الناس. أن أعرفك عادي. وبيج وأكثر الطلاب  
يعرفونك، يدرونك، وقد رجوك أن تكتب، لكنك أصربت على  
العمل معهم.. لماذا؟

لأنك لن تكون موجوداً بهم في الورشة بسبب مرضك، ولأن  
العمل ثاق، وإذا لم يكن هناك من يتولى ضبط الأمور، من يكون  
قدوة، من يعمل بجد، فإن الآخرين لن يصلوا، والذين يصلون في

اليوم الاول سيعيرون في اليوم الثاني، أو الأيام التالية، متدريين  
بالمرض، بالسر، بالدراسة، بأي عذر.. وجودي بينهم، أنا الذي  
أكونهم كثيراً، سبب عرائهم، سيحرصهم على العمل، ويحملهم  
بمجلون من التجربة..

- إذا كان ذلك كذلك فأنت على حق.. لكسي أرجوك اكتف  
بالإشراف

- في الورشة أقرر ما أراه مناسباً.. غداً صباحاً يجتمع عدد  
ساحة الأبطال ومن هناك نطوق كما نحب، وأعطي الطلاب، كما  
أعتقد، يعرفون القصر الامبراطوري، من يتأخر يبعثوا إلى  
هاك أعطي لائحة الاسماء من هو المسؤول هناك؟ أكتب  
اسمه في اللائحة سأقابله فور وصول الورشة وأدعه يحدد ما  
قطاع العمل في القصر..

بعد الظهر انتفى بعض التحفد، وأرسلها إلى امريجكا، مع  
بطاقة من جابت يروشكا التي أهدتها جورج أن كرم قرر العودة  
إلى الوطن. وأنه سذهب غداً صباحاً بمن في النساء مع الطلاب  
وأنة رفض إعادة المنصب إلى وضعه السابق، لأن إقامته في البحر  
انتهت.. قال لها، من باب المودة، إن كرم سيألم، إنه يعيش أزمة،  
وإهم اصبروا عليه ألا يذهب إلى عمل النساء الشاق مرصص، وقال  
لها «ادهي الله، كوي طبيعة معه اجنيه يتسنى قسلاً لا تحري  
أن يحول بيته ومن ما قرر عودته إلى الوطن أصبحت ضرورة أنا  
أعرف أنه سلافي بعض المناصب، وأنه سأنم، لكنه من إنه يبحث  
عن الألم تصوّرني ماذا يدور في رأس هذا الصديق؟»

وجدته يروشكا يشرب يصفي إلى السموية التاسعة  
ليتهوون. مجلس بين عراية من محويات متحمه. لا يسمح لأحد

بالدخول، ولا بتسليم النعمة، ولا يذهب إلى أي مطعم يأكل  
بواضع، يطلب لكنه يشرب يشرب صامتاً كتباً هي، بجنتها  
الأنثوي، بجنتها الرائد، بجنتها المبتني، استشرت الآن مأساة  
حبس، فكل من خدعها صدماء دخلت. رَحِبَ بها كأنها يريد، قل  
مر، قها القريب، أن يكون لطيفاً معها إلى آخر حد. أن يسيها أنه  
فاطمة أن يمس لها معرفته. وحين عرضت عليه أن ترتب أشياء  
البيت قليلاً، رخص كانت الرجاءات المارة على الطاولة الصغيرة  
وحولها، لقد شرب كثيراً في الأيام الأخيرة، وكان لديه، في بيت  
المؤونة، كمية من رجاءات النبيذ، ومن الكوكيالك، ورجاءة  
ويسكي، وأخرى فودكا، وقال لها إنه سيشربها كلها. سيشرب إلى  
أن يأتي يوم الرحيل، وأب تستطيع من اليوم أن تأتي إليه ساعة  
تشاء، كصديقه، صديقه فقط، فالأمر لي بماد. إني أعاقب  
بمسي.

فكرت بيروشكا أن تهتف إلى ايرجيك، إن يكون وجودها  
ملياً به فلتأت لي تغوص لي معار لي تعصب ولن تهرب لكنه  
بها من ذلك، فإن إنه لا يسهل أي امرأة رؤاه محدودون  
ضياء، حس، فهمي، حبيب، ومن فقد سيكون مشغولاً، وسأني  
من العمل تماً، لذلك يصدر من أسفل أحد في الليل أصاح  
- بيروشكا عدي أي قطعة من هذا المتعصب كندكار..

- لماذا؟ أنت لن تعود إذن؟ أمر الفراق جائاً؟

- أحب هذا..

- ألن تكتب إلي؟

- لا أدري

- ألا تفكر بدعوتي إليك؟

- لا أدري

- ماذا لو ذهبا معا يا حبيبي؟

- لا يمكن أنا غير داهب إلى الب ك تصويري

- لبي سندهب إذن؟

- لا أدري بالعصط.. غير أنني، لا أستطيع أن أعذك معي

إتمام دواشك أهم.. ثم ماذا؟ فتروج؟ أنت تعزبين رأيي

- جون تسع لي بالذهاب منك عدأ إلى العمل؟

- عدأ ستكونين في الكلية، لا ساء جيسا.. ماذا تستطيعين

أنت هالك؟ تعلمين في رفع الأنقاض؟

- أصل كل ما يهلك تأخذ صورة طيبة هي

- أنا أخذ صورة طيبة منك.

- كرم أنت غير مفهوم، وستظل غير مفهوم. هل هذا لنسدي

أكثر؟ لتجعلي أحبك أكثر؟

- أنا غير مهم على كل حال.. ماذا عدي من الغموض؟

- من لمحبة؟

- لا أحد

- لا أحدي. قلت مرة إن لة مداء مجهولاً بالنسبة إليك.

- كنت أخرج.. أحس ذلك أحياناً.. اسمي يا بيروشكا خلعت

مد مدة مجته المبر.. رأيتها كما في البقطة..

- تريد إقناعي بأنك محبون؟ فة امرأة تنتظرك قل من هي؟

- ليس من امرأة بعد.. ايرجيكا فهمت مشكلتي أفضل منك.

إني عاجز عن الحب، عن حب امرأة حتى الجسود، هذه هي

للشكلة

- نعتقد أنها ستحل في بلدك؟.. تنثر على المرأة التي



تأديك؟ أنا لا أصدق حكاية جنية القمر هذه..

- وأنا لا أصدقها.. عقلي يرفض خرافة كهذه.. لكن قلبي، عاطفتي، وجودي، كل ما في ضد عقلي.. أخشى أن تكون هناك جنية قمر حقيقية وأن أجبر فعلاً..

في المساء طلبت منه أن يخرج بها إلى أي مكان.. «تتكن جلسة وداع» قالت.. «وبعدها لن نراي، لن أفرص نفسي عليك.. وقال لها: «تفرزت ألا أعاد البيت.. ولكن إذا كنت تُصرّة على جلسة وداع فستقوم بذلك الليلة.. هيا بنا»

في نحو الساعة التاسعة كانا في بار «سيف» (القلب). كان مكاناً ليلاً صغيراً، وفيه موسيقى بسيطة: عازف بيانو وعازف كمان، وكانت، تلك الأيام، ثروج أغنية: «بعد مسأوك عزيزي بيروشكا» فطلب عزفها، وراحاً، ممأ، بصبيان إليها، والصمت سوار حول القلبين، ودخان سيكارته يتعالى ومادياً، حلزونياً، مزوجاً بذلك الهم الوطني الذي أناخ عليه، كأننا يتفاضد، هو دون سواه، فمن ذلك الميت، والتفريط، والمنجبة، وذلك القمع، والمصادرة، وتفرج الإنسان، ونفبه من ذاكرة الحكام، وعدم وجود الشعب في أي قرار يتخذونه.

وإذا رأيت بيروشكا إلى عزته أخذت تبكي، غسلاً: «ما بك؟ أليس سعيدة مي؟» قالت: «أحاول أن أكون سعيدة، لكنك حزين، صامت وأمرق أني سأفارقك، وهذا ما يبكيني» قال كرم، «لا بأس يا بيروشكا، أنا لست إلا عابراً في حياتك، لست إلا صديقاً سيحتفظ بذكراك طويلاً، لكنك، أنت، وفي هذا المجتمع الجديد، سيكون لك كل ما نطمحون إليه: الدراسة، والعمل، والزوج، والمستقبل.. ثمة رجال كثيرون، وشجعتين مع أحدهم

السعادة التي لم أستطع أن أمنحك إياها» وأجابته ودموعها تتواصل: «أجل هناك رجال كثيرون، لكن أين يمكن العثور على صديق مثلك؟»

أوقفته في الشارع، مثلها يوم التقى والطر، كانت المساء صافية الآن، نسيم عذب وقيق. أضواء، الحركة هادئة، الشارع طويل، على اعتداده، يتراعى، وليس من سائلة، عادت إلى البكاء.. قبلته وعادت إلى البكاء، قالت: «ألن نلتقي بعد؟» قال: «ربا.. سأهتف إليك يوم السفر، لكني، قبل ذلك، أفضل أن أبقي وحيداً، أنا وحراري. وسأكون مشغولاً نهاراً، وفي الليل، حين أجد لحظة من قوة.. سأوضب أهراسي. أوصيت على صناديق خشبية. سأبعت بأشباتي بحراً، إلى مساء اللاذنية، وأركب الطائرة، إلى دمشق.

كان الليل قد انتصف، وكان المبني ساكناً، لكنه ما كاد يدخل بيته حتى فرغ الجرس. من؟ كان ضياء وحسن وغهمي بانتظاره، أبلغهم جورج ما جرى في الاجتماع، فقرروا المشاركة في العمل، قال ضياء: «لست المسألة بحجم ما نستطيع أن نوذبه، ولكنها مسألة تضامن، الروح الأمية يا كرم.. كان يقف وسط الفرقة، طويلاً، هزلاً، بكع، وشارباً يتهدلان على فمه، وسيكاره تحترق بين أنامله، «نحن، أضاف، منكم.. سأصل ولو ليوم واحد، هذا الزبون اللعين لن يعطيني. أنت ستكون مشرفاً، جيد. أعطني عملاً خفيفاً.. بعيداً عن الفبار..» قال حسن وغهمي: «نحن في صحة جيدة. أعطنا عملاً صعباً. هذا لا شيء، مستعدون للتبرع أيضاً، لا بأس ستخرجون من الجنة» وحينئذ أقعد ضياء قصيدة لناظم، بلغة تركية جميلة وفيها هذا البيت: «من الأيام السود إلى الأيام البيض»

توجهوا صباحاً إلى ساحة الأبطال، كانت كوكبة من التاليل تحيط نصف إحاطة بالساحة. كانوا يكامل قاماتهم، ويواجههم البرونزية، وفي المقدمة البطل الكبير، أرياد. ومن هناك، في القرو أولاً، ثم الباص، توجه الطلاب إلى القصر الإمبراطوري. كانوا حوالي ثلاثين طالباً، وكان المهندس المسؤول بانتظارهم، وقال يشرح عملهم: «في الطابق الرابع أنقاض أعمدة، أحجار، أثرية، أسياخ حديدية... مهمتكم أن تزيلوها. الأثرية تجمع في اللال الكبيرة، وتوضع في المصعد، وتفرغ في الباحة، حيث تنقلها الشاحنات، أما الأعمدة والأخشاب والقضبان الحديدية فتحمل على الأكاف، وتنزلون بها على الدرج، وتلقونها في الباحة أيضاً».

تولى ضياء عملية المصعد. كل دوره أن يعطي الإشارة من الأسفل، وهناك من ينقل لال الأثرية والأنقاض. كرم وحسن وقبلي صعدوا إلى الطابق الرابع، مع الطلاب، وشرعوا بحمل الأعمدة الخشبية. كان العبار كثيراً. نجح الأنقاض والأثرية آثار موجات كثيفة منها، عمل الجميع مجتهداً. جنة. لكن العبار خفتهم، كان كرم يلبس ثياباً خفيفة، وعلى رأسه قبعة تشبه اللباد، لم يلبث، منذ الساعات الأولى، أن نزعها ووضعها على كتفه، مع ذلك تسلخ الكتف. أحسن بنار كاوية تخرج منه. صر على أسنانه كيلا يشكو. صار يحمل على الكتف الآخر، لكن هذا تسلخ أيضاً. ولم يلبث الصعود والمهبوط أن أنهكا قواه. تجلّد ما استطاع، وعندما، في الساعة الثانية عشرة، دوت مطرقة النداء، كان التعب قد هذه، تصدوا مطعم العمال. طاولات مستطيلة من الخشب، مقاعد خشبية أيضاً. لكل عامل رغيف من نوع «الصمون» وطبق من اللحم والخضار. كانوا جوعاً. أحسوا أنهم أشد جوعاً من أي يوم في

حياتهم. ويانتظار طبق الطعام التهموا بعضاً من أرغفتهم. كانت شهيتهم متفتحة. وكان الطعام لذيذاً، أو هكذا وجدوه، وأكلوا بشاط، أتوا على أرغفتهم وأطباقهم، وبعد ذلك أشعلوا سيكاراتهم، فالتفت رؤوسها وهم يبتون منها بنهم شديد..

ضياء، مع الأسف، لم يستطع إكمال يوم عمله، العبار لطخ وجهه وملاً فيه وأنته، وعندئذ حاج سعاله، فبقي جالساً في الطعام، مراكناً عند قدم المندار، يداري ثعبه الذي هدم جسده المتضور. وحين دوت مطرقة العمل، لاحظ كرم أن بعض الطلاب قد تسللوا وهربوا. اشتط غضباً. قال للآخرين: «نصف يوم وهربون، أي وجدان هذا؟ آفة جديدة، وأي شعور بالمسؤولية؟ ولكنه فوجئ، في اليوم التالي، بفتاب عدد آخر. صحيح أن طلاباً جدداً انضموا إلى العمل، لكن العدد أخذ يتناقص، وراح بعض الطلاب يجتنبون في زوايا الطوابق، ولم يجد بداً من الحلول على ضياء، على المصعد، كي يرى من يحاول الهرب. لقد كان إصراره على العمل في موضعه، لولاء لازداد الحرب، لكن وجوده، تجلّد، تفانيه، أعجل الآخرين، وهكذا بقي القسم الأكبر منهم، وكانوا، عند هودتهم في المساء، يهرجرون أجسادهم التعب، وكان كرم يستحم، ويشرب، ويبذل جهداً إضافياً في توضيب ما تبقى من متحفه في الصناديق.

الزبارة الأمل، التي كان يترقبها، وبتلقاها بفرح طفلي، كانت زبارة ضياء في بعض الليالي. يشربان معاً، يتحدثان، يحكي ضياء عن نضال شعب التركي، عن الفقر والجوع والقمع، عن البؤس في استانبول، عن البؤس الأشد في بر الأناضول، وعند الانتهاء، ينشد بعض قصائد ناظم حكمت. كان كرم بطرب، كان يجرن، وكاد، لولا الحياء، يبيكي، لكن القصائد كانت تبعث فيه عزيمه

جديدة، وروحاً حنوناً، على مواصلة العمل، وعلى التصحيح الفاطح،  
التصحيح الذي لا رجعة عنه في العودة إلى الوطن. كانت الجهر عزيزة  
عليه، صار يحبها حقاً، لكن الوطن كان عزيزاً أيضاً، وكان حبيباً،  
وكانت تسبب من قصائد ناظم روح إنسانية تضالية خارقة،  
وخاصة قصائده من الجن، وقصائده من المنى، وكان يستند  
ضياء، بكثير من الإلحاح، قصيدة ناظم عن أرض الجهر.. «سلاماً يا  
أرض الجهر، يا أنت، كرفيف، ملأى بالأسرار، ومنته مياحة  
أيضاً. سلاماً للنهارات، والليالي، والدوالي، والشاق، والأغاني في  
ربوعك.. لا يسبح المرء من إنسانك، وحيالك، ونعمتك، وحرمتك،  
وشاعرتك وخرقك..» وحين يبلغ ضياء، من قصيدته، تربية  
الوداع، كان صوته يندو رغباً، فيه حزن وشجوا: «وداعاً، يا من  
أكرمتني أكثر مما أستحق.. وداعاً ورباً هدت، ورباً خان العمر،  
من يعلم، لكنني أعلم، أن يوماً سيأتي، لي أعلم، تسافرين فيه إلينا،  
وتسافر إليك، وبعبير بعضنا إلى بعض، كما نسير حذيفة إلى أخرى..»  
وحين تنتهي القصيدة بنم الصمت، يظل كرم إلى النافذة، يقوم  
ضياء، بغير كلام، فيفلق الباب وينصرف. كان هو، لا ناظم، يودع  
صديقه، يودع الجهر فيه، والأيام الجميلة، وتلك السهرات الرائعة.

وفي إحدى الأمسيات، حين دخل كرم باب البناية، بشباب  
المصل، والفسار والسخام على وجهه وعنفه وهدبه، استوقفته  
البوابة، قالت له: «تعال، فمة من ينتظرك عندي». استعملها أن  
يقتل ويهود، لكنها أصرت على أن يرى من ينتظره من قوده.  
وعندما أطل من الباب، اضطرب للمفاجأة، كانت هذه ابرجكا!  
ارتبك، مسح يديه على جني بطنائه قبل أن يصافحها، لكن  
ابرجكا صاحت:

- لا تخجل.. لا تمسح بديك.. أنت الآن كرم الحقيقي، كرم  
الذي ترك القلم، ترك المنصف، وذهب ليميل في البناء، لأجل شيء  
عزيز، عزيز كأكثر ما في الوجود.

اعتذر عن دعوتها إلى بيته، «كل شيء فوضى» قال لها. وعدها  
أن يزورها، لكنه لم ينف بالوعد. كان يتفادى المواقف  
الدراماتيكية، ولا يسمح لأيا عاطفة أن تنبشها عما اعتزم. كذلك لم  
يتف إلى بيروت. لم يخبرها بموعد سفره. أثر أن يكون الوداع بغير  
دموع، وفي نهاية الأيام العشرة، المحددة للعمل، تفرغ لتوضيب ما  
تبقي من أشياء، وشحنها، بمساعدة اليوش، بحراً، وقطع تذكرة  
سفر بالطائرة، ولم يأخذ معه سوى حقيبة واحدة، ولم يهبل، بمناد،  
أن تقام له حفلة وداع. قال:

- شكراً لكل شيء.. لكل المواطنين. شكراً يا جورج، ويا  
جميل، وضياء، وحسن، وفيمي، شكراً لكم جميعاً..  
أضاف مازحاً:

- انتهت دراستي، أصبح أنني لا أعود بشهادة علمية، لكنني  
أعود بتجربة.. هناك، ربا، مأجد بعض المناصب، بعض المصاعب،  
لكن القربة أغنى من كل شيء.. إنني كنت سعيداً هنا. كنت  
سعيداً معكم، ولكنني، وبرغم كل الظروف، سأكون سعيداً في  
الوطن أكثر.. هناك أرضي، وبيتي. هناك أهلي، وهناك سأكتب..

في المطار قليل باقة زهور من موديه، عاتق المسبح، وضع رأسه  
على صدر ضياء. كان المعجوز يسكن ويسكن هو أيضاً. وحين صعد  
الطائرة، صنف في نفسه: «وداعاً يا أرض الجهر»، واستسلم، طوال  
الرحلة، لتذكرياته وأفكاره الخاصة. وفي السابع عشر من أيلول، عام

١٩٦٧ كان في مطار دمشق. ومن هناك هتف لتحقيقه، وحين جاء دوره أمام شباك الجوازات، نظر مسؤول الأمن في الصورة، ونظر إليه، وقال له « لحظة!... » ذهب إلى « الفيش » وحين عاد طلب منه أن يقف جانباً، وجاء من أدخله إلى إحدى الغرف وأغلق الباب، وعندئذ أدرك أنه موقوف.

وفي الساعة الثانية بعد منتصف الليل أركب سيارة جيب. وضعوا القيد في يديه وأركبوه سيارة جيب، ولم يقل له أحد شيئاً، ولم يسأل هو، عن شيء.. وفيما السيارة تحني، نظر من فتحها الخلفية إلى السماء..

كان القمر مشملاً. كان القمر الكون بضياء أبيض. حلق فيه. ظل يهذي فيه، غيّل إليه أن في القمر نقطة يعرفها. أتمت النقطة. ارتسمت.. ظهر ما يشبه الوجه، ظهرت على الوجه ابتسامة.. وابتسم بدوره قائلاً: « جنية القمر سافرت معي... » وأغمض عينيه على معاداة لم يعرفها من قبل.

(انتهت الرواية يوم ٩ تموز ١٩٨٣)